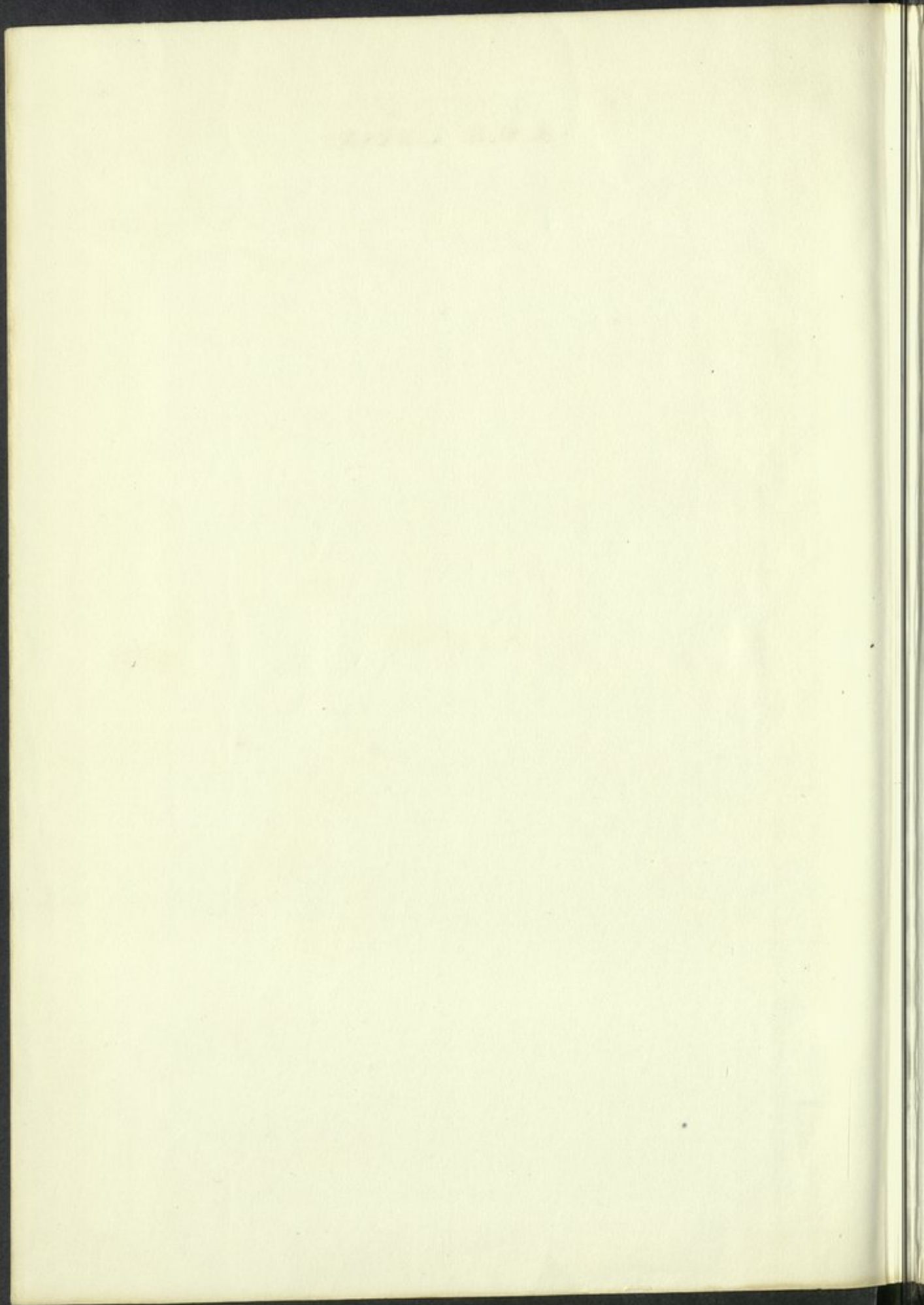
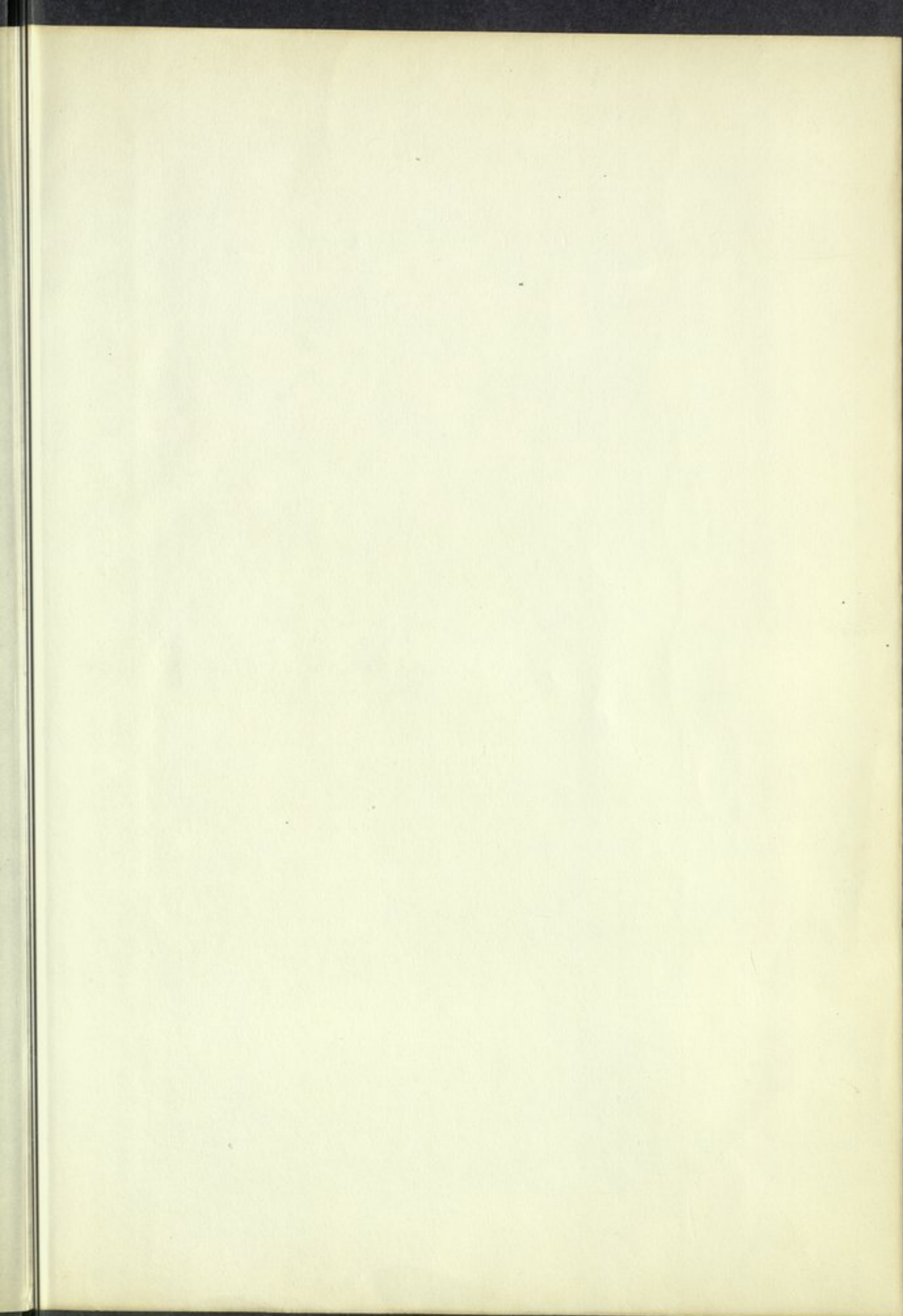
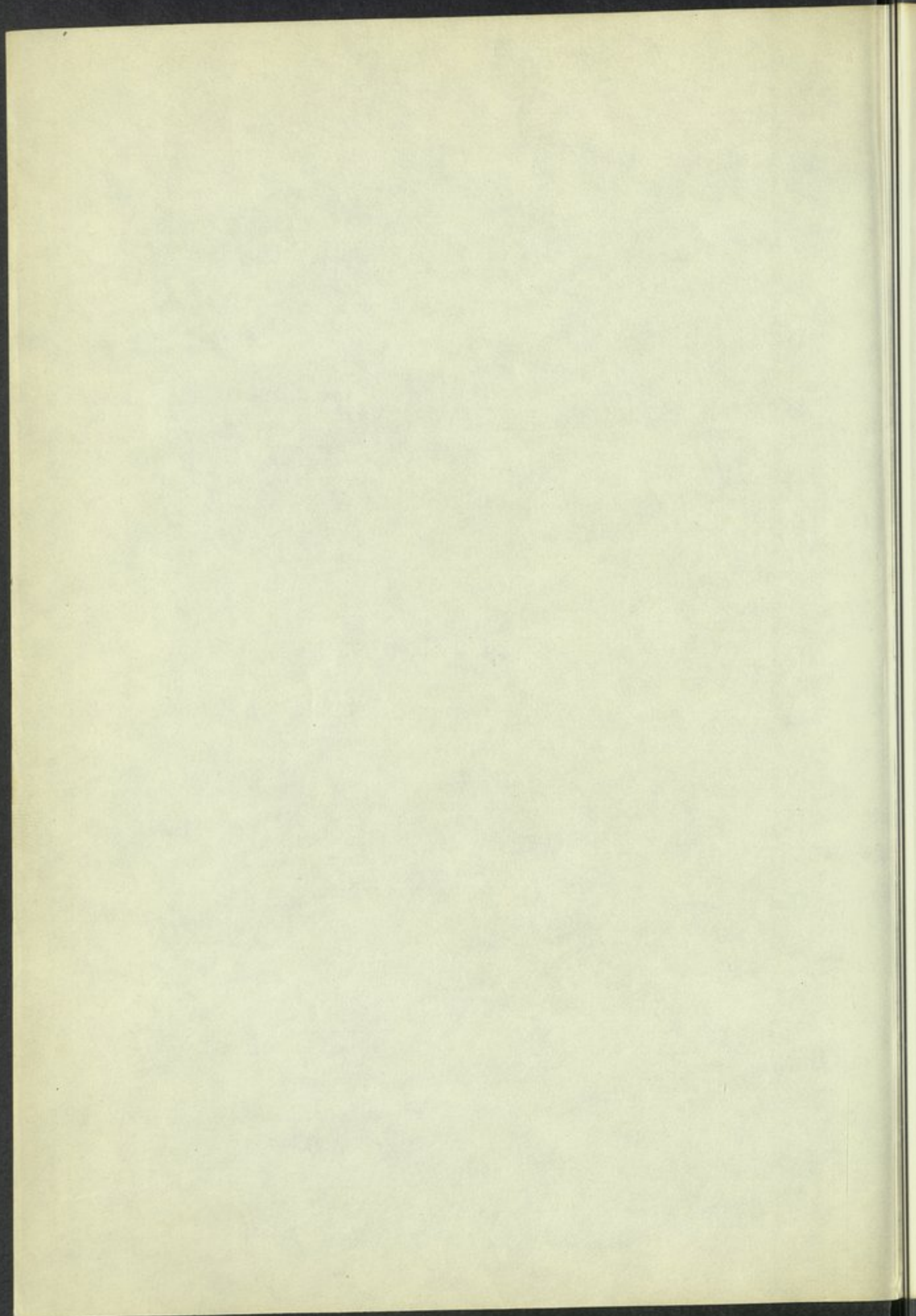


**A. U. B. LIBRARY**

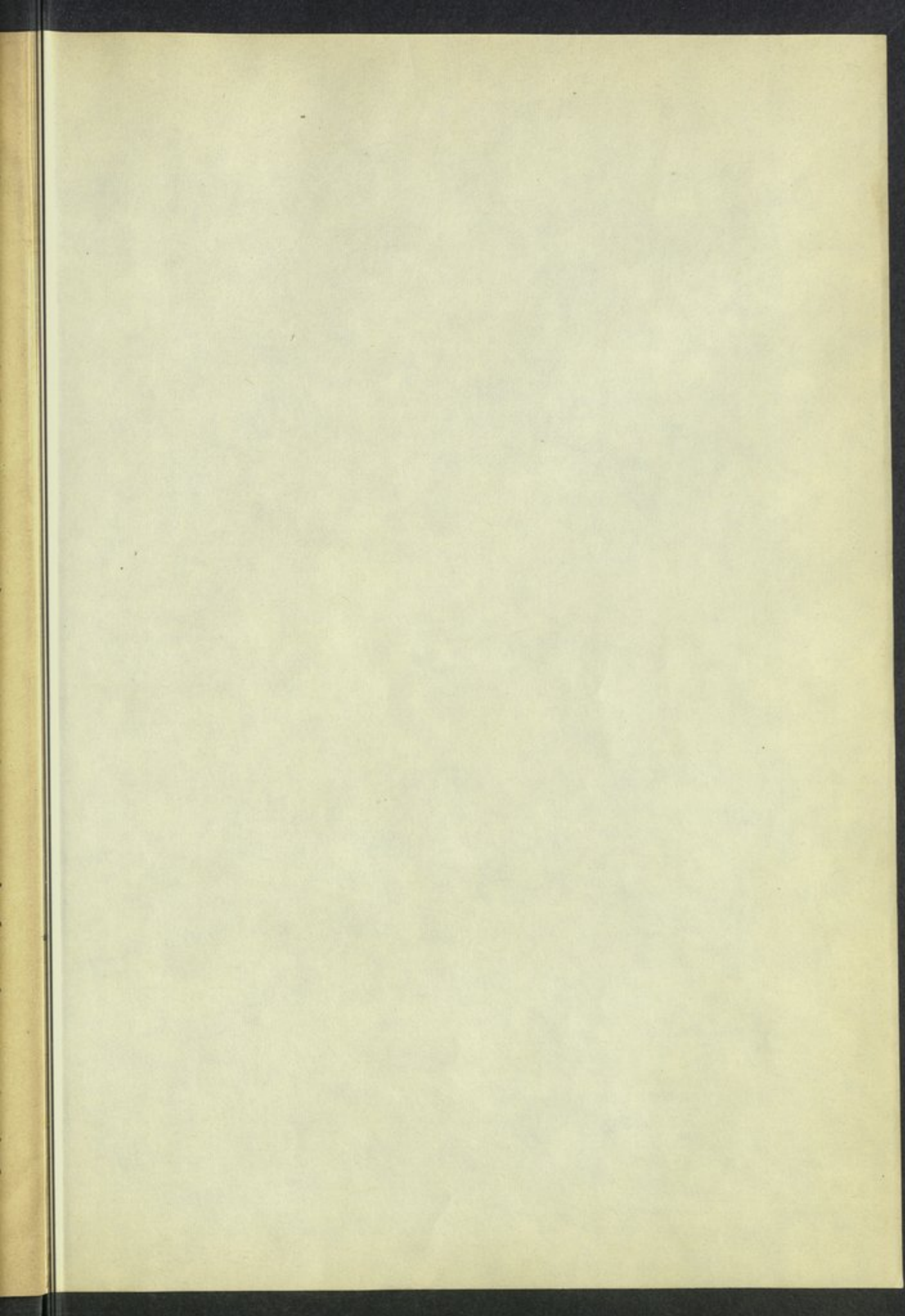












صفحة	صفحة
٣٩	( تفسير سورة الحجرات )
٣٩	الاختبار ببناء السماء وزيتها والارض وجبالها ونباتها
٤١	حديث معاذ في تقديم الكتاب والسنة على القياس
٤١	التهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي (ص)
٤٣	وما ورد فيه
٤٣	رفع الصوت فوق صوت النبي بحبط الاعمال
٤٥	استنكار فعل الذين نادوا النبي ( ص ) من وراء الحجرات
٤٦	وفود بني نعيم على النبي ( ص ) ومفاخرتهم
٤٩	ومجاوبة الصحابة لهم
٥٢	وجوب الثبوت والتحري في خبر الفاسق
٥٤	ومجهول الحال
٥٧	تحبيب الايمان للمؤمنين وزينه في نفوسهم
٥٧	الاصلاح بين طوائف المسلمين المقتولين
٥٩	قتال الفئة الباغية من المؤمنين حتى تفي الى امر الله
٦٠	العدل في الصلح بين المتخاصمين واخوة جميع المؤمنين
٦٢	النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم واستصغارهم
٦٥	اجتناب الظن والتخون للاهل والاقارب وغيرهم
٦٧	حرمة التجسس والاعتيا ب ومغنى الغيبة
٧٠	الاحاديث الواردة في الغيبة والنهي عنها
٧٣	خلق جميع العالم من نفس واحدة وجعلهم شعوبا وقبائل
٧٥	كون التفاضل بالتقوى والاحاديث في ذلك
٧٧	كون الايمان اخص من الاسلام والفرق بين المؤمن والمسلم
٧٩	( تفسير سورة ق )
٨١	الاحاديث في قراءة ق في صلاة العيد
٨٣	تعجب الكفار من كون الرسول بشرا مثلهم
٨٥	نفي كون الرسول كاهنا او مجنونا
٨٥	نفي كون الرسول كاهنا او مجنونا



ب فهرس المسائل المهمة في الجزء الثامن من تفسير ابن كثير والبغوي

صفحة	صفحة
٨٧ اثبات الربوبية وتوحيد الالهية لله تعالى ١٣٧	تكذيب قوم لوط بالنذر واهلاكهم وانجاء آل لوط
٨٩ عناد المشركين ومكابرتهم وانكارهم المحسوس ١٣٩	وعيد الله لكفار مكة بالخذلان والعذاب الاليم
٩١ تسبيح الله تعالى عند القيام من المجلس وما ورد فيه ١٤١	خلق الله للاشياء بقدر وما ورد في القدر والقدرية
٩٣ ( تفسير سورة النجم )	١٤٣ الاحاديث الواردة في القدر والقدرية
٩٤ نفي الضلال والنفي عن النبي (ص) وكون شريعته ١٤٥	( تفسير سورة الرحمن )
وحيا من الله ١٤٧	سير الشمس والقمر بحسبان لا يختلف ولا يضطرب
٩٦ رؤية النبي (ص) لجبريل في صورته الاصلية	١٤٩ قدرة الله في خلق الحب ذي العصف والريحان
٩٨ رواية ابن عباس ان النبي (ص) رأى ربه بفؤاده ١٥١	قول العلماء في معنى ( مرج البحرين يلتقيان )
١٠٠ الاحاديث الواردة في ان المرئي هو الله او جبريل عليه السلام	١٥٣ فناء جميع الكائنات وبقاء وجه الله تعالى وحده
١٠٢ رؤية الله تعالى وما ورد فيها	١٥٨ انشقاق السماء وصيرورتها وردة كالدهان
١٠٤ رؤية النبي (ص) لجبريل عند سدره المنتهى	١٥٩ احوال الخلق يوم القيامة يوم يؤخذ بالناوصى والاقدام
١٠٦ غشيان نور الله والملائكة لسدره المنتهى	١٦١ الخوف من الله تعالى وثوابه وما ورد فيه
١٠٨ تفرغ المشركين في عبادتهم اللات والعزى وما اشبهها	١٦٥ نعت الحور العين بالعفة والحصانة والحسن الكامل
١٣١ تسمية الاصنام آلهة بغير دليل ولا برهان	١٦٨ نعت الجنيتين اللتين يجازى بهما الخائفون من الله
١١١ اتباع الكفار للظنون وكون غايتهم طلب الدنيا والسعى لها ١٧٢	( تفسير سورة الواقعة )
١١٤ كون اللعم من صفار الذنوب والتجاوز عنه وما ورد فيه ١٧٥	ارتجاج الارض وتفتت الحيال يوم القيامة
١١٧ النهي عن تزكية النفس وما ورد فيه ١٧٧	الاحاديث الواردة في السابقين المقربين
١٢٠ كون الانسان انما ينفعه عمله وكسبه لا عمل غيره ١٧٩	بيان السابقين المقربين بأنهم ثلثة من الاولين وقليل من الآخريين
١٢٢ خلق الله تعالى للاشياء المختلفة المتضادة ١٨٣	ماورد في وصف الطير الذي يشتهي أهل الجنة
١٢٤ كون محمد (ص) منذرا من جنس النذر الاولى ١٨٥	مال اصحاب اليمين وهم الاربار وما أعد لهم من النعيم
١٢٦ ( تفسير سورة اقتربت الساعة )	١٨٦ الاحاديث الواردة في قرب الساعة وفراغ الدنيا
١٢٧ الاحاديث الواردة في قرب الساعة وفراغ الدنيا ١٩١	انشاء نساء الجنة وجعلهن أبكارا عربا أرايا
١٣٠ اعراض الكفار عن آيات الله تعالى وقولهم سحر مستمر ١٩٧	بيان مقدار من يدخل الجنة من هذه الامة
١٣٢ تكذيب قوم نوح واهلاكهم بالطوفان ١٩٩	اصحاب الشمال وجزاؤهم يوم القيامة وصفهم في الدنيا
١٣٤ تفسير القرآن للذكر والتدبر وللاتقاع به	



﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء الثامن من تفسير ابن كثير والبغوي ﴾ ج

صفحة	صفحة
٢٠١ الاستدلال على إعادة الخلق بنشأته الأولى	٢٥٧ حرمة المباشرة على المظاهر قبل التكفير
٢٠٣ نعمة الله على العباد في سقيهم ماء عذاباً ولا	٢٥٩ التهي عن التناجي بالاثم والعدوان ومعصية
٢٠٧ تفسير قوله تعالى ( لا يمسه الا المطهرون )	الرسول
وما ورد فيه	٢٦٣ الامر بالنفسح في المجالس وما ورد فيه
٢٠٨ تكذيب الكفار بالقرآن وجحودهم نعمة	٢٦٦ علو درجات المؤمنين والعلماء عند الله تعالى
الله عليهم	٢٧٠ موالاة المنافقين للكفار في الباطن وأيمانهم الكاذبة
٢١٢ احوال الخلق عند الاحتضار وما لهم بعد موتهم	٢٧٢ الوعيد الشديد للذين يحادون الله ورسوله
( تفسير سورة الحديد )	( تفسير سورة الحشر )
٢١٧ الاحاديث والآثار في معنى الاول والآخرة	والظاهر والباطن
٢٢١ ملك الله للسموات والأرض والآخرة والأولى	٢٧٦ غزوة بني النضير وسبها وما ورد فيها
٢٢٢ الحث على الايمان بالله ورسوله والاتفاق في سبيله	٢٨١ الاحاديث الواردة في اجلاء بني النضير من
٢٢٥ وعد الله للمنفقين في سبيله بحسن الثواب	المدينة
وعظيم الاجر	٢٨٤ بعض قصائد الشعر التي انشدت في نصر
٢٢٨ بشارة المؤمنين بجنت تجري من تحتهما الانهار	المسلمين على بني النضير
٢٣١ الحث على الخشوع والخضوع لذكر الله تعالى	٢٨٦ ما ورد في حكم الفقيه الذي أقامه الله على رسوله
٢٣٣ قسوة قلوب بني اسرائيل وفسقهم وتحريفهم	٢٩١ بيان المستحقين لمال الفقيه ومدح الانصار (رض)
كتاب الله تعالى	٢٩٢ التناء على الانصار بسلامة صدورهم وأبناؤهم
٢٣٥ درجات الصديقين والشهداء ومنزلهم في الجنة	على أنفسهم
٢٣٦ هوان الدنيا وضرب المثل لزوالها وقائتها	٢٩٥ النهي عن الشح وكونه بأمر بالظلم والفسجور
٢٣٨ تقدير الله لجميع احداث العالم قبل خلق السموات	والقطيعة والاقوال فيه
٢٤١ جعل النبوة والكتاب في ذرية نوح وابراهيم	٢٩٧ بيان الاصناف الذين يستحقون من مال الفقيه
٢٤٣ ابتداء الرهبانية في أتباع عيسى بن مريم	٢٩٩ ضرب المثل للمنافقين واليهود في تخادعهم
عليه السلام	وتفريرهم
٢٤٥ كون الجهاد في سبيل الله رهبانية الاسلام	٣٠٠ مخادعة الشيطان للانسان وحمله على الكفر
٢٤٧ مضاعفة ثواب الله للمتقين وجعله كفلين	ثم تبرؤه منه
( تفسير سورة المجادلة )	٣٠٢ طاعة الشيطان هو ومن غره بالكفر الخلود
٢٥١ بيان حكم الظهار وما يجب على المظاهر	في النار
والاحاديث الواردة فيه	٣٠٤ الحث على التقوى واعداد الزاد ليوم المعاد
٢٥٦ معنى العود في الظهار وحكم المائد فيه	٣٠٥ التهي عن الغفلة عن ذكر الله والوعيد الشديد
	عليها
	٣٠٨ معنى الخالق والبارئ والمصور

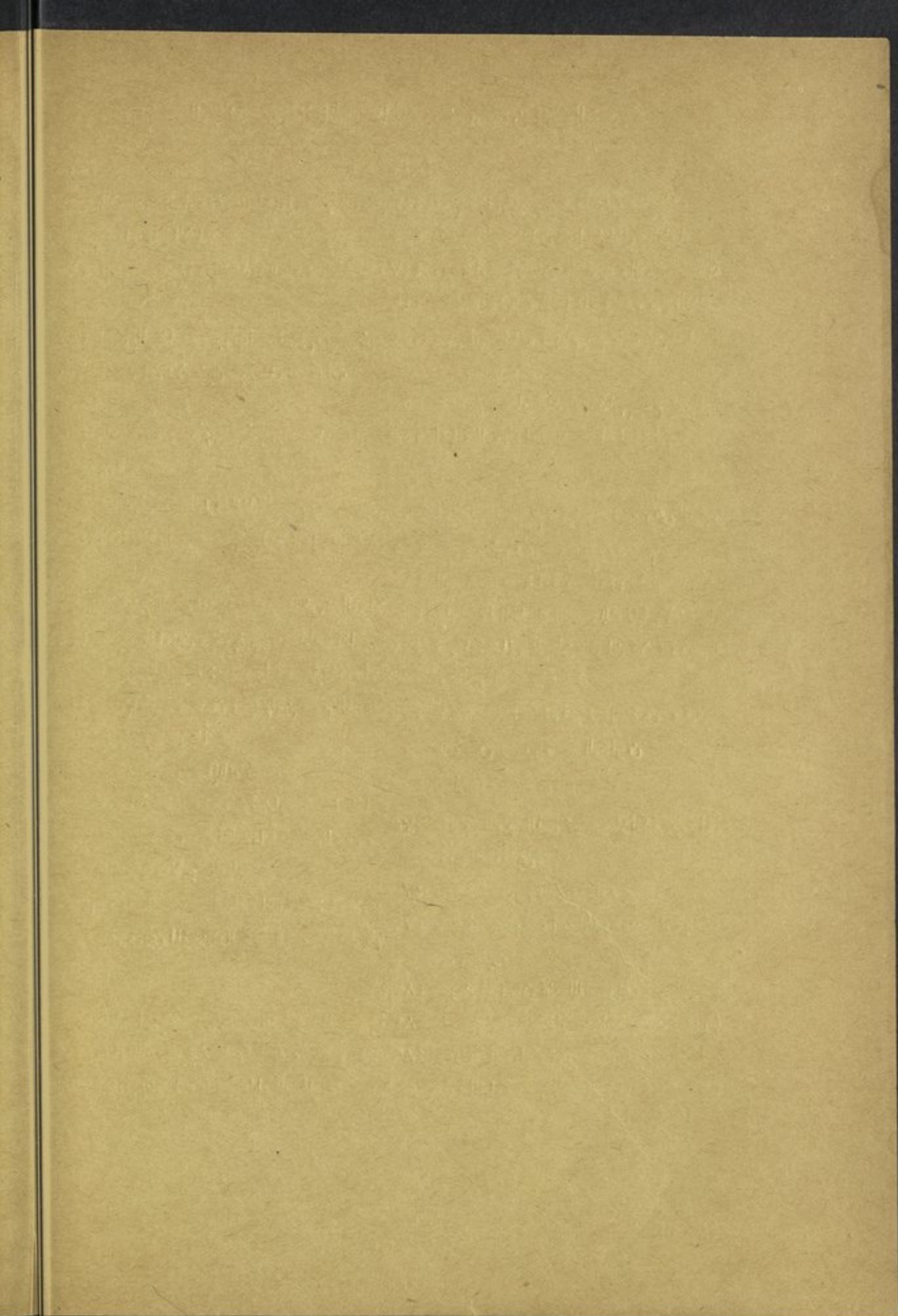


- ٣١٠ ( تفسير سورة الممتحنة )
- ٣١١ انتهى عن اتخاذ اعداء الله اولياء
- ٣١٦ التأسى بأبراهيم عليه السلام في مصارمة  
الاقرباء الكفار والتبري منهم
- ٣٢١ اختبار النساء المؤمنات اللاتي هاجرن من  
مكة الى المدينة
- ٣٢٣ تحريم نكاح المؤمنات على المشركين
- ٣٢٥ استحقاق الرجل مهر زوجته التي تركت  
دينه الى دين آخر
- ٣٢٧ مبايعة النبي (ص) للنساء المؤمنات وماورد فيها
- ٣٢٩ الاحاديث الواردة في مبايعة النساء للنبي (ص)
- ٣٣١ مبايعة النساء للنبي (ص) على ترك الزنا وقتل  
الاولاد
- ٣٣٥ النهي عن موالاة الكفار الذين غضب الله  
عليهم
- ٣٣٦ ( تفسير سورة الصف )
- ٣٣٨ اخلاف الوعد والانكار على فاعله وماورد فيه
- ٣٣٩ انكار الله على من يفعل غير مايقول ومقتله
- ٣٤٠ بشاراة عيسى بن مريم برسالة محمد (ص)
- ٣٤٣ افتراء الكذب على الله ظم عظم
- ٣٤٥ حث المؤمنين على نصر الله كما فعلت الحواريون
- ٣٤٧ ( تفسير سورة الجمعة )
- ٣٤٨ منة الله على عباده في بعثة رسوله محمد (ص)
- ٣٤٩ عموم بعثة النبي (ص) الى الفرس والروم  
والاسود والاحمر
- ٣٥٢ يوم الجمعة والسبب في تسميتها وما ورد فيها
- ٣٥٣ الحث على السعي للصلاة عند النداء يوم الجمعة
- ٣٥٥ طلب الاغتسال يوم الجمعة والزجر عن  
ترك صلاحها
- ٣٥٦ اقوال العلماء في الموضع الذي تقام فيه الجمعة
- وفي العدد الذي تعتقد به
- ٣٥٨ بيان وقت النداء الذي حرم به البيع والشراء  
يوم الجمعة
- ٣٦٠ النهي عن ترك الامام وقت الخطبة والذهاب  
للتجارة
- ٣٦٣ ( تفسير سورة المنافقين )
- ٣٦٤ وصف المنافقين بحسن المنظر وقبح الخبر  
وبالحين والضح
- ٣٦٦ الاحاديث الواردة في نفاق عبد الله بن ابي  
بن سلول
- ٣٧٢ النهي عن التلهي بالاموال والاولاد عن ذكر الله
- ٣٧٤ استحالة التأجيل في العمر بعد حلول الاجل
- ٣٧٥ ( تفسير سورة التغابن )
- ٣٧٦ خلق الخلق صنفين كافر ومؤمن ومذهب اهل السنة  
في خلق افعال العباد
- ٣٧٨ الايمان بان كل امر يصيب الانسان انما هو  
بإذن الله وقدره
- ٣٨٠ النهي عن الاشتغال بالازواج والاولاد عن  
طاعة الله تعالى
- ٣٨٢ الامر بتقوى الله على قدر الاستطاعة والسمع  
والطاعة لله ولرسوله
- ٣٨٣ ( تفسير سورة الطلاق )
- ٣٨٤ احكام الطلاق والافوات التي يحرم فيها  
والاحاديث في ذلك
- ٣٨٥ بيان طلاق السنة وطلاق البدعة
- ٣٨٧ انما تجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية
- ٣٨٩ الآثار الواردة في تقوى الله تعالى وفضلها  
والحث عليها
- بيان عدة الآيسة والتي لم تبلغ سن الحيض



صفحة	صفحة
٣٩٣	الا حاد يث الوار دة في ع دة الحامل وانها بوضع ٤٤٣
٤٤٥	الحمل على الاطلاق ٤٤٥
٣٩٥	وجوب النفقة والسكنى للمعدة الرجعية ٤٤٧
٤٤٩	والخلاف فيه ٤٤٩
٣٩٧	احكام الرضاع وجوب اجرته على ولي الرضيع ٤٥١
٤٠٠	اثبات أن الارضين سبع مثل السموات وما ورد فيه ٤٥١
٤٠٢	(تفسير سورة التحريم) ٤٥١
٤٠٣	الا حاد يث والآثار في تحريم النبي (ص) للمارية ٤٥٥
	القبضية ٤٦١
٤٠٥	اختلاف اهل العلم في لفظ التحريم وماذا يجب به ٤٦٢
٤٠٦	القول بان الذي حرمه النبي (ص) على نفسه هو ٤٦٥
	المسل ٤٦٧
٤١١	المواضع التي وافق فيها عمر (رض) القرآن ٤٧٠
٤١٤	تحذير المؤمنين وتخويفهم من عذاب النار ٤٧١
٤١٦	الترغيب في التوبة النصوح والحث عليها ومعناها ٤٧١
٤٢٠	ايمان امرأة فرعون ونجاتها من القوم الظالمين ٤٧٣
	وما ورد في شأنها ٤٧٣
٤٢٢	﴿ تفسير سورة الملك ﴾ ٤٧١
٤٢٣	حمد الله تعالى لنفسه واخياره بقدرته التامة ٤٧٥
٤٢٧	مقام الخوف من الله وما أعد للخائفين من ٤٧٥
	المغفرة والاجر العظيم ٤٧٧
٤٢٨	كون السعي في أسباب الرزق لا ينافي التوكل ٤٧٧
٤٣٠	الفرق بين المؤمن والكافر في سيرهما وسلوكهما ٤٧٩
٤٣٣	(تفسير سورة ن) ٤٨٢
٤٣٥	الا قوال في معنى (ن والقلم) وما المراد بها ٤٨٤
٤٣٧	ثناء الله على نبيه (ص) بأنه على خلق عظيم ٤٨٦
٤٤٠	خلق النبي (ص) وسجاياه العالبة ٤٨٦
	يوم القيامة ٤٨٦





﴿ تصحيح الاغلاط المطبعية الواقعة في الجزء الثامن من تفسيرى ابن كثير والبنغوى ﴾

صحيفة سطر خطأ	صواب	صحيفة سطر خطأ	صواب
٣ ٤	بسنة برسول	٩١ ٢٣	الت
٦ ٧	وتبس	١١١ ٢٦	آباؤكم الأولين
٦ ١٩	إننا	١١٢ ٢٢	الكفار
٦ ٢٥	فذهب	١٢٠ ١٧	لأوفى
٨ ٧	وأجر كريم	١٥٥ ٢٦	(أبا الثقلان)
٣٣ ٢٨	(وما ألتناكم)	١٥٩ ٢٨	يرم
٣٤ ٢٤	بأموالهم	١٦١ ١	وتنقيم
٣٨ ٤	من بين	١٦٢ ١١	فبأي آلاء
٤٠ ١	يحجج	١٧٥ ١٦	هباء
٤٨ ٢٥	(لد) ولم يزل	١٧٦ ١١	زواجا
٧٣ ٣	تنفم	١٨٦ ١٨	وأثوابه
٧٣ ٢٥	الحن	٢٢١ ١٠	آت الرحمن
٨٨ ١٧	النخل؟	٢٦٠ ١٠	به الله
٨٨ ٢٤	به؟ ريب	٢٨١ ٨	عروة بن الزبير
٨٩ ١٧	قطعة من السماء	٢٨٣ ٢٢	كمب
٨٩ ١٩	(هذا سحاب	٢٨٦ ٤	ولرسول
٩١ ٢٢	الحسن	٣٣٨ ٢٧	ان قولوا)





7  
Gift. His property Ben Said





# الجزء الثامن



من تفسير الحافظ ابن كثير

هو الامام الجليل الحافظ عمار الدين أبو الفراء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن

محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر

في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه

في البلاد في حياته ، واتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف

المصححة على نسخة المؤلف .

ويليه في أدنى الصحائف

## معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو

محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «بحي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصايح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً

بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية وحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

بملاك النجيب تار ونبينا وخطا زنتا

38739

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد الثامن من تفسير الحافظ ابن كثير﴾

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ (١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنْ الَّذِينَ يُفَضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلتَتَّوَيَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يقابلون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد الثامن من تفسير ناصر السنة البغوي﴾

﴿سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والذال

من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الذال من التقدم وهو لازم بمعنى التقدم



ورسوله) أي لانسرعوا في الاشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعاله في جميع الامور حتى يدخل في عموم هذه الآية الادب الشرعي

(حديث معاذ رضي الله عنه) حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم نحكم ؟ » قال بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله ﷺ قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي فضرب في صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالفرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ( لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد لا تفتانوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم

مثل بين وتبين ، وقيل هو متعمد على ظاهره والمفعول محذوف أي لا تقدموا القول والفعل بين يدي الله ورسوله قال أبو عبيدة تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب أي لا تعجل عليه بالامر والنهي دونه ، ومعنى بين اليمين الامام والقدام أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيها واختلفوا في معناه ، روى الشعبي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحية وهو قول الحسن أي لا تدبجوا قبل أن يذبح النبي ﷺ وذلك ان ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زيد عن الشعبي عن البراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال « إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل أن نصلي فأنما هو لحم عجله لاهل ليس من النسك في شيء » وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي قال عمر ما أردت خلافتك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك ( يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) حتى انقضت ، ورواه نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال فنزلت ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا



وقال سفيان الثوري ( لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصري ( لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) قال لا تدعوا قبل الامام ، وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا كذا لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه ( واتقوا الله ) أي فيما أمركم به ( إن الله سميع ) أي لأقوالكم ( عليم ) بنياتكم  
وقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ) هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وقال البخاري حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني نعيم فأشار أحدهما بالاقراع بن حابس (رض) أخيه بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ) قال ابن الزبير (رض) فما كان عمر [رض] يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفرد به دون مسلم

أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - أجر عظيم ) وزاد : قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر .  
وقال قتادة نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا أو صنع في كذا وكذا فكره الله ذلك وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه ، وقال الضحاك يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله ( واتقوا الله ) في تضيق حقه ومخالفة أمره ( إن الله سميع ) لأقوالكم ( عليم ) بأفعالكم ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً ( أن تحبط أعمالكم ) لئلا تحبط حسناتكم وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم ( وأنتم لا تشعرون )

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أنه قال لما نزلت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ) الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي



ثم قال البخاري حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة ان عبد الله ابن الزبير (رض) أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر (رض) أمر القمقاع ابن معبد وقال عمر [رض] بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر [رض] ما أردت إلا خلافي فقال عمر [رض] ما أردت خلافك فمأريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الآية [ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم] الآية وهكذا رواه ههنا منفرداً به أيضا

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق [رض] قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار. حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفا لكن قد روينا من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم

وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون انبأني موسى ابن أنس عن أنس بن مالك [رض] أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس [رض] فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكساراً فقال له ما شأنك؟ فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجم اليه المرة الآخرة بيشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة. تفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك (رض) قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون) وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله [ص] أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقد رسول الله (ص) فانطلق ببعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله (ص) مالك؟ قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي (ص)

صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال «يا أبا عمر وما شأن ثابت أبشكي؟» فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمت اني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتان أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «بل هو من أهل الجنة»

وروي انه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت؟ قال هذه الآية تخوف أن تكون نزلت في وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي وأن أكون



وأجبر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأثروا النبي (ص) فأخبروه بما قال فقال [ص] «لا بل هو من أهل الجنة» قال انس (رض) فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم القيامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تجنط ولبس كفته فقال بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل (رض)

وقال مسلم حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) إلى آخر الآية جلس ثابت (رض) في بيته قال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فقال النبي (ص) لسعد بن معاذ «يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى؟» فقال سعد (رض) أنه لجاري وماعلمت له بشكوى قال فأثاه معد (رض) فذكر له قول رسول الله [ص] فقال ثابت (رض) أزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله (ص) فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد (رض) للنبي (ص) فقال رسول الله (ص) «بل هو من أهل الجنة» ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حيان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ (رض) وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس [رض] بنحوه وقال ليس فيه ذكر معد ابن معاذ (رض) حدثني هدية بن عبد الأعلى الاسدي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يذكر عن انس (رض) قال لما نزلت هذه الآية فاتقص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ (رض) وزاد: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة. فهذه الطرق الثلاث معالة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ [رض]

والصحيح ان حال نزول هذه الآية لم يكن معد بن معاذ [رض] موجوداً لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم والوفود انما تواثروا في سنة تسع من الهجرة والله اعلم

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس ابن الشماس حدثني عمي اماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن ابيه [رض] قال لما نزلت

من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشي فشددي علي الضبة بمسار وقال لا رج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله (ص) فأتى عاصم رسول الله (ص) فأخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش، فقال له: ان رسول الله (ص) يدعوك فقال اكسر الضبة فكسرها فخرج فأتيا رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال أنا صيت وأنخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله (ص)



هذه الآية ( لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ) قال قعد ثابت بن قيس (رض) في الطريق يبكي قال فر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أن تخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فضي عاصم بن عدي (رض) إلى رسول الله ﷺ قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشي فشدي علي الضبة بمسمار فضربت به بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضي عني رسول الله (ص) قال وأتى عاصم (رض) رسول الله ﷺ فأخبره خبره فقال « اذهب فادعه لي فجاء عاصم (رض) إلى المسكن فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له ان رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا فأتيا النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا ثابت ؟ » فقال (رض) أنا صيت وأنخوف أن تكون هذه الآية نزلت في ( لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ) فقال له النبي ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت بشري الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى ( ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ) الآية وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الاصوات بحضرة رسول الله ﷺ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [ رض ] أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي [ ص ] قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أندريان ابن أنثا ؟ ثم قال من ابن أنثا ؟ قال من أهل الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً

وقال العلماء بكرة رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لانه محترم حياً وفي قبره [ ص ] دائماً ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه من عداه بل بمخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى ( ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ) كما قال تعالى ( لا تجهروا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً )

« أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت بشري الله ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله (ص) فانزل الله ( ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله ) الآية قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم القيامة في حرب مسيلة الكذاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا تقاثل أعداء الله مع رسول الله (ص) مثل هذا ثم ثبتا وقاخلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن به في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله (ص)



وقوله عز وجل ( أن تخبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ) أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح « أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض » ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال ( إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ) أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً لهم مغفرة وأجر عظيم )

وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر يأمر المؤمنين رجل لا يشتكي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتكي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر [ رض ] إن الذين يشتون المعصية ولا يعملون بها ( أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر كريم )

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ( ٤ ) ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ( ٥ )

وقل له إن علي ديناً حتى يقضيه عني وفلان وفلان من رقبتي عتيق . فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه له فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كالخفي السرار :

وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما بخفض صوته . فانزل الله تعالى ( إن الذين يفضون أصواتهم ) يخفضون أصواتهم [ عند رسول الله ] إجلالاً له ( أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ) اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ( لهم مغفرة وأجر عظيم ) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ( قرأ العامة بضم الجيم وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم وهما لغتان وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع )

قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسيماهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله ( ص ) فجاء بعد ذلك رجالهم يقدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله



ثم انه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نساءه كما يصنع اجلاف الاعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون)

ثم أرشد تعالى إلى الادب في ذلك فقال عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والانابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الاقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد

قال الامام احمد حدثنا عثمان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس [رض] أنه نادى رسول الله [ص] فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدي لزين وان ذمي لشين فقال «ذاك الله عز وجل»

وقال ابن جرير حدثنا ابو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين ابن واقد عن ابي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول الله [ص] فقال يا محمد ان حمدي زين وذمي شين فقال [ص] «ذاك الله عز وجل» وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلًا

وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب وليد بن عطار أو بشر ابن عطار وليد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطار نزلت في قومك بني نعيم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك ان أملعوا) قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عمرو بن علي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت

صلى الله عليه وسلم قائلاً في أهله فلما رأتهم الذراري أجبهوا إلى آبائهم فيكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله (ص) حجرة فمجلوا قبل أن يخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمجلوا ينادون يا محمد اخرج الينا وبصيحون حتى يقطوه من نومه فخرج إليهم فقالوا يا محمد فأدنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال لهم رسول الله (ص) أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم ، فقالوا نعم : فقال سبرة إني لا أحكم بينهم إلا وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادي نصفهم وتعاق نصفهم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ، ففادي نصفهم وأعتق نصفهم وأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) قال مقاتل لكان خيراً لهم لانك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء (والله غفور رحيم) وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب بني نعيم جاؤا



داود الطائي يحدث عن ابي مسلم البجلي عن زيد بن ارقم ( رض ) قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله ( ص ) فأخبرته بما قالوا فجاءوا الى حجرة النبي [ ص ] فجعلوا ينادونه وهو في هجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى [ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ] قال فأخذ رسول الله [ ص ] باذني فدها فجعل يقول « لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد » ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما أفئتم ندمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن

الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب . ويروى ذلك عن جابر : قال جاءت بنو نعيم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فسمعا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول « إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين » فقالوا نحن ناس من بني نعيم جئنا بشعراثنا وخطبائنا للشاعرك ونفاخرك فقال النبي ( ص ) ما بال شعربعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا ما عندكم فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي ( ص ) لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي ( ص ) « قم فأجبه » فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمداً ليؤتى له والله ما أدري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن من خطيبنا قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر وأحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما يضرك ما كان قبل هذا » ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاثم لحداثة سنة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللفظ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم [ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم ] الآيات الاربع الى قوله [ غفور رحيم ]

وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاءوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله [ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ] ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم [

قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية نزلت في الوليد بن عتبة ابن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في



الله حبيب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان

أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨)

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليعتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الامر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقضى وراه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الامر وقبلها آخرون لأننا انما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لانه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة في كتاب العلم من شرح البخاري والله تعالى الحمد والميزة

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الامام أحمد في مسنده من رواية مالك بن المصطلق وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين [رض]

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي [رض] يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع اليهم فأدعهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته ، وترسل إلي يا رسول الله رسولا ابان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأت به وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسرورات قومه فقال لهم إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسول الله ﷺ ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسول الله ﷺ من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ وبعث إلى الحارث [رض]

الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله ﷺ فخذ الشيطان أنهم يريدون قتله فهاهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يفزوم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا لتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله عز وجل فبدا له في الرجوع فخشينا إنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب



وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا إليك، قال ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمد ﷺ بالحق ما رأيته بقة ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت ضخطة من الله تعالى ورسوله قال فتزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ — إلى قوله — حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن سرار كما تقدم

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن مومني بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة فسمع بذلك القوم فتلقوه بعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فخذته الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ [ص] فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله [ص] فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال [رض] فأذن بصلاة العصر قالت وزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين)

وروي ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن بني

رسوله فاتهمهم رسول الله (ص) وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال له انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله (ص) وأخبره الخبر فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ — بنبأ — بخبر) فتبينوا (أن تصيبوا) كي لا تصيبوا بالقتل والقتال (قوما) برآء (بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين) من



المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضبا شديداً فيبيناهو يحدث نفسه أن يغزوه اذ أتاه الوفد فقالوا يارسول الله انا حدثنا ان رسولك رجع من نصف الطريق وانا خشينا انما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وإن النبي [ص] استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية

وقال مجاهد وقتادة أرمّل رسول الله [ص] الوليد بن عتبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلغوه بالصدقة فرجم فقال إن بنى المصطلق قد جمعت لك لثقتك زاد قتادة وانهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله [ص] خالد بن الوليد [رض] اليهم وأمره أن يقتل ولا يجعل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونهم فلما جاءوا أخبروا خالداً [رض] أنهم مستمسكون بالاسلام ومسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي بعجه فرجع الى رسول الله [ص] فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله (ص) يقول «التبين من الله والعجلة من الشيطان» وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى وبزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عتبة والله أعلم

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أي اعلّموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدّبوا معه وانقادوا لأمره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيّف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال [لو بطيعكم في كثير من الامر لعنتم] أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجمكم كما قال سبحانه وتعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أنيناكم بذلك فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) أي حبيه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم

قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول «الاسلام علانية والايمان في القلب» قال ثم بشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا التقوى ههنا (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) أي وبغض اليكم الكفر

اصابتكم بالخطأ (واعلموا أن فيكم رسول الله) فائقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتتضحوا (لو بطيعكم) أي الرسول (في كثير من الأمر) مما يخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) لأنتم وهاكنتم والعت الاثم والهلاك (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) فجعله أحب الاديان اليكم (وزينه) حسنه (في قلوبكم) حتى اخترموه وتطيعوا رسول الله (ص) (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يزيد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله ثم عاد من



والفسوق وهي الذنوب السكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدرج لكمال النعمة وقوله تعالى ( أولئك هم الراشدون ) أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم قال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفاً المشركون قال رسول الله ﷺ « استووا حتى أتيي على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفا فقال ﷺ « اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف ، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا ، اللهم حجبنا الایمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به

وفي الحديث المرفوع « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » ثم قال ( فضلا من الله ونعمة ) أي هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه ( والله عليكم حكيم ) أي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)

يقول تعالى آمراً بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ) فسامم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدلل البخاري وغيره على أنه لا يخرج

الخطاب الى الخبر وقال « أولئك هم الراشدون » المهتدون « فضلا » أي كان هذا فضلا « من الله ونعمة والله عليكم حكيم »

قوله عز وجل « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » الآية

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن



عن الايمان بالمعصية وان عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن بن أبي بكرة رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ خطب يوماً معه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات الموهلة

وقوله تعالى ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ( أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس (رض) أن رسول الله ﷺ قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالماً؟ قال ﷺ « تمنعه من الظلم فذاك نصرته »

وقال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبي يحدث أن أنسا رضي الله عنه قال قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبداً لله بن أبي فأنطلق اليه النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون بمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق النبي ﷺ اليه قال « اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك » فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال ففضب لعبد الله رجال من قومه ففضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم

امام عيسى بن مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول إن أنسا قال قيل للنبي ( ص ) لو أتيت عبداً لله ابن أبي فأنطلق اليه النبي ( ص ) وركب حماراً وانطلق المسلمون بمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ( ص ) فقال اليك عني والله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله ( ص ) أطيب ريحا منك ففضب لعبد الله رجل من قومه فقتلوا ففضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا أنها نزلت ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ) وروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ( ص ) فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما ممرارة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لا خذلن حقي منك لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليعا كنه الى النبي الله ( ص ) فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضاً بالايدي والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف وقال سفيان عن السدي كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى عليه وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وقاتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليها ) فان بغت احداهما ( على الاخرى ) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله ( فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ) ( الى امر الله ) في كتابه وحكمه ( فان فاءت )



( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ) ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه  
وذكر سعيد بن جبيرة أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسيف والنعال فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر بالصلح بينهما

وقال السدي كان رجل من الانصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فخبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها ، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنوعه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث إليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى

وقوله عز وجل ( فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ) أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ( إن الله يحب المقسطين )

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر المديني حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قال « إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا » ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن عبد الأعلى به وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط الصحيح  
وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به

وقوله تعالى ( إنما المؤمنون أخوة ) أي الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » وفي الصحيح « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »  
وفي الصحيح أيضا « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » والاحاديث في هذا كثيرة وفي الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كتل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر » وفي الصحيح أيضا المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ﷺ

وقال أحمد حدثنا ابن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني أبو حازم قال :

رجعت إلى الحق « فأصلحوا بينهما بالعدل » بمحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله « وأقسطوا » اعدلوا « إن الله يحب المقسطين » إنما المؤمنون أخوة « في الدين والولاية » فأصلحوا بين أخويكم



سمعت سهل بن سعد الساعدي (رض) يحدث عن رسول الله ﷺ قال «ان المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الايمان كما يألم الجسد لما في الرأس» تفرد به أحمد ولا بأس بأسناده وقوله تعالى ( فأصلحوا بين أخويكم ) يعني الفئتين المقتلتين ( واتقوا الله ) أي في جميع أموركم ( لعلمكم ترهون ) وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه

إذا اختلفوا واقتتلوا قرأ بعقوب بين أخوتكم بالناء على الجمع ( واتقوا الله ) فلا نعصوه ولا نخالفوا أمره ( لعلمكم ترهون )

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد الخلدي أنا أبو العباس محمد ابن اسمعاق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا القيث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم « أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله به عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين بدل عليه ماروي عن الحارث الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي عن أهل الجبل وصفين أمشركون هم ؟ فقال لا من الشرك فروا قليل أمناقون هم ؟ فقال لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قليل فما حالهم ؟ قال اخواننا بغوا علينا والباني في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل مجتمعل ونصبوا إماما فالحكم فيهم أن يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيتهم قاتلهم الامام حتى يفيثوا الى طاعته ثم الحكم في قتلهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريهم . نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجبل ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريم وأتى علي رضي الله عنه يوم صفين بأسير فقال له لا تقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين ، وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها . قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أنفقه أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أولم يكن لهم تأويل أولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا فهم كقطاع الطريق

وروي أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لاحكم إلا الله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا تمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا تمنعكم الفقه مادامت ايديكم مع أيدينا ولا نبذوكم بقتال



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ  
عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ  
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول  
الله ﷺ أنه قال « الكبير بطر الحق وغمص الناس - وبروى - وغمط الناس » والمراد من ذلك  
احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فإنه قد يكون المحقر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحب إليه من  
الساخر منه المحقر له ولهذا قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا  
مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ) فنص على نهى الرجال وعطف بنهي النساء  
وقوله تبارك وتعالى ( وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ) أي لا تلمزوا الناس ، والهماز الهاز من الرجال مذموم  
ملعون كما قال تعالى ( وبل لكل همزة لمزة ) والهمز بالفعل والهمز بالقول كما قال عز وجل ( هماز مشاء  
بنميم ) أي يحقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي الهمز بالمقال ولهذا قال ههنا

وقوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ ﴾ الآية قال ابن عباس نزلت في  
ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه  
بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة  
الفجر فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه بحالهم فضع كل رجل بمجلسه فلا يكاد  
يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً يجلس فيه قام قائماً كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة  
أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجلسوا يتفححون له حتى  
انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد أصبت مجلساً فاجلس فجلس  
ثابت خلفه مغضباً فلما انحلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان فقال له ثابت  
ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله تعالى هذه  
الآية ، وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي  
مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاء حالهم فانزل  
الله تعالى في الذين آمنوا منهم ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ ) أي رجل من رجل والقوم  
امم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال ( عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ  
عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ) روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيرن أم سلمة  
بالقصر ، وعن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت خبيص بن اخطب قال لما النساء يهودية



( ولا تلمزوا أنفسكم ) كما قال ( ولا تقتلوا أنفسكم ) أي لا يقتل بعضكم بعضا

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ( ولا تلمزوا أنفسكم ) أي لا يظعن بعضكم على بعض . وقوله تعالى ( ولا تنازروا بالألقاب ) أي لا تدعوا بالألقاب وهي التي يستوء الشخص سمعها . قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال حدثني أبو جبرة ابن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة ( ولا تنازروا بالألقاب ) قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل إلا وله ايمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الامماء قالوا يا رسول الله انه يفضب من هذا فنزلت ( ولا تنازروا بالألقاب ) ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن وهب عن داود به

وقوله جل وعلا ( بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ) أي بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنازع بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتعاونون بعد ما دخلهم في الاسلام وعقلموه ( ومن لم يتب ) أي من هذا [ فأولئك هم الظالمون ]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا

يقتب بعضكم بعضا ، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ؟ واتقوا الله إن الله تواب رحيم ( ١٢ )

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس في غير محله لان بعض ذلك يكون اثما محضاً فليجتنب كثير منه احتياطاً

بنت يهوديين ( ولا تلمزوا أنفسكم ) أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يظعن بعضكم على بعض ( ولا تنازروا بالألقاب ) التنازع التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الانسان بغير ماسمي به قال عكرمة وهو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك ، قال عطاء هو أن تقول لأكلي يا كلب يا حمار يا خنزير وروي عن ابن عباس قال التنازع بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعبر بما سلف من عمله ( بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ) أي بئس الاسم أن يقول له يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب وقيل معناه أن من فعل ما نهى عنه من السخربة واللز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فاستحقوا اسم الفسوق

( ومن لم يتب ) من ذلك ( فأولئك هم الظالمون ) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ( قيل نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله ﷺ كان اذا غزا أو سافر ضم







وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن ابراهيم بن نسيط الخولاني عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال قلت لعقبة ان لنا جيرا نا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فياخذونهم قال لا تفعل ولكن عظامهم وتهدهم قال ففعل فلم ينتهوا ، قال فجاءه دجين فقال إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا مؤودة من قبرها » ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه

وقال سفيان الثوري عن راشد بن سعد عن معاوية [رض] قال سمعت النبي ﷺ يقول « انك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ نفه الله تعالى بها ، ورواه أبو داود منفرداً به من حديث الثوري به

وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي حدثنا ايماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفيير وكثير بن مرة وعمر بن الأسود والمقدام بن معديكرب وأبي امامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » ( ولا تجسسوا ) أي على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس ، وأما التجسس فيكون غالبا في الخير كما قال عز وجل اخباراً عن يعقوب أنه قال ( يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف

الى رسول الله ﷺ قال لها « مالي أرى خضرة الاحم في أفواهكم ؟ » قالوا : والله يارسول الله ما تناولنا يوماً هذا اللحم قال « بل ظلمتم تأكلون لحم سلمان وأسامة » فأنزل الله عز وجل [ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ] وأراد أن يظن باهل الخير شراً « ان بعض الظن إثم » قال سفيان الثوري الظن ظنن ، أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم « ولا تجسسوا » التجسس هو البحث عن عيوب الناس . نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتبصير عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا »

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها أنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي أنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم أنا الفضل بن مومى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أبي أوفى بن دهم عن نافع عن ابن عمر



وأخيه ولا تياسوا من روح الله ) وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله اخوانا » وقال الاوزاعي التجسس البحث عن الشيء ، والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم والتدارب الصرم . رواه ابن أبي حاتم عنه

وقوله تعالى ( ولا يغتب بعضكم بعضا ) فيه نهي عن الغيبة وقد فسرهما الشارع كلاهما في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال ﷺ « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح ، ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء ، وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو اسحاق ومعاوية بن قرة

وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني علي بن الاقر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صغية كذا وكذا ، قال غير مسدد نعمي قصيرة فقال ﷺ « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قالت وحكيت له انسانا فقال ﷺ « ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا » ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثهم عن سفيان الثوري عن علي بن الاقر عن أبي حذيفة صلة بن صهيبه الارجبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح

رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وقال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خرا ؟ فقال انا قد نهينا عن التجسس ، فان يظهر لنا شيئا نأخذه به ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ يقول لا يتناول بعضكم بعضا يظهر الغيب بما يسوء مما هو فيه

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله ابن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أندرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال - ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول . قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي



وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن المحارق أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي ﷺ إلى أنها قصيرة فقال النبي ﷺ « اغتبتها » والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « ائذنوا له وبئس أخو العشيرة » وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضم عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتا على التحريم الشديد وقد ورد فيها الزجر الاكيد لهذا شهره اتيبارك وتعالى بأكل اقحم من الانسان الميت كما قال عز وجل (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي كما تكرهون هذا طبعافا كرهوا ذلك شرعا فان عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته « كالكلب يقي » ثم يرجع في قبته « وقد قال « ليس لنا مثل السوء » وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »

وقال ابو داود حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الاسود بن عامر حدثنا ابو بكر بن عياش عن الاعمش عن سعيد بن عبد الله بن خديج عن أبي برزة الاسلمي قال : قال رسول الله ﷺ « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تقتلوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » تفرد به أبو داود وقد روي من حديث البراء بن عازب

فقال الحافظ ابو يعلى في مسنده حدثنا ابراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب [ رض ] قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العوانق في بيوتها أو قال في خدورها فقال « يامعشر من آمن بلسانه لا تقتلوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته »

(طريق أخرى) عن ابن عمر قال ابو بكر أحمد بن ابراهيم الاماعيلي حدثنا عبد الله بن ناجية

أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن المثني بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا فقالوا لا يأكل حتى



حدثنا يحيى بن أكرم حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دهم عن نافم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم بغض الايمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما إلى السكبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك

قال ابوداود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا قتيبة عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص ابن ربيعة عن المستورد أنه حدثه أن النبي (ص) قال « من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء ، يوم القيامة » تفرد به ابوداود، وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقية وابو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » تفرد به ابوداود وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا ابو عبد الصمد بن عبد العزيز العمي أخبرنا ابو هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك قال « ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون الهمازون أصحاب الزميمة فيقال أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه » هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبعمان والله الحمد والمنة

وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله [ ص ] أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله [ ص ] فيقول ظلمت منذ اليوم صائما فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله ان امرأتين من أهلك ظلنا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فيفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله [ ص ] « ما صامتا وكيف صام من ظل يأكل من لحوم

يعظم ولا يرحد حتى يرحد فقال النبي ﷺ « اغتبتموه » فقالوا انما حدثنا بما فيه قال « حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه »

قوله عز وجل « أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » قال مجاهد لما قيل لهم أحب



الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيتا ففعلتا فقات كل واحدة منهما عاتقة فأنى النبي [ص] فأخبره فقال رسول الله [ص] «لو ماتتا وهما فيهما لا كلمتهما النار» [إسناده ضعيف ومتن غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله (ص) ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله (ص) وان رجلا أتى رسول الله [ص] فقال يا رسول الله ان ههنا امرأتين صامتا وانهما كادتتا تموتان من العطش أراء قال بالهجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا بني الله انهما والله قد ماتتا أو كادتتا تموتان فقال «ادعهما» فجاءتا قال فبجي - بقبح أو عس فقال لاحدهما «قيتي» فقات من قيح ودم وصديد حتى قات نصف القدح ثم قال للآخرى «قيتي» فقات قيحا ودمًا وصديدًا ولحما ودمًا عبيطًا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال «ان هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احدهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»

وهكذا رواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي به مثله أو نحوه ، ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله [ص] انهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال يا رسول الله فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال «ادعها» فجاء بهن أو قدح فقال لاحدهما «قيتي» فقات لحما ودمًا عبيطًا وقيحا وقال للآخرى مثل ذلك ثم قال «ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما» أتت احدهما الاخرى فلم تزلتا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا» قال البيهقي كذا قال عن سعد بن الوليد وهو عبيد أصبح

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو بن الضحاك بن محمد حدثنا أبي ثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر (١) لا يهرقان ما عزا جاء الى رسول الله [ص] فقال يا رسول الله انى قد زينت فأعرض عنه حتى قالما أربعا فلما كان في الخامسة قال «زينت؟» قال نعم قال «وتدري ما الزنا؟» قال نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال «ما تريد الى هذا القول؟» قال أريد أن تطهرنى قال فقال رسول الله [ص] «أدخلك ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟» قال نعم يا رسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي [ص] رجلا يقول أحدهما لصاحبه ألم تر الى هذا الذي حرم الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم المكلب ثم سار النبي [ص] حتى مر بجيفة حمار

(١) عمر بن شريك الميم  
مبني للمجهول

أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فقالوا لا قيل فكرهتموه أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضر بك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك . أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فضال عن ابن أبي شيبة «تفسير ابن كثير والبقوي» ( ٤ ) «الجزء الثامن»



فقال « أين فلان وفلان؟ انزلا فسلما من جيفة هذا الحمار » قالوا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم « فما نلتما من أخيكما آتيا أشد أكلًا منه والذي نفسي بيده انه الآن اني أنهار الجفة ينغمس فيها » اسناد صحيح

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله (رض) قال كنا مع النبي (ص) فأرفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يقتلون الناس؟ »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي (ص) في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي ﷺ « ان نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح » وربما قال « فلذلك هاجت هذه الريح »

وقال السدي في قوله تعالى ( أحب أهلكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ) زعم ان سلمان الفارسي (رض) كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدما ويخف بهما وينال من طعامهما وان سلمان (رض) لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان (رض) نائمًا لم يسمر معهم فجعل صاحبا يكلاه فلم يجداه ففصر بهما الحياء فقالا ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئًا غير هذا أن يجيء الى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه الى رسول الله ﷺ يطلب لهما ادا ما فانطلق فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثني أصحابي اتؤدّمهم ان كان عندك قال (ص) « ما يصنع أصحابك بالادم؟ قد اتدّموا » فرجع سلمان (رض) يخبرهما بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فقالا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا قال رسول الله ﷺ « انك قد اتدّمتم باسلمان بقولكما » قال ونزلت [ أحب أهلكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ] انه كان نائمًا

(١) وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضها في الاسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فتأما فاستيقظا ولم يهبي لهما طعاما فقالا ان هذا النورم فأيقظاه فقالا له انت رسول الله ﷺ فقل له ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام وبستانك فقال ﷺ « انهما قد اتدما فجاءا فقالا يا رسول الله بأي شيء اتدمننا؟ فقال ﷺ « بلحم

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

ثنا الفريابي ثنا محمد بن المصنف ثنا ابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » قال ميمون بن سياه يننا أنا نائم إذا أنا



أخيكم والذي نفسي بيده اني لأرى لحمه بين ثنايا كما « فقال رضي الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال ﷺ « مرأه فليستغفر لكما »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة [ رض ] قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كذا ميتا كما أكلته حيا - قال - فبأكله وبكاحه وبصبح « غريب جداً وقوله عز وجل ( واتقوا الله ) أي فباأمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ( إن الله تواب رحيم ) أي تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه

قال الجمهور من العلماء طريق المقتاب للناس في توبته أن يقام عن ذلك ويعزم على أن لا يعود وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع وأن يتعمل من الذي اغتابه

وقال آخرون لا يشترط أن يتعمله فانه اذا أعلمه بذلك ربما نأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه اذن أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه القبية بحسبه وطاقته لتكون تلك تلك كما قال الامام احمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبدالله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبدالله بن ساجان أن امما عيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من حمى مؤمنا من منافق يقتله بعث الله تعالى إليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنا بشي يريده حبه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال « وكذا رواه ابوداود من حديث عبدالله وهو ابن المبارك به بنحوه

وقال ابوداود أيضا حدثنا إسحاق بن الصباح حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم أنه سمع امما عيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبدالله وأبا طلحة بن سهل الانصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ « ما من امرئ مسلم في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في موطن يحب فيها نصرته ، وما من امرئ مسلم في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة الا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيها نصرته « تفرد به ابوداود

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم

عند الله أتقوا الله إن الله عليم خبير ( ١٣ )

بجيفة زنجي وقائل يقول كل ، قلت يا عبد الله ولم آكل ؟ قال بما اغتبت عبد فلان ، فقالت والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً قال لكنك استمعت ورضيت به فكان مبمون لا يقتاب أحداً ولا بدع أحداً أن يقتاب أحداً ( واتقوا الله إن الله تواب رحيم \* يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ) الآية



يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل مراتب أخر كالنصائل والعشائر والعائير والاختاذ وغير ذلك ، وقبل المراد بالشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب كان الاسباط بطون بني إسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعها من كتاب الانباء لابي عمر بن عبد البر ، ومن كتاب ( القصد والامم في معرفة انساب العرب والعجم ) فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضها منها على تساوهم في البشرية ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ) أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد في قوله عز وجل ( لتعارفوا ) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من

قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس ، وقوله لرجل الذي لم يتفصح له ابن فلانة يعبره بأمة فقال ﷺ « من الذاكر فلانة؟ » فقال ثابت أنا يا رسول الله فقال « انظر في وجوه القوم » فنظر فقال « مارأيت يا ثابت؟ » قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال « فانك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى » فنزلت في ثابت هذه الآية وفي الذي لم يتفصح ( يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ) وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب ابن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم ، قال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا؟ وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره ، وقال أبو سفيان اني لأقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا فدعاهم وسألم عما قالوا فأقرؤا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فقال ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ) يعني آدم وحواء أي انكم متساوون في النسب ( وجعلناكم شعوبا ) جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوز والخزرج سموا شعوبا لشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ، والشعب من الاضداد يقال شعب أي جمع وشعب أي فرد ( وقبائل ) وهي دون الشعوب واحدها قبيلة وهي كبر من ربيعة ونعيم من مضر ، ودون القبائل العائير واحدها عمارة بفتح العين وهي كشيان من بكر ودارم من نعيم ، ودون العائير البطون واحدها بطن وهي كبنى غالب ولؤي من قريش ، ودون البطون الاختاذ واحدها فخذ وهم كبنى هاشم وأميه من بني لؤي ، ثم النصائل والعشائر واحدها فصيلة وعشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف به ، وقيل الشعوب من العجم ، والقبائل من العرب ، والاسباط من بني إسرائيل ، وقال أبو روق الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد بل ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم ( لتعارفوا ) ليعرف بعضهم بعضاً في قرب النسب وبعده



قبيلة كذا وكذا، وقال سفيان الثوري كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها

وقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى المنبث عن أبي هريرة [رض] عن النبي ﷺ قال «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أي إنما تفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا ليس عن هذا نسألك قال «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» قالوا ليس عن هذا نسألك قال «فمن معادن العرب تسألوني؟ قالوا نعم قال «فخيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمري به

(حديث آخر) قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر بن أبي ذر [رض] قال إن النبي ﷺ قال له «انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضل به تقوى الله» تفرد به أحمد رحمه الله

(حديث آخر) وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم

لا يتفاخروا ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) قال قتادة في هذه الآية إن أكرم الكرم التقوى والأثم الفجور

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم التبراني أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة ابن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «الحسب المال، والكرم التقوى» قال ابن عباس كرم الدنيا الغني، وكرم الآخرة التقوى



العسكري حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائي سمعت محمد بن حبيب بن خراش المصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «المسلمون اخوة لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»

(حديث آخر) قال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم بفخرون بآبائهم أو يكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» ثم قال لا تعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده فما وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن المسيل فأنخت ثم ان رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال «يا أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ان الله عز وجل يقول ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ) - ثم قال ﷺ - أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن محمد بن موسى بن عبيدة به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال «ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحدكم بنو آدم طف الصاع لم يملوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا إبراهيم بن خزيمة ثنا عبد الله بن حميد أنا الضحاك بن محمد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر «ان النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجن فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال «الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها إنما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - ثم قال - أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد الله بن حميد عن أبي سعيد بن أبي هريرة قال «سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال «فأكرم



وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا « وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لميعة به ولفظه « الناس لا دم وحواء طف الصاع لم يملوه ان الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن ممالك عن عبد الله بن عمر زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب [رض] قالت قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال ﷺ « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم »

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا ح- بن حدثنا ابن لميعة حدثنا أبو الاسود عن القاسم بن محمد عن عائشة [رض] قالت ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى . تفرد به أحمد

وقوله تعالى ( إن الله عليم خبير ) أي عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء . وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله وقد استدلل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاية في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في [ كتاب الأحكام ] والله الحمد والمنة وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن انه سمع رجلا من بني هاشم يقول أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره أنا أولى به منك ولي منه نسبة

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم

وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلستم من أعملكم شيئا ، إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون

الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله « قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال « فعن معادن العرب تسألوني ؟ » قالوا : نعم ، قال « فخيركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمرو الناقد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم »

قوله تعالى ( قالت الاعراب آمنا ) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمه قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقتل والسرقة



الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم  
الصدقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل  
شيء عليم (١٦) يمشون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن  
هداكم للدين إن كنتم صدقين (١٧) إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير  
بما تعملون (١٨)

يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم  
يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد ( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان  
في قلوبكم ) وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة  
والجماعة وبدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن  
الاحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عاصم بن سعد بن أبي وقاص  
عن أبيه [رض] قال أعطى رسول الله ﷺ رجلاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً فقال سعد [رض] يا رسول  
الله أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن فقال النبي [ص] « أومسلم » حتى أعادها سعد  
[رض] ثلاثاً النبي (ع) يقول « أومسلم » ثم قال النبي (ص) « اني لا أعطي رجلاً وأدع من هو أحب  
إلي منهم فلم أعطه شيئاً مخافة أن يكبو في النار على وجوههم » أخرجه في الصحيحين من حديث الزهري  
به فقد فرق النبي (ص) بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام وقد قررنا ذلك

وأغلو أعمارها وكانوا يقدرون ويروحون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون أنتك العرب بانفسها  
على ظهور رواحها وجشاك بالانفال والعيال والفراري ولم تقانك كما قانك بنو فلان وبنو فلان يمشون  
على النبي صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية ، وقال  
السدي نزلت في الأعراب الذين ذكروهم الله في سورة الفتح وهم أعراب من جبهنة ومزينة وأسلم  
وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليؤمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا  
فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم قالت الأعراب آمنا صدقنا ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾  
اتقنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ فأخبر أن حقيقة الإيمان  
التصديق بالقلب وإن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالبدان لا يكون إيماناً دون التصديق  
بالقلب والأخلاص



بأدلته في أول شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري والله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الاسلام فدل هذا على أن هؤلاء الاعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وانما هم مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا اليه فادعوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير ، وانما قلنا هذا لان البخاري رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك

وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى [ ولكن قولوا أسلمنا ] أي استسلمنا خوف القتل والسبي ، قال مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمه ، وقال قتادة نزلت في قوم امتنوا بايمانهم على رسول الله ﷺ والصحيح الاول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد فادعوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا اليه بعد ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة وانما قيل هؤلاء تأديباً [ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ] أي لم تصلوا إلى حقيقة الايمان بعد

ثم قال تعالى [ وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس منكم سخطاً ] أي لا ينقصكم من اجوركم شيئاً كقوله عز وجل [ وما ألتناكم من عملهم من شيء ] وقوله تعالى [ ان الله غفور رحيم ] أي لمن تاب اليه وأتاب

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن ابراهيم ثنا محمد بن غريب الزهري ثنا يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب أخبرني عامر ابن سعد عن أبيه قال « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا جالس فيهم قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقممت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسارته فقلت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمناً ؟ قال « أو مسلماً » قال فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمناً ؟ قال « أو مسلماً » فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمناً ؟ قال « أو مسلماً » قال « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكذب في النار على وجهه » فالاسلام هو الدخول في السلم وهو الاقياد والطاعة يقال أسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال أشنى الرجل إذا دخل في الشتاء وأصاف إذا دخل في الصيف وأربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لا ابراهيم عليه السلام [ أسلم قال أسلمت لرب العالمين ] ومنه ما هو اقياد باللسان دون القلب وذلك قوله [ ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ] « وان تطيعوا الله ورسوله » ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانية قال ابن عباس نخلصوا الايمان « لا يلتكم » فرأ أبو عمرو يأنتم بالالف كقوله تعالى [ وما ألتناكم ] والآخرون بغير الف وهما لفتان معناهما لا ينقصكم يقال ألت يألت ألتنا



وقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَامِلُونَ) أي (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَامِلُونَ) الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بلى ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض) (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه (أولئك هم الصادقون) أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الاعراب الذين ليس لهم من الايمان إلا الكلمة الظاهرة وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ قال «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والذي إذا أشرف على طمع تركه الله عز وجل»

وقوله سبحانه وتعالى (قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) أي أنخبرونه بما في ضمائركم (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (والله بكل شيء عليم)

ثم قال تعالى (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا أَسْلَمْتُ) يعني الاعراب الذين يمتنون باسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله ردا عليهم (قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا أَسْلَمْتُ) فان نفع ذلك إنما يعود عليكم والله المنة عليكم فيه (بل الله يمتن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين) أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للانصار يوم حنين «يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فأنفكم الله بي، وكنتم عالة فاعانكم الله بي» كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن سعيد الاموي عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت بنو أسد الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال رسول الله ﷺ «إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم» وزلت هذه الآية [يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا]

ولات يليت ليتنا إذا نقص (من أعمالكم شيئا) أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا (إن الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا في دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) في إيمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان أنت الاعراب رسول الله ﷺ يخلفون بالله أنهم مؤمنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فأنزل الله عز وجل (قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) والتعليم هنا بمعنى الاعلام ولذلك قال بدینکم وأدخل الباء فيه يقول أنخبرون الله بدینکم الذي أنتم عليه (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) أي لا يحتاج الى اخباركم (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا



قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هذا كم اللامان ان كنتم صادقين [ثم قال لانعلمه بروى إلا من هذا الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات فقال [إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون]

(آخر تفسير سورة الحجرات والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة)

## تفسير سورة ق وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المنفصل على الصحيح وقيل من الحجرات، وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد ثنا سليمان بن حبان وهذا لفظه عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدما على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبه رضي الله عنه وأزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له قال مسدد وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله [ص] كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام فأكثر ما يحدثنا [ص] ما لقي من قومه قريش ثم يقول [ص] لا أسأ، وكننا مستضعفين مستذابين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا الى المدينة كانت الحرب سجالا بيننا وبينهم ندال عليهم ويدلون علينا فلما كانت ليلة أباطا عنا رسول الله ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا لقد ابطأت علينا الليلة قال رسول الله ﷺ «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى آتته»

قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به، اذا علم هذا فاذا عدت ثمانيا وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق بيانه ثلاث : البقرة، آل عمران والنساء وخمس : المائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة

علي اسلامكم (أي باسلامكم) بل الله يمن عليكم أن هذا كم اللامان (وفي مصحف عبد الله) اذ هذا كم للامان (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء



وسمع : يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنمل ، وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والانبياء ، والحج والمؤمنون والنور والفرقان ، وأحد عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس ، وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحمل السجدة وحمل عسق والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلنا والله الحمد والمنة

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن حمزة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به وفي رواية لمسلم عن مالك عن حمزة عن عبد الله عن أبي واقد قال سألت عمر رضي الله عنه فذكره

(حديث آخر) وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي ثنا ابن اسحاق حدثني عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم من حديث ابن اسحاق به ، وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنه الحارث بن الزمان قالت ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة قالت وكان تنورنا وتنور رسول الله (ص) واحدا وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به ، والقصد أن رسول الله (ص) كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء

﴿سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم السورة وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقال



عجيب (٢) أءذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجعت بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا

كتب حفيظ (٤) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥)

(ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أول السور كقوله تعالى (ص - ون - والم - وح - وطس) ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل يحيط بجميع الارض يقال له جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني اسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اخلاق بعض نادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما اقترى في هذه الامة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشرهم -م الخمر وتحريف علمائهم الكلام عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته، وانما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله «وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان وبغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة حتى ان الامام أباه محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد ههنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن اسماعيل الخزومي حدثنا ايث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الارض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف السماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الارض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى (والبحر يمد من سبعة أبحر) فاسناد هذا الاثر فيه انقطاع. والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (ق) هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى [ص - ن - حم - طس - الم] ونحو ذلك فهذه تبع ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل

القرظي هو مفتاح اسمه القدير والقادر والظاهر والقريب والقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل يحيط بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفها ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، وقيل معناه قضى الامر أو قضى ما هو كائن كما



المراد قضي الامر والله وأن قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر :  
 « قلت لما قني فقات ق » وفي هذا التفسير نظر لان الحذف في الكلام انما يكون اذا دل  
 دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف.

وقوله تعالى ( والقرآن المجيد ) أي الكريم العظيم الذي [ لا بآتيه الباطل من بين يديه ولا من  
 خلفه تنزيل من حكيم حميد ] واختلفوا في جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه  
 قوله تعالى [ قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ] وفي هذا نظر بل الجواب هو  
 مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقديره وتحقيقه وإن لم يكن القسم يتلقى  
 لفظا وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله [ ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة  
 وشقاق ] وهكذا قال ههنا ( ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا  
 شيء عجب ) أي تعجبوا من ارسال رسول اليهم من البشر كقوله جل جلاله [ أكان للناس عجباً أن  
 أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ] أي وليس هذا بعجيب فان الله بصطفي من الملائكة رسلا  
 ومن الناس . ثم قال عز وجل يخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه [ أنذا متنا  
 وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ] أي يقولون أنذا متنا وبلينا وتقطعت الاوصال منا وصرنا تراباً كيف  
 يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ( ذلك رجع بعيد ) أي بعيد الوقوع ، والمعنى أنهم  
 يعتقدون استحالة وعدم امكانه قال الله تعالى راداً عليهم ( قد علمنا ما تنقص الارض منهم ) أي  
 ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الابدان وأين ذهبت وإلى أين  
 صارت ( وعندنا كتاب حفيظ ) أي حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الاشياء مضبوطة

قالوا في حم ( والقرآن المجيد ) الشريف الكريم على الله الكثير الخير ، واختلفوا في جواب هذا القسم  
 فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقبل جوابه محذوف مجازه والقرآن المجيد لتبعثن وقبل جوابه قوله  
 ما يلغظ من قول وقبل قد علمنا وجوابات القسم سبعة ان الشديدة كقوله [ والفجر وليال عشر - ان  
 ربك لبالمرصاد ] وما النبي كقوله [ والضحي - ماودعك ربك ] والام المفتوحة كقوله [ فوربك لنسألنهم  
 أجمعين ] وان الخفيفة كقوله تعالى [ نأله ان كنا في ضلال مبين ] ولا كقوله [ وأقسموا بالله جهد  
 أيمانهم لا يبعث الله من يموت ] وقد كقوله تعالى [ والشمس وضحاها - قد أفلح من زكاه ] وبل  
 كقوله والقرآن المجيد ( بل عجبوا أن جاءهم منذر ) مخوف ( منهم ) يعرفون نسبة وصدقه وأمانة  
 ( فقال الكافرون هذا شيء عجب ) غريب ( أنذا متنا وكنا تراباً ) نبعث ترك ذكر البعث لدلالة  
 الكلام عليه ( ذلك رجع ) أي رد إلى الحياة ( بعيد ) غير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت



قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ) أي ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال ( بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ) أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل والمريج المختلط المضطرب الملتبس المذكر حاله كقوله تعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنينا زينا وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) وزرنا من السماء ماء مبركا فأنبثنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات

لها طلع نصيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)

يقول تعالى منها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستعدين لوقوعه ( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ) أي بالمصاييح ( وما لها من فروج ) قال مجاهد يعني من شقوق ، وقال غيره فتوق ، وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى [ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ] ثم أرجع البصر كرتين يقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير [ أي كليل عن أن يرى عيبا أو نقصا

وقوله تبارك وتعالى ( والأرض مددناها ) أي وسعناها وفرشناها ( وألقينا فيها رواسي ) وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ( وأنبتنا فيها من

قال الله عز وجل ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ أي ما تأكل من لحومهم ودماهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء قال السدي هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾ محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو القوح المحفوظ وقيل حفيظ أي حافظ لعندهم وأمانتهم ﴿ بل كذبوا بالحق ﴾ بالقرآن ﴿ لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ مختلط قال سعيد ابن جبير ومجاهد ملتبس قال قتادة في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج أمرهم وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال هو أنهم يقولون لنبينا ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ويقولون للقرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مغترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم دلم على قدرته فقال ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾ بغير عمد ﴿ وزيناها ﴾ بالكواكب ﴿ وما لها من فروج ﴾ شقوق وفتوق وصدوع واحد فرج ﴿ والأرض مددناها ﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبلا ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج



كل زوج بهيج ) أي من جميع الزروع والثمار والنبات والأتواع ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، وقوله بهيج أي حسن المنظر [ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ] أي ومشاهدة خلق السموات والارض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب أي خاضع خائف وجل رجاء إلى الله عز وجل

وقوله تعالى ( ونزلنا من السماء ماء مباركا ) أي نافعا فأنبتنا به جنات ) أي حدائق من بساتين ونحوها ( وحب الحصيد ) وهو الزرع الذي يراد لحيه وادخاره ( والنخل باسقات ) أي طوال شاهقات قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم الباسقات الطوال ( لها طلع نضيد ) أي منضود ( رزقا للعباد ) أي للخلق ( وأحيينا به بلدة ميتا ) وهي الارض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعد ما كانت لانيات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والملاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحسن أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل [ لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ]

وقوله تعالى [ أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى انه على كل شيء قدير ] وقال سبحانه وتعالى [ ومن آياته أنك ترى الارض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحيها المحيي الموتى انه على كل شيء قدير ]

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣)

بهيج ) حسن كريم بهيج به أي بسر بنظرة ( تبصرة ) أي جعلنا ذلك تبصرة ( وذكرى ) أي تبصيرا وتذكيرا ( لكل عبد منيب ) أي ليصبر ويذكر به ( ونزلنا من السماء ماء مباركا ) كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر ( فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ) يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وقيل حب الحصيد أي وحب النبت الحصيد ( والنخل باسقات ) قال مجاهد وعكرمة وقتادة طولا يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وقال سعيد بن جبير مستويات ( لها طلع ) ثم وحمل سمي بذلك لانه يطلع والطام أول ما يظهر قبل أن ينشق ( نضيد ) متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه فاذا خرج من أكمامه ليس بنضيد ( رزقا للعباد ) أي جعلناها رزقا للعباد ( وأحيينا به ) أي بالمطر ( بلدة ميتا ) أنبتنا فيها السكلا ( كذلك الخروج ) من القبور قوله عز وجل ( كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ) وهو تبع الحميري واسمه أسعد أبو كرب



وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعمينا بالخلق الاول؟ بل هم في لبس من خلق جديد (١٥)

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش بما احله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم من النقات والعذاب الاليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الفرق العام لجميع اهل الارض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان (ونود وعاد وفرعون واخوان لوط) وهم امنه الذين بعث اليهم من اهل سدوم ومعاملتها من القور وكيف خسف الله تعالى بهم الارض وأحال ارضهم بحيرة منقنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق (وأصحاب الايكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (وقوم تبع) وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن اعادته ههنا والله الحمد والشكر (كل كذب الرسل) اي كل من هذه الامم وهؤلاء القرون كذب رسولهم ومن كذب رسولاً فكأنها كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كذبت قوم نوح المرسلين) وانما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الامر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم (فحق وعيد) اي فحق عليهم ما واعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما اصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب اولئك

وقوله تعالى (أفعمينا بالخلق الاول؟) اي أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الاعادة؟ (بل هم في لبس من خلق جديد) والمعنى ان ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة اسهل منه كما قال عز وجل [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهلون عليه] وقال الله جل جلاله [وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه] قال من يحياي العظام وهي رميم؟ قل يحيايها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم [وقد تقدم في الصحيح] يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق بأهلون علي من اعادته «

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد (١٦)

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)

قال قتادة ذم الله قومه ولم يذمه ذكرنا قصته في سورة الدخان ﴿كل كذب الرسل﴾ أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل ﴿فحق وعيد﴾ وجب لهم عذابي ثم أنزل جواباً لقولهم ذلك رجم بعيد ﴿أفعمينا بالخلق الاول؟﴾ يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فعنيا بالاعادة؟ وهذا تقرير لهم لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ﴿بل هم في لبس﴾ أي في شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به﴾



٤٢ شمول علم الله تعالى لما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر (تفسير ابن كثير والبغوي)

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم

الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا

عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

يخبر تعالى عن قدرته على الانسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع اموره حتى انه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله [ص] انه قال «ان الله تعالى تجاوز لاني ما حدثت به انفسها لم تقل او تعمل»

وقوله عز وجل [ونحن اقرب اليه من حبل الوريد] يعني ملائكته تعالى اقرب الى الانسان من حبل وريده اليه ، ومن تأوله على العلم فانما فر لثلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالاجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل وأنا اقرب اليه من حبل الوريد وانما قال (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) كما قال في المحيضر (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) يعني ملائكته وكما قال تبارك وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالملائكة نزات بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة اقرب إلى الانسان من حبل وريده اليه باقدار الله جل وعلا لهم على ذلك ، فلملك لمة من الانسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، ولهذا قال تعالى ههنا (إذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الانسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي مرصد [ما يلفظ] أي ابن آدم [من قول]

نفسه ﴿يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضائره﴾ (ونحن اقرب اليه) أعلم به ﴿من حبل الوريد﴾ لان أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شيء ، وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الخلقوم والعلباوين يتفرق في سائر البدن والحبل هو الوريد فأضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه بحفظانه ويكتبانه ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات

﴿قعيد﴾ أي قاعد ولم يقل قعيدان لانه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة وقال أهل الكوفة أراد قعوداً كالرسول يجعل للثنين والجم كما قال الله تعالى في الاثنين فقولاً انا رسول رب العالمين ، قيل أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم قال مجاهد القعيد الرصد ﴿ما يلفظ من قول﴾ ما يتكلم من كلام فيأمله أي يرميه



أي ما يتكلم بكلمة [إلا لديه رقيب عتيد] أي إلا ولها من يرقبها ، هذا لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى ( وإن عليكم لحافظين \* كراما كاتبين \* يعلمون ما تفعلون )  
وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ؟ وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما على قوانين وظاهر الآية الأولى العموم قوله تبارك وتعالى [ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد]

وقد قال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن ابيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني [رض] قال قال رسول الله [ص] « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » فكان علقمة يقول كم من كلام قد متعنيه حديث بلال بن الحارث ، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح

وقال الاحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فان أصاب العبد خطيئة قال له امسك فان استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبي كتبها ، رواه ابن أبي حاتم وقال الحسن البصري ونلا هذه الآية [عن اليمين وعن الشمال قعيد] يا ابن آدم بسطت لك صحيفة و وكل بك ملكان كرميا أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت اقل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفةك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى ( وكل انسان أزناء طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا \* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) قال يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه يكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى

من فيه ( إلا لديه رقيب ) حافظ ( عتيد ) حاضر أينما كان

قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه ، وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أتينه في مرضه ، وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤثر عليه أو يؤثر فيه ، وقال الضحاك مجلسهما تحت الشفر على الخنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفتيه أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا اسمعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن عباس بن مهران ثنا طلوت ثنا حماد بن سلمة أنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ كاتب الحسنات على يمين الرجل



اذا كان يوم الخيس عرض قوله وعمله فآقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائرته وذلك قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وذكر عن الامام أحمد انه كان يثن في مرضه ببلغه عن طاوس انه قال يكتب الملك كل شيء حتى الانين فلم يثن أحمد حتى مات رحمه الله

وقوله تبارك وتعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يقول عز وجل وجاءت أبها الانسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه (ذلك ما كنت منه تحيد) أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص. وقد اختلف المفسرون في الخطاب بقوله [وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد] فالصحيح ان الخطاب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا ابراهيم بن زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو ابن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال ان عائشة رضي الله عنها قالت حضرت أبي (رض) وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فأخذته فشيعة فتمثلت بييت من الشعر

من لا يزال دمه مقنعا فانه لا بد من مدفوق

قالت فرجع رضي الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الخياط عن ابي عمار عن أبي خالد عن أبي قال لما ان ثقل أبو بكر [رض] جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يقضي التراء عن الفتى إذا حشر جت يوما وضاق بها الصدر

فكشفت عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك ولكن قولي (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

وقد أوردت لهذا الأثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول «سبحان الله ان للموت لسكرات»<sup>(١)</sup> وفي قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان أحدهما ان ما ههنا موصولة أي الذي كنت

(١) هذه العبارة مع حديث الطبراني غير موجودة في النسخة المكية

وكانت السيئات على يسار الرجل وكان الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمن عشرأ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمن لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته التي تفشي الانسان وتقلب على عقله (بالحق) أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك ما كنت منه تحيد) تميل قال الحسن تهرب، قال ابن عباس تكبره وأصل الحيد الميل يقال حدثت عن الشيء أحيد



منه تحيد بمعنى يتبعه وتتأذى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك ، والقول الثاني ان مانافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي حدثنا حفص عن ابن عمر الحدي حدثنا معاذ بن محمد الهذلي عن بونس بن عبيد عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب نطلبه الارض بدين فجاء بسعى حتى اذا أعبى وأسهر دخل جحره وقالت له الارض يا ثعلب دين فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات » ومضمون هذا المثل كما لا انفكك له ولا محيد عن الارض كذلك الانسان لا محيد له عن الموت وقوله تبارك وتعالى ( ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ) قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والغرز والصق والبعث وذلك يوم القيامة

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جيبته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يا رسول الله كيف نقول ؟ قال ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل ( وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ) أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية السكرية وهو اختيا ابن جرير

ثم روى من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى ثقيف قال سمعت عثمان بن عفان ( رض ) يخطب فقرأ هذه الآية ( وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ) فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد ، وقال مطرف عن أبي جعفر مولى أشجع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه ، وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا ، وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى ( لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ) أحدها أن المراد بذلك الكافر رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم

حيداً ومحيداً إذ ملئت عنه ( ونفخ في الصور ) يعني نفخة البعث ( ذلك يوم الوعيد ) أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه

قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد ( وجاءت ) ذلك اليوم ( كل نفس معها سائق ) يسوقها إلى المحشر ( وشهيد ) يشهد عليها بما عملت وهو عمله قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدي والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقال الآخرون هما جميعاً من الملائكة فيقول الله لها ( لقد كنت في غفلة من هذا ) اليوم في الدنيا ( فكشفنا عنك غطاءك )



وصالح بن كيسان ، والثاني أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لان الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالقنطرة والدنيا كاللثام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبدالله بن عبيد الله عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، والثالث أن المحاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة عن هذا القرآن قبل أن يوحى إليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله إليك فبصرك اليوم حديد ، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى ( لقد كنت في غفلة من هذا ) يعني من هذا اليوم ( فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ) أي قوي لان كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة اسكن لا ينفعهم ذلك

قال الله تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) وقال عز وجل ( ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون )

وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ( ٢٣ ) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ( ٢٤ ) مناع للخير

معتد مرئيب ( ٢٥ ) الذي جعل مع الله إلهاً آخر فآلقيامه في العذاب الشديد ( ٢٦ ) قال

قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ( ٢٧ ) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت

اليكم بالوعيد ( ٢٨ ) ما يبدل القول لدي وما أنا بظالم للعبيد ( ٢٩ )

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول ( هذا ما لدي عتيد ) أي معد محضر بلا زيادة ولا نقصان

وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم القدي وكلني به قد أحضرته ، وقد اختار ابن جرير انه يعم السائق والشهيد وله انجاء وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليفة بالعدل فيقول ( ألقيا في جهنم كل كفار عنيد )

الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك ( فبصرك اليوم حديد ) نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا ، وروي عن مجاهد قال يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك ( وقال قرينه ) الملك الموكل به ( هذا ما لدي عتيد ) معد محضر وقيل ما بمعنى من وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلني به من ابن آدم حاضر عندي وقد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله عز وجل لقرينه ( ألقيا في جهنم ) هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون ويلك أرحلها وأزجراها وخذاها واطلقها للواحد

قال الفراء وأصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان فجري كلام الواحد



وقد اختلف النحاة في قوله ( ألقيا ) فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنائية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول يا حرمي اضربا عنقه واما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر  
فان زجراني يا ابن عفان انزجر وان تتركاني أحم عرضا ممنعا

وقيل بل هي نون التأكيد سهلت إلى الالف وهذا بعيد لان هذا انما يكون في الوقف والظاهر انها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره الى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرها الله تعالى بالقائه في نار جهنم وبئس المصير ( ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ) أي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك ( مناع للخير ) أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا يرفيه ولا صلة ولا صدقة ( معتد ) أي فيما ينفعه وبصرفه يتجاوز فيه الحد

وقال قتادة معتد في منطقته وسيره وأمره ( مريب ) أي شك في أمره مريب لمن نظر في أمره ( الذي جعل مع الله إلها آخر ) أي أشرك بالله فعبد معه غيره ( فإلقياه في العذاب الشديد ) وقد تقدم في الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق اني وكنت بثلاثة بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلها آخر وبالمصورين ثم تنطوي عليهم

قال الامام احمد حدثنا شيبان هو ابن هشام عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكنت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم » ( قال قرينه ) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذي وكل به ( ربنا ما أطفئته ) أي يقول عن الانسان الذي قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول ( ربنا ما أطفئته ) أي ما أضلته ( ولكن كان في ضلال بعيد ) أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الاخرى في قوله ( وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كُفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم )

على صاحبيه ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي وقال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للمتقين ( كل كفار عنيد ) عاص معرض عن الحق قل عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله ( مناع للخير ) أي للزكات المفروضة وكل حق وجب في ماله ( معتد ) ظالم لا يقر بتوحيد الله ( مريب ) شك في التوحيد ومعناه داخل في الرب ( الذي جعل مع الله إلها آخر ) فإلقياه في العذاب الشديد ( وهو النار ) قال قرينه ( يعني الشيطان الذي قبض لهذا الكافر ) ( ربنا ما أطفئته ) ما أضلته وما أغويته ( ولكن كان في ضلال بعيد ) عن الحق فيبرأ عنه شيطانه



وقوله تبارك وتعالى ( قال لا تخضعوا لدي ) يقول الرب عز وجل للانسي وقرينه من الجن وذلك انهما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الانسي يارب هذا اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان ( ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ) أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لما ( لا تخضعوا لدي ) أي عندي ( وقد قدمت اليكم بالوعيد ) أي قد أعدت اليكم على السنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين ( ما يبدل القول لدي ) قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا قاض ( وما أنا بظلام للعبيد ) أي لست أعذب أحداً بذنب أحد ولكن لا أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه

يوم نقول لجهنم هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ ( ٣٠ ) وأزلفت الجنة للمتقين غير

بعيد ( ٣١ ) هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ ( ٣٢ ) من خشية الرحمن بالغيب وجاء بقلب

منيب ( ٣٣ ) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ( ٣٤ ) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ( ٣٥ )

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لانه تبارك وتعالى وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به اليها ويلقي وهي تقول هل من مزيد ؟ أي هل بقي شيء يزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الاسود حدثنا حرمي بن عمار حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلتقي في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يوضع قدمه فيها فتقول قط قط »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يوضع رب العزة قدمه فيها فينزوي

قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل قال قرينه يعني الملك قال سعيد بن جبير يقول الكافر يارب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع عنه الى الحق ( قال ) يعني يقول الله ( لا تخضعوا لدي ) وقد قدمت اليكم بالوعيد ( في القرآن ) وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسل وقضيت عليكم ما أنا قاض ( ما يبدل القول لدي ) لا تبدل لقولي وهو قوله ( لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال قوم معنى قوله ( ما يبدل القول لدي ) أي لا يكذب القول عندى ولا يغير القول عن وجهه لاني أعلم الغيب وهذا قول الكلبي واختيار الفراء لانه قال ( ما يبدل القول لدي ) لم يزل ما يبدل قولي ( وما أنا بظلام للعبيد ) فأعاقبهم بغير جرم ( يوم نقول لجهنم )



بعضها الى بعض وتقول قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه ، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضم الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال البخاري وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أرثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلي حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهناك تمتلي وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشيء لها خلقاً آخر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها » انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والاشراف ، وقالت الجنة أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى النار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ، وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضم قدمه عليها فنزوي وتقول قدني قدني ، وأما الجنة فيبقى فيها ماشاء الله تعالى ان يبقى فينشيء الله سبحانه وتعالى لها خلقاً ما يشاء »

قرأ نافع وأبو بكر بإيالا أي يقول الله لقوله قال لا تختصموا لدي وقرأ الآخرون بالنون ﴿ هل تفسيرا ابن كثير والبغوي ﴾ (٧) الجزء السابع



﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار ابن القاسم عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال « يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فاسجد سجدة برضى بها عني ثم أمدحه مدحة برضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمي على الصراط مضروب بين ظهري جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الاعمال وجهنم تسأل المزيدي حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض » قيل وما الحوض يا رسول الله ؟ قال ﷺ « والذي نفسي بيده ان شرا به أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وأرد من الثلج ، وأطيب ريحا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه انسان فيظلم أبدا ولا يصرف فيروى أبدا » وهذا القول هو اختيار ابن جرير

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الحماني عن نصر الجرار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ( يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ) قال ما امتلأت قال تقول وهل في من مكان زاد في ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة ( وتقول هل من مزيد ) وهل في مدخل واحد قد امتلأت ، قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مرثمة أنه سمع مجاهداً يقول لا يزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل في من مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى ( هل امتلأت ) إنما هو بعد ما يضع عليها قدمه فنزوي وتقول حينئذ هل بقي في مزيد بسع شيتا ، قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك حين لا يبقى فيها موضع بسع ابرة والله أعلم

امتلات ﴿ وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده ﴿ وتقول ﴾ جهنم ﴿ هل من مزيد ؟ ﴾ قيل معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلي فهو استفهام انكار هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل هذا استفهام بمعنى الاستزادة وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها ، وروى عن ابن عباس أن الله تعالى سبقت كلمته لاملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سبق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج الاذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألسنت قد أقسمت لفلاني فيضع قدمه عليها تعالى عما يقول الظالمون ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلات فليس في مزيد

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحيدري أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي أنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ



وقوله تعالى ( وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ) قال قتادة وأبو مالك والسدي ( وأزلفت ) أدنيت وقربت من المتقين ( غير بعيد ) وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لانه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب ( هذا ما توعدون لكل أواب ) أي رجاء تائب مقلم ( حفيظ ) أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ، وقال عبيد بن عمير الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل ( من خشى الرحمن بالغيب ) أي من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله عز وجل كقوله <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> « ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » ( وجاء بقلب منيب ) أي واتي الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه ( ادخلوها ) أي الجنة ( بسلام ) قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله

وقوله سبحانه وتعالى ( ذلك يوم الخلود ) أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ولا يظعنون أبداً ولا ييغون عنها حولا ، وقوله جلت عظمتة ( لهم ما يشاؤون فيها ) أي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير ابن مرة قال من المزيدي أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فامطره

« لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوي بعضها إلى بعض ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خاتماً آخر فيسكنه فضول الجنة » ( وأزلفت الجنة ) قربت وأدنيت ( للمتقين ) الشرك ( غير بعيد ) ينظرون اليها قبل أن يدخلوها ( هذا ما توعدون ) قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالثاء يقال لهم هذا الذي ترونه ما توعدون على السنة الانبياء عليهم السلام ( لكل أواب ) رجاء الى الطاعة عن المعاصي

قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخللا فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطاء هو المسيح من قوله يا جبال أوبي معه وقال قتادة هو المصلي ( حفيظ ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه أيضاً هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها قال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه قال الضحاك الحافظ على نفسه المتعهد لما قال الشعبي المراقب وقال سهل بن عبد الله هو الحافظ على الطاعات والأوامر ( من خشى الرحمن بالغيب ) محل من جر على نعت الأواب وقيل رفع على الاستئناف ومعنى الآية من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن اذا أرخى الستر وأغلق الباب ( وجاء بقلب منيب ) مخلص مقبل الى طاعة الله ( ادخلوها ) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوها أي ادخلوا الجنة ( بسلام ) بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ( ذلك يوم الخلود ) لهم



لسمكم؟ فلا بدعون بشيء إلا امطرهم قال كثير ابن اشهدني الله تعالى ذلك لأقولن امطرينا جوارى مزيّنات . وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن رسول الله ( ص ) قال له « إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا »

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن عامر الاحول عن أبي بكر الصديق ( رض ) عن أبي سعيد الخدري [ رض ] قال ان رسول الله ﷺ قال « اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة » ورواه الترمذي وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد: كما اشتهى

وقوله تعالى ( ولدينا مزيد ) كقوله عز وجل ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر الى وجه الله الكريم

وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي البقطان عن أنس ابن مالك [ رض ] في قوله عز وجل [ ولدينا مزيد ] قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة ، وقد رواه الامام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا قال في مسنده اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني ابو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة يضاء فيها نكتة الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ما هذه ؟ » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيّد قال النبي [ ص ] « يا جبريل وما يوم المزيّد ؟ » قال عليه السلام ان ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كذب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ماشاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكلاة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصدّيقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكشب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنين ولدي مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة . هكذا أورده الامام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الام وله طرق عن أنس بن مالك ( رض ) وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أثرأ مطولا عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة

ما يشاؤون فيها » وذلك انهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه وهو قوله « ولدينا مزيد » يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم . وقال جابر



وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لبيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ان الرجل في الجنة ليتسكى في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة وان ادنى اؤاؤة عليها تضي ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من انت ؟ فنقول انا من المزيدي وانه ليسكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وان عليها من التيجان ان ادنى اؤاؤة منها تضي ما بين المشرق والمغرب » وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦)

ان في ذلك لذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر على ما يقولون وصب

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبر السجود (٤٠) يقول تعالى وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين (من قرن هم أشد منهم بطشا) أي كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا ( فنقبوا في البلاد هل من محيص ) قال ابن عباس رضي الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد ( فنقبوا في البلاد ) ضربوا في الارض وقال قتادة فساروا في البلاد أي ساروا فيها يبتغون الارزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طعمتهم انهم بها ويقال لمن طوف في البلاد نكب فيها ، قال امرؤ القيس

لقد نكبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وقوله تعالى ( هل من محيص ؟ ) أي هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفهم ما جعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص . وقوله عز وجل ( ان في ذلك لذكرى ) أي لعبرة ( لمن كان له قلب ) أي لب يعي به ،

وأنس هو النظر الى وجه الله الكريم

قوله عز وجل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد ﴾ ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق ﴿ هل من محيص ﴾ فلم يجدوا محيصا من أمر الله وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا ، فيه انذار لأهل مكة أنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفر من الموت يموتون فيصيرون إلى عذاب الله ﴿ ان في ذلك ﴾ فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى ﴿ لذكرى ﴾ تذكرة وعظة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ قال ابن عباس أي



وقال مجاهد عقل (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه ، وقال مجاهد (أو ألقى السمع) يعني لا يحدث نفسه في هذا بقلب ، وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثوري وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فيه تقرير للمعاد لان من قدر على خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الاولى والآخرى ، وقال قتادة قالت اليهود عليهم لعائن الله خلق الله السموات والارض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه ونأولوه (وما مسنا من لغوب) أي من أعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الاخرى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن يقدر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) وكما قال عز وجل [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس] وقال تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها)

وقوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ثم نسخ في حق الامة وجوبه ، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الاسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيم حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «أما أنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة

عقل قال الفراء هذا جائز في العربية تقول مالك قلب وما قلبك معك أي ما عفاك معك ، وقيل له قلب حاضر مع الله ﴿أو ألقى السمع﴾ استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب الق إلي سمعك يعني استمع ﴿وهو شهيد﴾ يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه

قوله عز وجل ﴿ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ أعياء وتعب نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الايام الستة فقال «خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والانهار والاقوات يوم الاربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال وفي الثانية الآفة وفي الثالثة آدم» قالوا صدقت ان آمنت قال «وما ذاك؟» قالوا ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم



قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فأنزلوا » ثم قرأ ( وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب )  
ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث اسماعيل به  
وقوله تعالى ( ومن الليل فسبحه ) أي فصل له كقوله [ ومن الليل فتعبد به نافذة لك عسى أن  
يعتق ربك مقاماً محموداً ] ( وأدبار السجود ) قال ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله  
عنها هو التسبيح بعد الصلاة

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء فقراء المهاجرين  
فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبي ﷺ « وما ذاك ؟ »  
قالوا يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، قال  
ﷺ « أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل  
ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » قال فقالوا يا رسول الله سمعنا وأطعنا  
أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والقول الثاني أن  
المراد بقوله تعالى ( وأدبار السجود ) هما الركعتان بعد المغرب وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه  
الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي امامة رضي الله عنهم ، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي  
والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم

قال الامام أحمد حدثنا وكيم وعبد الرحمن عن سفيان عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن  
علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر  
وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة ، ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به زاد النسائي  
ومطرف عن أبي اسحاق به

( فاصبر على ما يقولون ) من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم ( وسبح بحمد  
ربك ) أي صل حمداً لله ( قبل طلوع الشمس ) يعني صلاة الصبح ( وقبل الغروب ) يعني صلاة  
العصر وروي عن ابن عباس قال قبل الغروب الظهر والعصر ( ومن الليل فسبحه ) يعني صلاة  
المغرب والعشاء وقال مجاهد ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلى ( وأدبار السجود ) قرأ أهل  
الحجاز وهمزة وإدبار السجود بكسر الهمز مصدر أدبر أديراً وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر  
قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي ( أدبار السجود )  
الركعتان بعد صلاة المغرب ( وأدبار النجوم ) الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس  
وروي عنه مرفوعاً هذا قول أكثر المفسرين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل أنا أبو جعفر محمد بن أحمد  
ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج



وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الهمداني حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بت ليلة عند رسول الله ﷺ فصلتي ركعتين خفيفتين القتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس « ركعتين قبل صلاة الفجر ادبار النجوم ، وركعتين بعد المغرب ادبار السجود »

ورواه الترمذي عن هشام الرقاعي عن محمد بن فضيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما . فأما هذه الزيادة فغيرية لا نعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم

عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشده معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا صالح بن عبد الله ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثني ثنا بديل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله ابن مسعود أنه قال ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال مجاهد قوله أدبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الدروقي الطوماني بها أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن أيوب أنا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق أنا يزيد أنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم « قال كيف ذا ؟ » قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا



واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) انا نحن نحيي ونميت والينا المصير (٤٣) يوم تشقق الارض عنهم سرانا ذلك حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٤٥)

يقول تعالى (واستمع) يا محمد (يوم يناد المناد من مكان قريب) قال قتادة قال كعب الاحبار يا امرأ الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والاورال المنقطعة إن الله تعالى يأمر كن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون (ذلك يوم الخروج) أي من الاجداث (انا نحن نحيي ونميت والينا المصير) أي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واليه مصير الخلائق كلهم فيجازي كلا بعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر

وقوله تعالى (يوم تشقق الارض عنهم سرعا) وذلك أن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالما. فاذا تكاملت الاجساد أمر الله تعالى اسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الارواح في ثقب في الصور فاذا نفخ اسرافيل فيه خرجت الارواح تتوهج بين السماء والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمه فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في الديدن وتنشق الارض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سرعا مبادرين إلى أمر الله عز وجل [مهطعين إلى الداع

وأنفقوا من فضول أموالهم ولا يستلنا أموال قال «أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله؟ تسبعون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً»

قوله عز وجل (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي قال مقاتل يعني اسرافيل ينادي بالحشر: يا أيتها العظام البالية والاورال المنقطعة والاحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمر كن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلاً (يوم يسمعون الصيحة بالحق) وهي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي ونميت والينا المصير) \* يوم تشقق الارض عنهم سرعا (جمع سريع أي يخرجون سرعا



يقول الكافرون هذا يوم عسر [ وقال الله تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبئتم إلا قليلا ) وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض »

وقوله عز وجل ( ذلك حشر علينا يسير ) أى تلك إعادة سهلة علينا بسيرة لدينا كما قال جل جلاله [ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ] وقال سبحانه وتعالى [ ما خلقكم ولا بهنكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ]

وقوله جل وعلا ( نحن أعلم بما يقولون ) أى نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولك ذلك كقوله [ ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ]

وقوله تبارك وتعالى ( وما أنت عليهم بجبار ) أى ولست بالذى تجبر هؤلاء على الهدى وليس ذلك مما كلفت به ، وقال مجاهد والضحاك ( وما أنت عليهم بجبار ) أى لا تجبر عليهم والقول الاول أولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جباراً عليهم وإنما قال ( وما أنت عليهم بجبار ) بمعنى وما أنت بمجبرهم على الايمان انا أنت مبلغ ، قال الفراء سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عز وجل ( فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ) أى بلغ أنت رسالتك فانا يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى [ فانا عليك البلاغ وعلينا الحساب ] وقوله جل جلاله ( فذكر انا أنت مذكر لست عليهم بمسيطر - ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء - انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) ولهذا قال تعالى ههنا ( وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ) كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار بارحيم .

﴿ آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

﴿ ذلك حشر علينا ﴾ جمع علينا ﴿ يسير ﴾ نحن أعلم بما يقولون ﴿ يعني كفار مكة في تكذيبك ﴾ وما أنت عليهم بجبار ﴿ بمسلط نجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكراً ﴾ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴿ أي ما أوعدت من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴾ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴿





## تفسير سورة الذاريات وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والذاريات ذرواً (١) فالحمّلات وقرأ (٢) فالجريّات يسراً (٣) فالملقّسات أمراً (٤) انما  
توعدون لصادق (٥) وان الدين لواقع (٦) والسماء ذات الحُبّك (٧) انكم لفي قول مختلف (٨)  
يؤفّك عنه من أفك (٩) قتل الخراصون (١٠) الذين هم في غمرة ساهون (١١) يستلون أيان  
يوم الدين (١٢) يوم هم على النار يُفْتَنُونَ (١٣) ذوقوا فتنكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (١٤)  
قال شعبة بن الحجاج عن سماك بن خالد بن عرعة أنه سمع علياً رضي الله عنه وشعبة أيضاً عن  
القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع علياً رضي الله عنه ، وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير  
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال : لانسألوني عن آية في كتاب  
الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك فقام اليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين  
ما معنى قوله تعالى ( والذاريات ذرواً ) قال علي رضي الله عنه الريح ، قال ( فالحمّلات وقرأ ) قال  
رضي الله عنه السحاب ، قال ( فالجاريات يسراً ) قال رضي الله عنه السفن ، قال ( فالملقّسات أمراً )  
قال رضي الله عنه الملائكة

وقد روي في ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن هانيء حدثنا  
سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء  
صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذرواً  
فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته قال فاخبرني عن الملّقات

﴿سورة الذاريات مكية وهي ست وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والذاريات ذرواً﴾ يعني الرياح التي تذرّو التراب ذرواً يقال ذرت الريح التراب وأذرت  
﴿فالحمّلات وقرأ﴾ يعني السحاب التي تحمل ثقلها من الماء ﴿فالجاريات يسراً﴾ هي السفن تجري  
في الماء جرياً سهلاً ﴿فالملقّسات أمراً﴾ هي الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به أقسم



أمرنا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته، قال فأخبرني عن الجاريات يسرا قال رضي الله عنه هي السفن ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت فلما برد دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أئمن الناس من مجالسته فلم ينزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه فحلف بالإيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب عمر ما أخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس

قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة ابن وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر [رض] ، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره أنها يسأل تغتتا وعناداً والله أعلم وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرهما ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل إن المراد بالجاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقر السحاب كما تقدم لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلت نفسي لمن أسلمت له المزن نحمل عذبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسعات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى (أما توعدون لصديق) أي لخبر صدق (وان الدين) وهو الحساب (لواقع) أي لكائن لا محالة

ثم قال تعالى (والسماء ذات الحبيب) قال ابن عباس رضي الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والريثم بن أنس وغيرهم ، وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهم مثل تجمع الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحبيب

هذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر القسم عليه فقال ﴿ان ما توعدون﴾ من الثواب والعقاب ﴿لصادق وان الدين﴾ الحساب والجزاء ﴿لواقع﴾ لكائن ثم ابتداء قسما آخر فقال ﴿والسما ذات الحبيب﴾ قال ابن عباس وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للفساج إذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبيكه قال سعيد بن جبير ذات الزينة قال الحسن حبيكت بالنجوم قال مجاهد هي المنقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبيك الماء إذا ضربته الريح



قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عليه حدثنا ايوب عن أبي قلابة عن رجل من اصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان من ورائكم الكذاب المضل وان رأسه من ورائه حبكا حبكا يعني بالحبك الجمودة وعن أبي صالح ذات الحبك الشدة وقال خصيف ذات الحبك ذات الصفاقة ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحبك حبكت بالنجوم

وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [ والسما ذات الحبك ] يعني السما السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السما التي فيها الكواكب النابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله أعلم ، وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فأنهما من حسنهما مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات

وقوله تعالى [ انكم لفي قول مختلف ] أي انكم أيها المشركون المكذبون لارسال لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع وقال قتادة انكم لفي قول مختلف ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به [ يؤفك عن أفك ] أي انما يروج على من هو ضال في نفسه لانه قول باطل انما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غير لافهم له كما قال تعالى [ فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الامن هو صال الجحيم ] قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدى [ يؤفك عنه من أفك ] يضل عنه من ضل وقال مجاهد [ يؤفك عنه من أفك ] يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به

وقوله تعالى [ قتل الخراصون ] قال مجاهد الكذابون قال وهي مثل التي في عبس [ قتل الانسان ما أكرهه ] والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ( قتل الخراصون ) أي لعن المرتابون

وحبك الرمل والشعر الجعد ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهي جمع حبك وحبكة ، وجواب القسم قوله ( انكم ) يا أهل مكة ( لفي قول مختلف ) في القرآن وفي محمد ﷺ يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب ( يؤفك عنه من أفك ) يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه يعني من حرمة الله الايمان بمحمد ﷺ وبالقرآن وقيل عن بمعنى من أجل أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الايمان من يصرف وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد ( قتل الخراصون ) لعن الكذابون



٦٢ ثناء الله على المتقين وأقوال السلف في الاحسان والتهجد والاستغفار (تفسير ابن كثير والبغوي)

وهكذا كان معاذ [رض] يقول في خطبته هلاك المرتابون، وقال قتادة الخراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى (الذين هم في غمرة ساهون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في الكفر والشك غافلون لاهون (يسألون أيان يوم الدين) وأنا يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون)

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون قال مجاهد كما يفتن الذهب على النار، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون بحرقون (ذوقوا فتنكم) قال مجاهد حريقكم وقال غيره عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي يقال لهم ذلك تقر بها وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً والله أعلم

إن المتقين في جنّات وعيون (١٥) آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك

محسنين (١٦) كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون (١٧) وبالأصباح هم يستغفرون (١٨) وفي

أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيت للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم

أفلا تبصرون؟ (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فرب السماء والأرض إنه

لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن المتقين الله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والاغلال

وقوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال ابن جرير أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض أنهم كانوا قبل ذلك محسنين أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الاعمال أيضاً ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس [رض] في قوله

يقال تخرص على فلان الباطل وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة (الذين هم في غمرة) غفلة وعمى وجهالة (ساهون) لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وهو ذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين؟) يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيباً واستهزاء قال الله عز وجل (يوم هم) أي يكون يوم الجزاء في يوم هم (على النار يفتنون) أي يعذبون وبحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وقيل على بمعنى الباء أي بالنار وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنكم) عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا تكذيباً به (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم) اعطاهم (ربهم)



تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال من الفرائض (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قبل الفرائض يعملون، وهذا الاسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن أبي مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لان قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والقبطة

وقوله عز وجل (انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدار الدنيا (محسنين) كقوله جل جلاله (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) ثم انه تعالى بين احسانهم في العمل فقال جل وعلا [كانوا قليلا من اليل ما يجمعون] اختلف المفسرون في ذلك على قولين أحدهما ان ما نافية تقديره كانوا قليلا من اليل لا يجمعونه

قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا، وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل اما من أولها واما من أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك [رض] وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء

وقال ابو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة، والقول الثاني ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من اليل هجوعهم ونومهم واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري (كانوا قليلا من اليل ما يجمعون) كابدوا قيام اليل فلا ينامون من اليل الا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر، وقال قتادة قال الاحنف بن قيس (كانوا قليلا من اليل ما يجمعون) كانوا لا ينامون الا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية

وقال الحسن البصري كان الاحنف بن قيس يقول عرضت عملي على أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا اذا قوم لا نبليهم أعمالهم كانوا قليلا من اليل ما يجمعون، وعرضت عملي على أهل النار فاذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله ويرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رجل من بني تميم لابي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا

من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخولهم الجنة (محسنين) في الدنيا (كانوا قليلا من اليل ما يجمعون) والهجوم النوم بالليل دون النهار وما صلة، والمعنى كانوا يجمعون قليلا من اليل أي يصلون أكثر اليل وقيل معناه كان اليل الذي ينامون فيه كله قليلا وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من أولها او من أوسطها قال أنس



٦٤ ثناء الله على المتقين وأقوال السلف في الاحسان والتعبد والاستغفار (تفسير ابن كثير والبغوي)

ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبي رضي الله عنه طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذ استيقظ

وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس اليه فكنت فيمن انجفل فلما رايت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته ﷺ يقول «يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»

وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة غرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لمن هي يارسول الله ؟ قال ﷺ «من ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام» وقال معمر في قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثير أمن الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبلا سحرهم يستغفرون) وهذا القول فيه بعد وتعسف

ابن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة أنت عليهم هجعوها كلها قال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ، ووقف بعضهم على قوله قليلا أي كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون وجعله جحدا أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وبلا سحرهم يستغفرون قال الحسن لا ينامون من الليل الا أقله وربما نشطوا فهدوا الى السحر ثم أخذوا في الاسحار بالاستغفار وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبلا سحر يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو محمد الحسن بن احمد بن محمد التخلدي أنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «ينزل الله الى معاء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفرني فأغفر له؟» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال «كان النبي ﷺ اذا قام من الليل يتعبد فقال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن، ولك الحمد



وقوله عز وجل ( وبالسحار هم يستغفرون ) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار الى الاسحار كما قال تبارك وتعالى ( والمستغفرين بالاسحار ) فان كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن

وقد ثبت في الصحيح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطالع الفجر » وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى اخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه ( سوف استغفر لكم ربي ) قالوا أخرهم وقت السحر . وقوله تعالى ( وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال ( وفي أموالهم حق ) اي جزء مقسوم قد افرزوه للسائل والمحروم أما السائل فعرفوه وهو الذي يبتدي بالسؤال وله حق كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وان جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به . ثم استنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت

أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملاك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فأغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وانت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك » قال سفيان وزاد عبد الكريم أبو امية ولا حول ولا قوة إلا بالله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة أنا الوليد أنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني . حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لي - أو قال - دعا استجيب له فان توطأ وصلى قبلت صلاته »

قوله عز وجل ( وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ) السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء . هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب قال



منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله له تعالى ذلك وقال أبو قلابة جاء سبل بالجماعة فذهب به رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذي لا يسأل الناس شيئا قال الزهري وقد قال رسول الله ﷺ ليس المسكين بالطواف الذي تردده القفمة والاقمتان والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يقنيه ولا يظن له فيصدق عليه وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذي يجبي وقد قسم المغنم فيرضخ له

وقال محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم، وقال الشعبي أعياني أن أعلم ما المحروم، واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بأفة أو نحوها

وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكة شاملة لما بعدها

وقوله عز وجل (وفي الأرض آيات للموقنين) أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف أسنة الناس وألوانهم وما جيلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج اليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة

المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه في اللغة الذي منع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقال زيد بن أسلم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الحاجة ثم قرأ (إنا للمحرمون بل نحن محرمون) (وفي الأرض آيات) عبر (للموقنين) إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات (وفي أنفسكم) آيات إذا كانت نقطة ثم علقه ثم مضغة ثم عظم إلى أن نفخ فيها الروح وقال عطاء عن ابن عباس يريد اختلاف الاسنة والصور والألوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبل احتباس الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين (أفلا تبصرون) قال مقاتل أفلا تبصرون



ثم قال تعالى ( وفي السماء رزقكم ) يعني المطر ( وما تواعدون ) يعني الجنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثوري قرأوا اصل الاحدب هذه الآية [ وفي السماء رزقكم وما تواعدون ] فقال ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان في اليوم الثالث اذا هو بدوخله من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت

وقوله تعالى [ فرب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ] يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه اذا حدث بالشئ يقول لصاحبه إن هذا الحق كما أنك هنا قال مسدد عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن البصري قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن فذكره مرسلًا

هل أنيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلما قال سلم قوم منكم (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء به جل سمين (٢٦) فقر به اليهم قال ألا تأكلون؟ (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بعلم عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم (٣٠)

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضا فقله ( هل أنك حديث ضيف ابراهيم

كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ( وفي السماء رزقكم قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعني المطر الذي هو سبب الارزاق ) ( وما تواعدون ) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما تواعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال ( فرب السماء والارض إنه لحق ) أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق ( مثل ) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم مثل برفع اللام بدلا من الحق وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل ( ما أنكم تنطقون ) فتقولون لا إله إلا الله وقيل شبه بتحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي كما تقول انه لحق كما أنت ههنا وانه لحق كما أنك تنكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعني كما أن كل انسان يتعلق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره

قوله عز وجل ( هل أنك حديث ضيف ابراهيم ) ذكرنا عدهم في سورة هود ( المكرمين ) قبل مقام



المكرمين ) أي الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الامام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للزئيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التزئيل

وقوله تعالى ( قالوا سلاما قال سلام ) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى [ وإذا حينئذ تنفخ في الصور فأتوا بأحسن منها أو ردها ] فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى ( قوم منكرون ) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال ( قوم منكرون )

وقوله عز وجل ( فراغ إلى أهله ) أي انسل خفية في سرعة ( فجاء بعجل سمين ) أي من خيار ماله ، وفي الآية الاخرى ( فلما لبث أن جاء بعجل حنيد ) أي مشوي على الرضف ( فقر به اليهم ) أي أدناه منهم ( قال ألا تأكلون ؟ ) تأنط في العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت أدب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمت عليهم أولا فقال تأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي فقر به اليهم لم يضعه وقال اقربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أصراً يشق على سامعه بصيغة الحزم بل قال ( ألا تأكلون ) على سبيل العرض والتأنط كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تنازل وتحسن وتتصدق فافعل

وقوله تعالى ( فأوجس منهم خيفة ) هذا محال على ما تقدم في اقصه في السورة الاخرى وهي قوله تعالى [ فلما رأى أيديهم لانصل اليهم نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا إلى قوم لوط واصراً أنه قائم فضحكت ) أي استبشرت بهلاكهم لتقدم وعوم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة باسمعاق ومن وراء اسمعاق يعقوب [ قالت يا ويلتا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب \* قالوا أنعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ] ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا وبشروه بسلام عليم فالبشارة له هي بشارة هلالان الولد منهما فكل منهما بشر به

مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقد قال الله تعالى في وصفهم ( بل عباد مكرمون ) وقيل لانهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليفة وضيف الكرام مكرمون وقيل لان إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتمجيد قرام والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد خدمته بنفسه إياهم وروي عن ابن عباس معام مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوبين وروينا عن النبي ﷺ أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » [ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما \* قال \* إبراهيم سلام قوم منكرون \* ] أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال أبو العالية أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض [ فراغ ] فعدل ومال [ إلى أهله فجاء بعجل سمين ] مشوي [ فقر به اليهم ] لياكلوا فلم يأكلوا [ قال ألا تأكلون \* فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بسلام عليم \* فأقبلت امرأته ]



وقوله تعالى ( فأقبلت امرأته في صرة ) أي في صرخة عظيمة وردة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها ( ياويلتنا - فصكت وجهها ) أي ضربت يديها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطمت أي تعجبا كما تعجب النساء من الامر الغريب ( وقالت عجوز عقيم ) أي كيف ألدوانا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيلا لأحبل ( قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ) أي عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله

قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم (٣٧)

قال الله تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ( فلما ذهب عن ابراهيم الروغ وجاءته البشرى بمجاءنا في قوم لوط إن ابراهيم طليم أواه منيب \* يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ) وقال ههنا ( قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟ ) أي ما شأنكم وفيهم جثثهم ( قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين ) يعنون قوم لوط ( انرسل عليهم حجارة من طين مسومة ) أي معلمة ( عند ربك للمسرفين ) أي مكتوبة عنده بأعمالهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت [ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ] وقال تعالى ههنا ( فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ( فما

في صرة ) أي صبيحة قبل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل أقبل بشتمني بمعنى أخذ في شتمي أي أخذت تولول كما قال الله تعالى [ قالت ياويلتنا ] ( فصكت وجهها ) قال ابن عباس لطمت وجهها وقال الآخرون جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا كعادة النساء اذا أنكرن شيئا وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض ( وقالت عجوز عقيم ) مجازة أتلد عجوز عقيم وكانت سارة لم تلد قبل ذلك ( قالوا كذلك قال ربك ) أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدن غلاما ( انه هو الحكيم العليم \* قال ) ابراهيم ( فما خطبكم أيها المرسلون \* قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين ) يعني قوم لوط ( انرسل عليهم حجارة من طين \* مسومة ) معلمة ( عند ربك للمسرفين ) قال ابن عباس للشركيين والشرك أمرف الذنوب وأعظمها ( فأخرجنا من كان فيها ) أي في قرى قوم لوط ( من المؤمنين ) وذلك قوله ( فأمر بأهلك بقطع من الليل ) ( فما وجدنا فيها غير بيت )



وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (احتج هذه من ذهب إلى رأي المعتزلة بمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والاسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال وقوله تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والتكال، وحجارة السجبل، وجعائنا محلهم بحسيرة مننسة خبيثة في ذلك عبرة للمؤمنين (الذين يخافون العذاب الاليم)

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبین (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو ملیم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١) ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطعموا من قيام وما كانوا متصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين (٤٦)

يقول تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبین) أي بدليل باهر وحجة قاطعة (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً، وقال مجاهد تعزز بأصحابه، وقال قتادة غلب عدو الله على قومه، وقال ابن زيد (فتولى بركنه) أي يجمعه التي معه ثم قرأ [لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد] والمعنى الاول قوي كقوله تعالى [ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله] أي معرض عن الحق مستكبر (وقال ساحر أو مجنون) أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً قال الله تعالى (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) أي ألقيناهم (في اليم) وهو البحر (وهو ملیم) أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر مهاند

أي غير أهل بيت من المسلمين (يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والاسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن الا وهو مسلم (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) عبرة (الذين يخافون العذاب الاليم) أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلهم فيخافون مثل عذابهم (وفي موسى) أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة وقيل هو معطوف على قوله (وفي الارض آيات للمؤمنين وفي موسى) (إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبین) بحجة ظاهرة (فتولى) أي فأعرض وأدبر عن الإيمان (بركنه) أي يجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم كالركن الذي يقوى به البنيان نظيره قوله (أو آوي إلى ركن شديد) (وقال ساحر أو مجنون) قال أبو عبيدة أو بمعنى الواو (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أغرقناهم فيه (وهو ملیم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية



ثم قال عز وجل ( وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ) أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً . قاله الضحاك وقتادة وغيرها ولهذا قال تعالى ( مانذر من شيء أنت عليه ) أي مما تفسده الريح ( إلا جعلته كالرميم ) أي كالشيء الهالك البالي

وقد قال ابن أبي خاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن رهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب حدثني عبد الله يعني ابن عياش القسائي حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة من الثانية يعني من الارض الثانية ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله عز وجل في كتابه ( مانذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم ) »

هذا الحديث رفعه منكرو الاقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى ( إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ) قالوا هي الجنوب . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « نصرت بالعصيا وأهلكت عاد بالبور » ( وفي نمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ) قال ابن جرير يعني إلى وقت فناء آجالكم ، والظاهر أن هذه كقوله تعالى ( وأما نمود فهديناكم فاستجبوا العسى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ) وهكذا قال ههنا ( وفي نمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فمتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ( فما استطاعوا من قيام ) أي من هرب ولا نهوض ( وما كانوا

وتكذيب الرسل ) ( وفي عاد ) أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية ( إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ) وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً ( مانذر من شيء أنت عليه ) من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم ( إلا جعلته كالرميم ) كالشيء الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس ودبس قال مجاهد كاتبين اليابس قال كرمهم الشجر قال أبو العالية كالتراب المدقوق وقيل أصله من العظم البالي ( وفي نمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ) يعني وقت فناء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام ( فمتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة ) يعني بعد مضي الايام الثلاثة وهي الموت في قول ابن عباس قال مقاتل يعني العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائي الصعقة وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة ( وهم ينظرون ) يرون ذلك عياناً ( فما استطاعوا من قيام ) فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصعقة



منتصرين أي لا يقدر أن ينتصروا بمهم فيه  
وقوله عز وجل (وقوم نوح من قبل) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (أنهم كانوا قوماً فاسقين) وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطاً في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم

والسما ببنينها بأيدي وإنالموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم المهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١)

يقول تعالى منها على خلق العالم العلوي والسفلي (والسما ببنينها) أي جعلناها سقناً محفوظاً رفيعاً [بأيدي] أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد (وإنالموسعون) أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي (والأرض فرشناها) أي جعلناها فراشاً للمخلوقات (فنعم المهدون) أي وجعلناها مهداً لأهلها (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي جميع المخلوقات أزواجاً مما وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له (ففروا إلى الله) أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه (إني لكم منه

﴿وما كانوا منتصرين﴾ منتقمين منا قال قتادة ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله ﴿وقوم نوح﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وقوم ببحر الميم أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالهمزة على المعنى وهو أن قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) معناه أغرقناهم كأنه قال أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿أنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ والسما ببنينها بأيدي بقوة وقدرة ﴿وإنالموسعون﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لقادرون وعنه أيضاً الموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذوو سعة وقال الضحاك أغنياً دليله قوله عز وجل وعلى الموسع قدره) قال الحسن المطيقون ﴿والأرض فرشناها﴾ بسطناها ومهدناها لكم ﴿فنعم المهدون﴾ الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ماوطأت لعبادي ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسما والأرض والشمس والقمر والقيل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر ﴿لعلكم تذكرون﴾ فعملون أن خالق الأزواج فرد ﴿ففروا إلى الله﴾ فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه إليه واعملوا بطاعته



نذير مبين \* ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر ( أي لا تشركوا به شيئاً ) ( اني لكم منه نذير مبين )

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤) وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥) وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (٦٠)

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ كما قال لك هؤلاء المشركون قال المذبذبون الاولون لرسلهم ( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ) قال الله عز وجل ( أتواصوا به ؟ ) أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ( بل هم قوم طاغون ) أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى ( فتول عنهم ) أي فأعرض عنهم يا محمد [ فما أنت بملوم ] يعني فما نلومك على ذلك [ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ] أي انما تنفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) أي انما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي اليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا ليعبدون أي لا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً وهذا اختيار ابن جرير ، وقال ابن جرير لا يعرفون ، وقال الزبيدي أنس [ وما خلقت الجن وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله ] ( اني لكم منه نذير مبين \* ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر اني لكم منه نذير مبين \* كذلك ) أي كما كذبت قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ( ما أتى الذين من قبلهم ) من قبل كفار مكة ( من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ) قال الله تعالى ( أتواصوا به ؟ ) أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤا عليه والالف فيه لتوبيخ ( بل هم قوم طاغون ) قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك ( فتول عنهم ) فأعرض عنهم ( فما أنت بملوم ) لا لوم عليك فقد أدت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به ، قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) فطابت أنفسهم قال مقاتل معناه عظم بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهم وقال الكلبي عظم بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) قال الكلبي والضحاك وسفيان هذا خاص ( تفسير ابن كثير والبغوي ) ( الجزء الثامن ) ( ١٠ )



والانس الا ليعبدون [ أي الا للعبادة طوعا وكرها وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن أنس: وقال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ] ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله [ هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك . وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون

وقوله تعالى [ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون \* ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ] قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله بن مسعود [ رض ] قال أقرأني رسول الله ﷺ [ إني أنا الرزاق ذو القوة المتين ] ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل وقال الترمذي حسن صحيح

ومعنى الآية انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فن أطاعه جازاه آم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر أنه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن نسيطة عن نسيطة أبيه عن أبي خالد - هو الوالي - عن أبي هريرة [ رض ] قال قال رسول الله ﷺ - يعني قال الله تعالى - « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي حسن غريب

وقد روى الامام أحمد عن وكيع وأبي معاوية عن الاعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة

لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس ( وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون ) ثم قال في آية أخرى ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ) وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا ليعبدون أي الا لمرهم أن يعبدوني وادعوم لعبادتي يؤيده قوله عز وجل ( وما أمروا الا ليعبدوا إلهًا واحدًا ) وقال مجاهد الا ليعرفوني وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده ونوحيده دليله قوله تعالى ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) وقيل معناه الا ليخضعوا لي ويتذللوا ، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله ومتذل لمشيئته لا يملك احد لنفسه خروجًا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضرر ، وقيل الا ليعبدون الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء . بيانه ، قوله عز وجل ( فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ) ( ما أريد منهم من رزق ) أي أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ( وما أريد ان يطعمون ) أي ان يطعموا أحدا من خلقي ، وإنما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما جاء في الحديث « يقول الله يا ابن آدم استطعنتك فلم تطعني » أي فلم تطعم عبيدي ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال ( ان الله هو الرزاق ) يعني لجميع



وسواء أبي خالد يقولان : أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء - وقال أبو معاوية بصلح شيتا فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال « لا تيأسا من الرزق مأتهزمت رءوسكما فان الانسان تله أمه أحر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه »

وقد ورد في بعض الكتب الالهية : يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلهب ، وتكفلك برزقك فلا تتعب ، فاطلبي تجديني فان وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فلك فأنك كل شيء ، وأنا أحب اليك من كل شيء .

وقوله تعالى [ فان للذين ظلموا ذنوباً ] أي نصيباً من العذاب [ مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ] أي فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لا محالة [ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ] يعني يوم القيامة ( آخر تفسير سورة الطوريات والله الحمد والمنة )

### تفسير سورة الطور وهي مكية

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله ﷺ أني اشتكي فقال « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله ﷺ يصلي الى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور (١) وكتب مسطور (٢) في رق منشور (٣) والبيت المعمور (٤) والسقف

خلفه « ذو القوة المتين » وهو القوي المقتدر البالغ في القوة والقدرة « فان للذين ظلموا » كفروا من اهل مكة « ذنوباً » نصيباً من العذاب « مثل ذنوب أصحابهم » مثل نصيب أصحابهم الذين اهلكوا من قوم نوح وعاد وحمود ، وأصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ، ثم استعمل في الخط والنصيب « فلا يستعجلون » بالعذاب يعني انهم أخرؤا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل « فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون » يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر

﴿ سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والطور ﴾ أراد به الجبل الذي كلم الله عليه مومني عليه السلام بالارض المقدسة أقسم الله تعالى



المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦) ان عذاب ربك لواقع (٧) ماله من دافع (٨) يوم تمور السماء موراً (٩) وتسير الجبال سيراً (١٠) فويل يومئذ للمكذبين (١١) الذين هم في خوض يلعبون (١٢) يوم يُدْعَوْنَ الى نار جهنم دَعَاً (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤) أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟ (١٥) اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون (١٦)

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا رافع له عنهم فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ومالم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل (وكتاب مسطور) قيل هو القلح المحفوظ، وقبل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال (في رق منشور) والبيت المعمور

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الامراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة «ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكنبهم كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحمال الكعبة وفي كل سما بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحمال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماساً ثم يخرج فينفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة بخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ويؤلى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة» هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن

به (وكتاب مسطور) مكتوب (في رق منشور) الرق ما يكتب فيه وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط واختلفوا في هذا الكتاب قال الكلبي هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمي صرير القلم وقيل هو القلح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورة فأخذ يمينه وأخذ بشماله دليله قوله عز وجل [ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً] (والبيت المعمور)



جناح هذا وهو القرشي الاموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقبلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري

وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة أن رجلاً قال لعلي ما البيت المعمور؟ قال بيت في السماء يقال له الصراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً، وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنم عن زائدة عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الصراح يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً. ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بن عيسى، وقال العوفي عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش تعمده الملائكة يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه، وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه « هل تدرّون ما البيت المعمور؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يعمده طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس فأنه أعلم

وقوله تعالى ( والسقف المرفوع ) قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعة عن علي ( والسقف المرفوع ) يعني السماء قال سفيان ثم تلا [ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ] وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جرير وابن زيد واختاره ابن جرير، وقال الربيع بن أنس هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور وقوله تعالى ( والبحر المسجور ) قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الاجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور هو هذا البحر، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله واذا البحار سجرت أي أضربت فتصير ناراً تتأجج بحيطه بأهل الموقف

بكثر الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبداً ( والسقف المرفوع ) يعني السماء نظيره قوله عز وجل [ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ] ( والبحر المسجور ) قال محمد بن كعب القرظي والضحاك يعني الموقف المحمي بمنزلة التنوير



ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب وروى عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبيد الله بن عمير وغيرهم ، وقال العلاء بن بدر إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة ، كذا رواه عنه ابن أبي حاتم ، وعن سعيد بن جبير ( والبحر المسجور ) يعني المرسل ، وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء ، وقيل المراد به الفارغ

قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( والبحر المسجور ) قال الفارغ خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت إن الحوض مسجور يعني فارغاً . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء ، وقيل المراد بالبحر المسجور المنوع المكفوف عن الأرض لثلاث يفرها فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره . وعليه يدل الحديث الذي رواه الامام أحمد رحمه الله في مسنده فانه قال حدثنا يزيد بن العوام حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفصح عليهم فيكفه الله عز وجل

وقال الجافظ أبو بكر الاسعيلي حدثنا الحسن بن سفيان عن اسحاق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هارون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لمحمي لم يخرج أحد من الحرم غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل لي أن البحر يشرف بمحاذي رؤوس الجبال فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفصح عليهم فيكفه الله عز وجل » فيه رجل مبهم لم يسم

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم كما قال الله تعالى [ وإذا البحار سجرت ]

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « لا يركب رجل بحراً إلا غازيا أو معتمراً أو حاجاً فان تحت البحر نارا وتحت النار بحراً » وقال مجاهد والكلبي المسجور المملوء يقال سجرت الاناء إذا ملأته وقال الحسن وقاتدة وأبو العالية هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب وقال الربيع بن أنس هو المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن الزال بن سبرة عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش سعته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحاً فينبئون في قبورهم هذا قول مقاتل أقسم



وقوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى (ماله من دافع) أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك قال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا أبي موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي قال خرج عمر بعس المدينة ذات ليلة فربدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطور - حتى بلغ - إن عذاب ربك لواقع) ماله من دافع قال قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فكث مليا ثم رجع إلى منزله فكث شهرا يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه

وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن أن عمر قرأ (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوما وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) قال ابن عباس وقادة : تتحرك نحرىكا ، وعن ابن عباس هو تشققها ، وقال مجاهد : تدور دورا ، وقال الضحاك : استدارتها ونحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض ، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة ، قال وأنشد أبو عبيدة معمر ابن المثنى بيت الاعشى فقال

كان مشيتها من بيت جارنها مور السحابة لا ريث ولا هجل

(وتسير الجبال سيرا) أي تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا (فويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم (الذين هم في خوض ياهبون) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزا ولعبا (يوم يدعون) أي يدفعون ويساقون (إلى نار جهنم دعا) وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعا (هذه

الله بهذه الاشياء) (إن عذاب ربك لواقع) نازل كائن (ماله من دافع) مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكرم رسول الله ﷺ في أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعتة يقرأ (والطور - إلى قوله - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فكانما صدع قلبي حين سمعتة ولم يكن أسلم يومئذ قال فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال (يوم تمور السماء مورا) أي تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك وقال عطاء الخراساني تختلف أجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب ، والمور يجمع هذه المعاني فهو في الالة الذهاب والحجيء والتردد والدوران والاضطراب (وتسير الجبال سيرا) فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا (فويل) فشدة عذاب (يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلهبون) يخوضون في الباطل يلهبون غافلين لاهين (يوم يدعون) يدفعون (إلى نار جهنم دعا) دفعا بعنف وجفوة وذلك أن خزنة جهنم يفلون أيديهم إلى أعناقهم



النار التي كنتم بها تكذبون) أي تقول لهم الزبانية ذلك تقر بها وتؤيخا [ أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون؟ \* اصلوها ] أي ادخلوها دخول من نعمه من جميع جهاته ( فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ) أي سواء صبرتم على عذابها ونكالمها لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ( إنما تجزون ما كنتم تعملون ) أي ولا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله

ان المتقين في جنّٰت ونعيم (١٧) فكهن بما آتاهم ربهم ووقهم ربهم عذاب الجحيم (١٨)

كأوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (١٩) متكئين على سرر مصفوفة وزوجهم بحور عين (٢٠)  
أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال ( ان المتقين في جنات ونعيم ) وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ( فاكهن بما آتاهم ربهم ) أي يتفكرون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشرب وملابس ومسكن ومراكب وغير ذلك ( ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ) أي وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف اليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وقوله تعالى ( كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ) كقوله تعالى ( كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ) أي هذا بذاك تفضلا منه وإحسانا

وقوله تعالى ( متكئين على سرر مصفوفة ) قال الثوري عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الجبال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول ان رمول الله ﷻ قال « ان الرجل ليتكى المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما شئت نفسه ولدت عينه »

وحدثنا أبي أخبرنا هبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا أن الرجل ليتكى في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن قد أتى لك أن تجعل لنا منك نصيبا

ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزجا في أفقيتهم حتى يردوا النار فإذا دنوا منها قال لهم خزنها ( هذه النار التي كنتم بها تكذبون ) في الدنيا ( أفسح هذا ؟ ) وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر فوبخوا به وقيل لهم أفسح هذا ؟ ( أم أنتم لا تبصرون \* اصلوها ) فادوا شدتها ( فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ) الصبر والجزع ( إنما تجزون ما كنتم تعملون ) ان المتقين في جنات ونعيم \* فاكهن \* معجبين بذلك ناعمين ( بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ) ويقال لهم ( كلوا واشربوا هنيئا ) مأمون العاقبة من التهمة والسقم ( بما كنتم تعملون \* متكئين على سرر مصفوفة ) موضوعة بعضها إلى جنب بعض



ومعنى (مصروفة) اي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (على سرر متقابلين) [وزوجناهم بحور عين] أي وجعلنا لهم قربات صالحات وزوجات حسان من الحور العين، وقال مجاهد [وزوجناهم] أنكحناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته هنا

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتئمتهم من عملهم من شيء، كل امرئ بما كسب رهين (٢١) وأمددناهم بنفكة ولهم مما يشتون (٢٢) يتنزعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم أولئق مكنوز (٢٤) وأقبل بعضهم على بعض يتسألون (٢٥) قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا ووقنا عذاب السموم (٢٧) إنا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم (٢٨)

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم في الايمان ياتبعهم بآبائهم في المنزلة وان لم ييلفوا عملهم لتقر أعين الآباء بالابناء عندهم في منازلهم فيجتمع بينهم على احسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته فتساوى بينه وبين ذاك ولهذا قال (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتئمتهم من عملهم من شيء) قال الثوري عن

﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ﴿ قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بقطع الالف على التعظيم ذرياتهم بالالف وكسر التاء فيهما لقوله ألحقنا بهم وما ألتئمتهم ليكون الكلام على نسق واحد، وقرأ الآخرون واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الاخيرة، ثم اختلفوا في ذريتهم قرأ أهل المدينة الاولى بغير الف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالالف وكسر التاء في الثانية وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الاولى ونصبها في الثانية، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار فالكبار بإيمانهم بانفسهم والصغار بإيمان آباؤهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعاً لاحد الابوين ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وان لم ييلفوا بأعمالهم درجات آباؤهم تكملة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقال الآخرون معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بالقوت بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم ييلفوا الايمان بايمان آباؤهم . وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها أخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا



عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ ( والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به ، ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا ذكره ثم قال وقد رواه الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروقي أخبرني محمد بن شعبة أخبرني شيبان أخبرني إيث عن حبيب بن أبي ثابت الاسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى ( والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ) قال هم ذرية المؤمن يموتون على الايمان فان كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بأبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئا

وقال الحافظ الطبراني حدثنا الحسين بن اسحاق التستري حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يلبقوا درجتك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقرأ ابن عباس ( والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ) الآية

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول والذين أدرك ذريتهم الايمان فعملوا بطاعتي ألحقهم بابائهم الى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم وهذا راجع الى التفسير الاول فان ذلك مفسر أصرح من هذا ، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم وقتادة وأبو صالح والريسم بن أنس والضحاك وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير

أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا فذلك قوله ( وما ألتناهم ) قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء ( من عملهم من شيء )

أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريمي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي ثنا سعيد بن محمد بن اسحاق الصيرفي ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا جنادة بن المغلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ ( والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ) الى آخر الآية أخبرنا أبو سعيد الشريمي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجوة الدينوري ثنا أبو بكر



وقد قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدبن ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال « لو رأيت مكانهما لا بغضتهما » قالت يارسول الله فولدي منك قال « في الجنة » قال ثم قال رسول الله ﷺ « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ [ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ] الآية هذا فضله تعالى على الابناء ببركة عمل الآباء ، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الابناء فقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب آتى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » اسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

وقوله تعالى [ كل امرئ بما كسب رهين ] لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية الى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى [ كل امرئ بما كسب رهين ] أي مرتبه بعمله لا بحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى [ كل نفس بما كسبت رهينة ] إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين [ وقوله ] وأمددناهم بقاكة ولحم مما يشتهون [ أي والحقناهم بفراكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى

وقوله [ يتنازعون فيها كأساً ] أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر قاله الضحاك [ لافو فيها

ابن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضال عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ عن ولدبن ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال « لو رأيت مكانهما لا بغضتهما » قالت يارسول الله فولدي منك قال « في الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ [ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ] قال مقاتل كل امرئ بما كسب رهين ( كل امرئ بما كسب رهين ) قال مقاتل كل امرئ بما كسب رهينة ( كافر بما عمل من الشرك مرتبه في النار ، والمؤمن لا يكون مرتبه لقوله عز وجل ) كل نفس بما كسبت رهينة ( إلا أصحاب اليمين ) ثم ذكر ما يزيد من الخير والنعمة فقال « وأمددناهم بقاكة » زيادة على ما كان لهم « ولحم مما يشتهون » من أنواع اللحمان « يتعاطون ويتناولون » فيها كأساً لا لافو فيها ) وهو الباطل وروى ذلك عن قتادة



ولا تأثم [ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أي هذيان ولا أثم أي فحش كما يتكلم به الشرقة من أهل الدنيا ، قال ابن عباس اللغو الباطل والتأثم الكذب وقال مجاهد لا يستبون ولا يؤثمون وقال قتادة كان ذلك في الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها كما تقدم فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ونخبها فقال ( أيضا ، لذة للشاربين \* لا فيها غول ولا م عنها ينزفون ) وقال ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ( وقال ههنا ( يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثم )

وقوله تعالى ( ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم أولؤ مكنون ) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم أولؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملبسهم كما قال تعالى ( ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين )

وقوله تعالى [ وأقبل بعضهم على بعض يتسألون ] أي أقبلوا يتحادثون ويتسألون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شربهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أسرهم [ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ] أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه [ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ] أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف [ إنا كنا من قبل ندعوه ] أي تضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا [ إنه هو البر الرحيم ]

وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها ، وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها ، وقال ابن زيد لا سباب ولا نخاصم فيها ، وقال القتيبي لا نذهب عقولهم فيلقوا ويرفثوا ( ولا تأثم ) أي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلقي ولا مافيه أثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر وقيل لا يأثمون في شربها ( ويطوف عليهم ) بالخدمة ( غلمان لهم كأنهم ) في الحسن والبياض والصفاء ( أولؤ مكنون ) مخزون مصون لم تمسه الأيدي

قال سعيد بن جبير مكنون يعني في الصدف قال عبد الله بن عمرو مامن أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ماعليه صاحبه ، وروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدم ؟ وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدم ؟ قال « فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » ( وأقبل بعضهم على بعض يتسألون ) يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا ( قالوا إنا كنا قبل في أهلنا ) في الدنيا ( مشفقين ) خائفين من العذاب ( فمن الله علينا ) بالمغفرة ( ووقانا عذاب السموم ) قال السكبي عذاب النار ، وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم ( إنا كنا من قبل ) في الدنيا ( ندعوه ) نخاض



وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس قال قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجيبونهم من حيث هم في الدنيا يقول أحدهما لصاحبه يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا» ثم قال البزار لا نعرفه يروى إلا بهذا الاسناد قالت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية [فن الله علينا ووقانا عذاب السموم] إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم [فقال اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم قيل للأعمش في الصلاة؟ قال نعم

فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون (٢٩) أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون؟ (٣٠) قل تربصوا فإني معكم من المترصد (٣١) أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون؟ (٣٢) أم يقولون تقوله؟ بل لا يؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (٣٤) أم خلقوا من غير شيء أم هم الخلقون؟ (٣٥)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال [فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون] أى لست بحمد الله بكاهن كما تقول الجهلة من كفار قريش والكاهن الذى يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء [ولا مجنون] وهو الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم قال تعالى منكرآ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ (أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون؟)

له العبادة (إنه) قرأ أهل المدينة والكسائي أنه بفتح الالف أى لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف (هو البر) قال ابن عباس الطيف، وقال الضحاك الصادق فيما وعد (الرحيم) فذكر (يا محمد بالقرآن أهل مكة) فما أنت بنعمت ربك (برحمته وعصمته) بكاهن (تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي) (ولا مجنون) نزلت في الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) بل يقولون بسني هؤلاء المتقسمين الحراصين (شاعر) أي هو شاعر (نترصد به ريب المنون) حوادث الدهر وصروفه



أى قوارع الدهر والمنون الموت يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى ( قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ) أى انتظروا فاني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة

قال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس إن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والناطقة إنما هو كأحدم فانزل الله تعالى ذلك من قولهم [ أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون ؟ ]

ثم قال تعالى [ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ] أى عقولهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الاقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور [ أم هم قوم طاغون ] أى ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذى يحملهم على ما قالوه فيك

وقوله تعالى [ أم يقولون تقوله ؟ ] أى اختلقه واقتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى [ بل لا يؤمنون ] أى كفرهم هو الذى يحملهم على هذه المقالة [ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ] أى إن كانوا صادقين في قولهم تقوله واقتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الارض من الجن والانس ماجاوا بمثله ولا بعشر سود من مثله ولا بسورة من مثله

فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق أصحابه وإن أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كوت أبيه ، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لأنهما يقطعان الاجل ( قل تربصوا ) انتظروا بي الموت ( فاني معكم من المتربصين ) من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف ( أم تأمرهم أحلامهم ) عقولهم ( بهذا ) وذلك أن عظام قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل ( أم هم ) بل هم ( قوم طاغون \* ) أم يقولون تقوله ؟ أى تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الامر كما زعموا ( بل لا يؤمنون ) بالقرآن استكباراً ثم ألزمهم الحجة فقال ( فليأتوا بحديث مثله ) أى مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه ( إن كانوا صادقين ) أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه .

قوله ( أم خلقوا من غير شيء ؟ ) قال ابن عباس من غير رب ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق فان أنكروا الخالق لم يجوز أن يوجدوا بلا خالق ( أم هم الخالقون ) لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن مالا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا



أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ؟ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ؟ فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعِمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ؟ (٣٩) أَمْ تَسْتَأْذِنُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ؟ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ؟ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا؟ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ؟ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)

هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ؟) أَى أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أَى لا هذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا

قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حدثني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ؟) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ بَلْ لَا يَوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ؟ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ؟) كاد قلبي أن يطير، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى وكان اذذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك

ثم قال تعالى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ بَلْ لَا يَوقِنُونَ) أَى أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ وهذا انكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم إيمانهم هو الذى يحملهم على ذلك (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ؟ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ؟) أَى أَمْ يتصرفون في الممالك ويبدعهم مفاتيح الخزائن؟ (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ؟) أَى المحاسبون للخلائق ليس الامر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد

به ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا بحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء أي لغير شيء. أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم الله أمر (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟) فيكونوا هم الخالقين ليس الامر كذلك (بَلْ لَا يَوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ؟) قال عكرمة يعني النبوة، قال مقاتل أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاء؟ قال الكلبي خزائن المطر والرزق (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ؟) المسلطون الجبارون، قال عطاء أرباب قاهرون فلا يكونون تحت أمر



وقوله تعالى ( أم لهم سلم يستمعون فيه؟ ) أي مرقاة إلى الملا الأعلى ( فليأت مستمعهم بسلطان مبين ) أي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعل والمقال أي وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل

ثم قال منكرآ عليهم فيما نسبوه اليه من البنات وجعلهم الملائكة أناثا واختيارهم لانفسهم المذكور على الاناث بحيث اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال ( أم له البنات واسكن البنون؟ ) وهذا تهديد شديد ووعيداً كيد ( أم تسألهم أجراً ) أي أجره؟ على ابلاغك اياهم رسالة الله أي لست تسألهم على ذلك شيئاً ( فهم من مغرم مثقلون ) أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم ( أم عندهم الغيب فهم يكتبون؟ ) أي ليس الامر كذلك فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب إلا الله ( أم يريدون كيداً؟ ) فالذين كفروا هم المكيدون يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ( أم لهم إله غير الله؟ سبحانه الله عما يشركون ) وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم لاصنام والانداد مع الله ثم يه نفسه السكرة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال ( سبحانه الله عما يشركون )

ونهي ويفعلون ماشأوا ويجوز بالسين والصاد جميعاً قرأ ابن عامر بالسين ههنا وفي قوله ( بمسيطر ) وقرأ حرة باشام الزاي فيهما ، وقرأ ابن كثير ههنا بالسين وبمسيطر بالصاد ، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما ( أم لهم سلم ) مرقى ومصعد إلى السماء ( يستمعون فيه ) أي يستمعون عليه الوحي كقوله ( ولا صلبنكم في جذوع النخل؟ ) أي عليها أي ألمهم سلم يرتقون به إلى السماء فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي فهم مستمسكون به كذلك ( فليأت مستمعهم ) إن ادعوا ذلك ( بسلطان مبين ) بحجة بينة ( أم له البنات ولكم البنون ) هذا انكار عليهم حين جعلوا الله ما يكرهون كقوله ( فاستفتهم أولئك البنات ولهم البنون؟ )

قوله تعالى ( أم تسألهم أجراً؟ ) جملاً على ما جئتهم به ودعوتهم اليه من الدين ( فهم من مغرم مثقلون ) أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنهم ذلك عن الاسلام ( أم عندهم الغيب؟ ) أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقال قتادة هذا جواب لقولهم تبرص به؟ ريب المتنون يقول أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمداً ﷺ يموت قبلهم ( فهم يكتبون ) قال الكتيبي فهم يكتبون أي يحكمون والكتاب الحكم قال النبي ﷺ للرجلين الذين نخصما اليه أقضي بينكما بكتاب الله أي بحكم الله ، وقال ابن عباس معناه أم عندهم الوحي المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ( أم يريدون كيداً ) مكرابك ليهلكوك ( فالذين كفروا هم المكيدون ) أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم ويحقق مكرهم بهم وذلك انهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بيد ( أم لهم إله غير الله ) يرزقهم وينصرهم ( سبحانه الله عما يشركون ) قال



وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مر كوم (٤٤) فذرهم حتى يأتوا  
يومهم الذي فيه يصعقون (٤٥) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون (٤٦) وان  
للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٧) واصبر لحكم ربك فانك  
بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم (٤٨) ومن الليل فسبحه وادبر النجوم (٤٩)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً)  
أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون هذا سحاب مر كوم أي متراكم وهذا كقوله تعالى  
(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يرجعون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)  
وقال الله تعالى ( فذرهم ) أي دعهم يا محمد ( حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ) وذلك يوم  
القيامة ( يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ) أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزي  
عنهم يوم القيامة شيئاً ( ولا هم ينصرون )

ثم قال تعالى ( وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ) أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى  
( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ) ولهذا قال تعالى ( ولكن  
أكثرهم لا يعلمون ) أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون ويفيقون فلا يفهمون  
ما يراد بهم بل اذا جلي عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث  
« ان المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه » وفي الاثر  
الالهى كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ قال الله تعالى يا عبادي كم أعاقبك وأنت لاتندري ؟

الخليل ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بمعطف ( وان يروا كسفاً ) قطعة من السماء  
ساقطاً ( هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم  
لم ينتهوا عن كفرهم ( يقولوا ) لعنادتهم ( هذا سحاب مر كوم ) بعضه على بعض يسقينا ( فذرهم  
حتى يلاقوا ) يعانوا ( يومهم الذي فيه يصعقون ) يموتون أي حتى يعانوا الموت ، قرأ ابن عباس  
وعاصم يصعقون بضم الياء أي بهاكون ( يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون ) أي  
لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا ينفعهم من العذاب مانع ( وان للذين ظلموا ) كفروا ( عذاباً دون  
ذلك ) أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة

قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر ، وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين ، وقال البراء  
ابن عازب هذا هو عذاب القبر ( ولكن أكثرهم لا يعلمون ) أن العذاب نازل بهم ( واصبر لحكم  
ربك ) تفسير ابن كثير والبغوي (١٢) الجزء الثامن



وقوله تعالى ( واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ) أى اصبر على أذاهم ولا تباليهم فانك بمرأى منا ونحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس

وقوله تعالى ( وسبح بحمد ربك حين تقوم ) قال الضحاك أى إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك

وقال أبو الجوزاء ( وسبح بحمد ربك حين تقوم ) أى من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني ، حدثني جنادة بن أبي أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لي - أو قال - ثم إذا دعا استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد ( وسبح بحمد ربك حين تقوم ) قال من كل مجلس ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وسبح بحمد ربك حين تقوم قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك

ربك إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم « فانك بأعيننا » أى بمرأى منا ، قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك « وسبح بحمد ربك حين تقوم » قال سعيد بن جبیر وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة له

أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي ثنا أحمد بن عبد الله النرمي ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من جلس مجلسا فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك الا كان كفارة لما بينهما ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك ، وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك



وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى ( وسبح بحمديك حين تقوم ) يقول حين تقوم من كل مجلس ان كنت أحسنت ازددت خيرا وان كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبد الرزاق في جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عثمان الفقير أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوي بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سبيل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » رواه الترمذي وهذا لفظه والنسائي في اليوم واليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذي حسن صحيح وأخرجه الحسك في مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخاري علاه الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم ، ونسبوا الوهم فيه الى ابن جريج على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج الى أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أبو داود واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن هاشم عن أبي العالية عن أبي هريرة الاسلمي قال كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا انت استغفرك وأتوب إليك » فقال رجل يا رسول الله انك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى قال « كفارة لما يكون في المجالس » وقد روى مرسل عن أبي العالية قاله أعلم ، وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن انس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ مثله سواء وروى مرسل ايضا قاله أعلم

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قلحسن بن عرفة ويحيى بن مومى قالنا ثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال عن حمرة عن عائشة الملت كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش إلى أن يدخل في الصلاة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر الأوأي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد ابن حباب أخبرني معاوية بن صالح أنا زاهر بن شعيب الخرازي عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأى شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل ؟ فقالت كان إذا قام كبر



وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال «كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ولا يقولن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك» وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الاسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ وقد أفردت لذلك جزءا على حدة يذكر طرقه وألفاظه وعمله وما يتعلق بها والله الحمد والمنة وقوله تعالى ومن الليل فسبحه أي اذكره وابعده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى [ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا]

وقوله تعالى [ وإدبار النجوم ] قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوبها للغيوبة وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا «لاندعوها وإن طردتك الخيل» يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبها وهو ضعيف لحديث «خمس صلوات في اليوم واليلة» قال هل علي غيرها؟ قال «لا إلا أن تطوع» وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة (رض) قالت لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (آخر تفسير سورة الطور والله الحمد والمنة)

الله عشرًا وحمد الله عشرًا وسبح الله عشرًا وهال عشرًا واستغفر عشرًا وقال «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة «ومن الليل فسبحه» أي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء ( وإدبار النجوم ) يعني ركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هو فريضة صلاة الصبح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب بالطور





## تفسير سورة النجم وهي مكية

قال البخاري حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو احمد - يعني الزبيدي - حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيت به بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف، وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي اسحاق به، وقوله في المتن أنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى (١) ماضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) ان هو الا وحي يوحى (٤)

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والخلق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ، رواه ابن أبي حاتم . واختلف المفسرون في معنى قوله [والنجم إذا هوى] فقال ابن أبي نجيب عن مجاهد يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير وزعم السدي أنها الزهرة، وقال الضحاك [والنجم إذا هوى] إذا رمي بالشياطين وهذا القول له أنجاء وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى [والنجم إذا هوى] يعني القرآن إذا نزل ، وهذه الآية

﴿ سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنجم إذا هوى ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالي والعوفي يعني الثريا إذا سقطت وغابت وهو به مغيبه والعرب تسمي الثريا نجماً وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفعه وأراد بالنجم الثريا ، وقال مجاهد هي نجوم السماء كلها حين تغرب ، لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجماً لطلوعه وكل طالع نجم قال نجم السن والقرن والنبت إذا طلع ، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم يعني ما ترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع ، وقال أبو حمزة الثمالي هي النجوم إذا انتشرت يوم القيامة وقبل المارد بالنجم القرآن سمي نجماً لانه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيماً والمفرق منجماً ، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وقول الكلبي والهوي النزول من أعلى إلى أسفل ، وقال الاخفش



كقوله تعالى ( فلا أقسم بمواقع النجوم \* وانه لقسم لو تعلمون عظيم \* انه لقرآن كريم \* في كتاب مكنون \* لا يمسه إلا المطهرون \* تنزيل من رب العالمين )

وقوله تعالى ( ماضل صاحبكم وما غوى ) هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة لرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ، فنهى الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهي علم الشيء وكمثاله والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى [ وما ينطق عن الهوى ] أي ما يقول قولا عن هوى وغرض ( إن هو إلا وحي يوحى ) أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي امامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعتي رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » فقال رجل يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر ؟ قال « إنما أقول ما أقول »

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الاخضر أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما أخبركم عنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه » ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد

وقال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ عليه وسلم انه قال « لا أقول إلا حقا » قال بعض أصحابه فانك تدعينا يا رسول الله ؟ قال « اني لا أقول إلا حقا »

النجم هو النبات الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل [ والنجم والشجر يسجدان وهو به سقوطه على الارض ، وقال جعفر الصادق يعني محمدا ﷺ إذا نزل من السماء إلى الارض ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى بهوي هويًا إذا نزل مضى يمضي مضيا وجواب القسم قوله ( ماضل صاحبكم ) يعني محمدا ﷺ ماضل عن طريق الهدى ( وما غوى \* وما ينطق عن الهوى ) يعني به الهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه ( ان هو ) مانطقه في الدين



علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالافق الاعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمرونها على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ ينشئ السدرة ما ينشئ (١٦) مازاغ البصر وما طفى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ انه علمه الذي جاء به إلى الناس [ شديد القوى ] وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) وقال ههنا (ذو مرة) أي ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن ولا منافاة بين القولين فانه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة ، وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة ان النبي ﷺ قال « لا تحمل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي » وقوله تعالى ( فاستوى ) يعني جبريل عليه السلام . قاله الحسن ومجاهد وقاتادة والريبع بن أنس [ وهو بالافق الاعلى ] يعني جبريل استوى في الافق الاعلى . قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والافق الاعلى الذي يأتي منه الصبح ، وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذي يأتي منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو البامي أبو القاسم حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد هو ابن قيس عن اسحاق بن أبي الكهيلة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فسد الافق ، وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله ( وهو بالافق الاعلى ) وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغیره ولا حكاه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالافق الاعلى أي استويا جميعاً بالافق الاعلى وذلك ليلة الامراء كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك ، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية

وقيل القرآن ﴿إلا وحي يوحى﴾ يعني وحي من الله يوحى اليه ﴿علمه شديد القوى﴾ وهو جبريل والقوى جمع القوة ﴿ذو مرة﴾ قوة وشدة في خلقه يعني جبريل قال ابن عباس ذو مرة يعني ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن ﴿فاستوى﴾ يعني جبريل ﴿وهو﴾ يعني محمداً ﷺ واكثر كلام العرب اذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقبلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله ( أنذا كنا تراباً وآباءنا ) عطف الآباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن ، ومعنى الآية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج



فقال وهو كقوله [ أنذا كنا ترابا وآبؤنا ] فعطف بالآباء على المسكن في كتمان غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده :

لم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروج المتقصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الارض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى اليه فاقرب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له سمانتان جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الاولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله اليه صدر سورة اقرأ ، ثم قرأ الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال فكلماهم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلمنا طال عليه الامر عاد مثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له سمانتان جناح قد سد عظم خلقه الافق فاقرب منه وأوحى اليه عن الله عز وجل ما أمره به فمرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاء بالرسالة ، وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه اليه

فأما الحديث الذي رواه الحافظ ابو بكر البزار في مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « بيننا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقامت إلى شجرة فيها كوكري الطير فعد في أحدهما وقعدت في الآخر ، فسمت وارتفعت حتى شدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت إلي جبريل كأنه جلس لاطي ، فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باب من ابواب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت ، وأوحى إلي ماشاء الله أن يوحى » ثم قال البزار لا يرويه الا الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة قلت الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الايادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشي . وقال الامام أحمد مضطرب الحديث ، وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فإن فيه نكارة وغرابة الفاظ وسياق عجيبا ولعله منام والله أعلم

بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقبل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أي قام في صورته التي خلقه الله وهو بالافق الاعلى ، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الانبياء كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فأما في الارض في الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك أن محمدا ﷺ



وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله أنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما لله به عليم . انفرد به أحمد

وقال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن ادريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي ﷺ صعق فأناله فنعشه ومسح البزاق عن شدة . تفرد به أحمد

١١ وقد رواه ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن اسحاق عن عثمان بن عروة ابن الزبير عن أبيه عن هناد بن الاسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد نجهزا إلى الشام فجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لا نطلقن إلى محمد ولا دينه في ربه سبحانه ونعالي فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال النبي ﷺ « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال يا بني ما قلت له ؟ فذكر له ما قاله فقال فما قال لك ؟ قال قال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » قال يا بني والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا أبراه وهي في شدة ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد فأنها يسرح الاسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : انكم قد عرقتم كبر سنني وحقني وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجاء الاسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يزيد تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه ، فقال أبو لهب قد عرفت أنه لا يتغلت عن دعوة محمد وقوله تعالى ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى

كان بحراء فطلم له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله ﷺ مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ( ثم دنا فتدلى ) وأما في السماء فعند سدره المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ قوله عز وجل ( ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ) اختلفوا في معناه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي الاشوع عن الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة فإني قوله ( ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ) قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق



الارض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما اذا مدا قاله مجاهد وقتادة ، وقد قيل إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها

وقوله تعالى ( أو أدنى ) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات الخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى ( ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ) أي ما هي بالين من الحجارة بل هي مثلها أو يزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله ( يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ) وقوله ( وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ) أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للمخبر به لاشك ولا تردد فإن هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) وهذا الذي قلناه من أن هذا المقرب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله تعالى

وروي مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه أحداها وجاء في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لأنها تفسير لهذه الآية فإن هذه كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض لاليلة الاسراء ولهذا قال بعده ( ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ) فهذه هي ليلة الاسراء والاولى كانت في الارض

وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل له ستائة جناح »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا طلق بن غنم ثنا زائدة عن الشيباني قال سألت زرا عن قوله [ فكان قاب قوسين أو أدنى ] قال أخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود أن محمدا ﷺ رأى جبريل له ستائة جناح ، فمعنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى إلى محمد ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى ففرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى

وروينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا رواية أبي سلمة عن ابن عباس ، والتدلي هو النزول إلى الشيء ، حتى



وقال ابن وهب حدثنا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل باجساد ثم أنه خرج ليقتضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد فنظر رسول الله ﷺ بيننا وشمالا فلم ير أحداً فلأنتم رفع بصره فإذا هو ثاني إحدى رجليه مع الأخرى على أفق السماء فقال يا محمد جبريل يسكنه فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس فنظر فلم ير شيئاً ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم ير شيئاً ثم خرج فنظر فرآه فذلك قول الله عز وجل ( والنجم اذا هوى ) — الى قوله — ثم دنا فتدلى ) يعني جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام فكان قاب قوسين أو أدنى ويقولون القاب نصف أصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به وفي حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر شاهد لهذا

وروى البخاري عن طلق بن غنم عن زائدة عن الشيباني قال سألت زراً عن قوله ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) فأوحى الى عبده ما أوحى ) قال حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح . وقال ابن جرير حدثني ابن بزيغ البغدادي حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا امراة عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حنا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض ، فعلى ما ذكرناه يكون قوله ( فأوحى الى عبده ما أوحى ) معناه فأوحى جبريل الى عبد الله محمداً أوحى ، أو فأوحى الله الى عبده محمداً أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح

وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ( فأوحى الى عبده ما أوحى ) قال أوحى الله اليه ألم أجذك يتباً — ورفعتك ذكرك ) وقال غيره أوحى الله اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمك

يقرب منه ، وقال مجاهد دنا جبريل من ربه . وقال الضحاك دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى إلى السجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى ومعنى قوله قاب قوسين أي قدر قوسين ، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار ، والقوس ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء . عن ابن عباس فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين ، قال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا إشارة الى تأكيد القرب ، وأصله ان الحليفين من العرب كانوا إذا أرادوا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران بحامي كل واحد منهما عن صاحبه ، وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أي قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن مسلمة ، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء . أو دنى بل أقرب ( فأوحى ) أي أوحى الله ( الى عبده ما أوحى ) محمد ﷺ قال ابن عباس في رواية عطاء والسكبي والحسن والريم وابن زيد معناه أوحى جبريل الى رسول الله ﷺ



١٠٠ الاحاديث الواردة في أن المرئي هو الله أو جبريل عليه السلام ( تفسير ابن كثير والبغوي )

وقوله تعالى ( ما كذب الفؤاد ما رأى \* أفكارونه على ما يرى ) قال مسلم حدثنا أبو سعيد الأشج

ما أوحى إليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير أوحى إليه ( ألم يجذبك يتبا فآوى ) الى قوله تعالى ( ورفضنا لك ذكرك ) وقيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أي ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه ، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى بل صدقه يقال كذبه اذا قال له الكذب وصدقه اذا قال له الصدق مجازاه ما كذب الفؤاد فيما رأى . واختلفوا في الذي رآه فقال قوم رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زر عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال جبريل وله ستمائة جناح . وقال آخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيم ثنا الاعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس [ ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى ] قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه

وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلعة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا ﷺ بالرؤية ، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لم ير رسول الله ﷺ ربه وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيم عن اسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمه هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت لقد تكلمت بشي . فف له شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ( لا تدرى الا بشاروه هو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير - وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ) ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ( وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا ) ومن حدثك انه كنم شيئا فقد كذب ثم قرأت [ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ] الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم



حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالبة عن ابن عباس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه معاذ عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما إنه رآه بفؤاد مرتين أو مرة، وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عمرو بن منهل بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العبدي عن سلمة بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين. ثم قال حسن غريب

وقال أيضا حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا يعرفه فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم فقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخس التي قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدره المنتهى ومرة في اجياد وله سمائة جناح قد سد الأفق

وقال النسائي حدثنا اسحاق بن إبراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أنعمجبون أن تكون الخلة لأبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال «نوراني أراه» وفي رواية «رأيت نورا»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله رأيت ربك؟ قال «رأيت به فؤادي مرتين» ثم قرأ (ما كذب الفؤاد ما رأى) ورواه ابن جرير عن ابن حبيب عن مهرا عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن

بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال نوراني أراه «أفتأرونه على ما يرى» قرأ حمزة والكسائي ويعقوب أفتأرونه بفتح التاء بلا ألف أي أفتأجدونه



بعض اصحاب النبي ﷺ قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال «لم أره بعيني ورأيت بفؤادي مرتين» ثم تلا (ثم دنا فتدلى)

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) فقال عكرمة يريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت نعم قال قد رآه، ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداه. وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر المقدسي أخبرنا أبو خلدة عن أبي العالية قال سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال «رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجبا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غيره» ذلك غريب جدا

فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عز وجل» فانه حديث اسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام احمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «أناني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة؟ قال قلت لأفوض يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نخري - فعلت ما في السموات وما في الأرض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة؟ قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات؟ قال قلت المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الاقدام الى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيبته كيوم ولدته أمه وقال قل يا محمد اذا صليت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، واذا أردت بعبادتك فتنة أن تقبضي اليك غير مفتون، قال والدرجات بذل الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ بن عمرو

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زريق عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة؟ فقلت لا يارب فوض يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلت ما في السموات والأرض فقلت يارب في الدرجات والكفارات، ونقل الاقدام إلى

تقول العرب مريت الرجل حقه إذا جحدته وقرأ الآخرون أفتارونه بالالف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أمرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن



الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت يارب انك اتخذت ابراهيم خليلاً وكلمت مومى تكليماً وفعلت وفعلت فقال ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك قال فافضى إلي بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال فذاك قوله في كتابه ( ثم دنا فتدلى \* فكان قاب قوسين أو أدنى \* فأوحى إلى عبده ما أوحى \* ما كذب الفؤاد ما رأى ) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي \* إسناد ضعيف<sup>(١)</sup> وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الاسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لاهل مكة اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال سيرسل الله عليه كلباً من كلابه قال هبار فكنت معهم فنزلت بأرض كثيرة الاسد قال فلقد رأيت الاسد جاء فجعل يشم رءوس القوم واحداً واحداً حتى تخطى الي عتبة فاقتطع رأسه من بينهم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل بالسرارة وأنه خاف ليلئذ وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الاسد فجعل يزأر ثم تخطأ اليه فضغم رأسه لعنه الله وقوله تعالى ( ولقد رآه نزلة أخرى \* عند سدره المنتهى \* عندها جنة المأوى ) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الاسراء وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبعان بما أغنى عن اعادته هنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن مومي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهسدة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود في هذه الآية ( ولقد رآه نزلة أخرى \* عند سدره المنتهى ) قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل وله سمانه جناح ينتشر من ريشه النهاويل من الدر والياقوت وهذا إسناد جيد قوي

غيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادله به ، والمعنى أن جادولونه جداً لا ترومون به دفعه عماراً وعلمه ( ولقد رآه نزلة أخرى ) يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ( عند سدره المنتهى ) وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسلته التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها وروينا عنه انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه ، وقوله عند سدره المنتهى (روينا عن عبد الله ابن مسعود قال انه لما أسري برسول الله ﷺ الى سدره المنتهى وهي في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال ( اذ يفتش السدره ما يفتش ) قال فراش من ذهب



وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم . إسناد حسن أيضا  
وقال الامام احمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ رأيت جبريل على سدره المنتهى وله ستمائة جناح سألت عاصم عن الاجنحة فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح مابين المشرق والمغرب وهذا أيضا إسناد جيد

(١) هو كما في النهاية  
ثوب مزخرف  
منقوش إذا نشر اخذ  
القلوب بحسن صنعه

وقال احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق بن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « أناني جبريل عليه السلام في حصر » (١) معاق به الدر . اسناد جيد أيضا  
وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن اسماعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أبى أنت من ثلاث من حدثكمن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ( لا تدركه الابصار ) وهو يدرك الابصار - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب (ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ) الآية ، ومن أخبرك أن محمدا قد كذب ثم قرأت ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ) ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين

وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول ( ولقد رآه بالافق المبين - ولقد رآه نزلة أخرى ) فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال « إنما ذاك جبريل » لم يره في صورته التي خلق عليها إلا

ورؤينا في حديث المهرج ثم صعد بي الى السماء السابعة فإذا أنا بابراهيم عليه السلام فسلمت عليه ثم رفعت الى سدره المنتهى فإذا بنتها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لانه اليها ينتهي علم الخلق ، قال هلال بن يسار سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش واليهما ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبه ثنا المسوحي ثنا عبد الله بن يعيش ثنا يونس بن بكير أنا محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت النبي ﷺ يذكر سدره المنتهى قال يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة عام ويستظل في الغصن منها مائة الف راكب فيها فراش من ذهب



مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض أخرجه في الصحيحين من حديث الشعبي به

(رواية أبي ذر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ أسأله قال وما كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال أبي قد سأله فقال «قد رأيته نوراً أنى أراه» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال «نوراني أراه»

وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ أسأله فقال عن أي شيء كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سأله فقال «رأيت نوراً» وقد حكى الحلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكراً له وما أدري ما وجهه؟

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه، وحاول ابن خزيمة أن بدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر، وأما ابن الحوزي فتأوله على أن أبا ذر لعنه سأل رسول الله ﷺ قبل الاسراء فأجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الاسراء لأجابه بالاثبات وهذا ضعيف جداً فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاسراء ولم يثبت لها الرؤية، ومن قال أنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطيطها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فإنه هو المخطئ والله أعلم. وقال النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام

كان ثمرها القلال، وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضأت لاهل الأرض وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها الجنة المأوى) قال عطاء عن ابن عباس جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة، وقال مقاتل



وقال مجاهد في قوله ( ولقد رآه نزلة أخرى ) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم

وقوله تعالى ( إذ يغشى السدرة ما يغشى ) قد تقدم في أحاديث الامراء انه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ماهي ؟

وقال الامام احمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة بن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا أعطى الصلوات الحسن وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقححات ) انفرد به مسلم

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر قال : لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقبل له ان هذه السدرة فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلّمه عند ذلك فقال له سل

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ( إذ يغشى السدرة ما يغشى ) قال كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجداً فأراها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه ، وقال ابن زيد قبل برسول الله ﷺ أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال « رأيت بفشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل

وقوله تعالى ( مازاغ البصر وما طغى ) قال ابن عباس ما ذهب بيميننا ولا شمالا وما طغى ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فانه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطى وما أحسن ما قال الناظم :

والكلبي يأوي إليها أرواح الشهداء ( إذ يغشى السدرة ما يغشى ) قال ابن مسعود فراش من ذهب وروينا في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ « ثم عرج بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا تمرها كالقلل قال فلما غشيتها من أمر الله ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة » وقال مقاتل بفشاها الملائكة أمثال الغربان ، وقال السدي من الطيور

وروي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال غشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان حتى يقعن على الشجر قال فكلّمه عند ذلك فقال له سل ، وعن الحسن قال غشيتها نور رب العزة فاستنارت ، ويروى في الحديث [ رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى ( مازاغ البصر وما طغى ) أي ما مال بصر النبي ﷺ بيميننا ولا شمالا وما



رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه اتاها  
وقوله تعالى ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) كقوله [ لربه من آياتنا ] أي الدالة على  
قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة ان الرؤية تلك اليلة لم تقع لأنه  
قال ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس وقد تقدم  
تقرير ذلك في سورة سبحان

وقد قال الامام احمد حدثنا ابو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن اسحاق بن  
أبي الكيلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود انه قال إن محمداً لم ير جبريل في صورته الا مرتين اما مرة  
فانه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الافق ، واما الاخرى فانه صعد معه حين صعد به ،  
وقوله ( وهو بالافق الاعلى \* ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى \* فأوحى الى عبده ما أوحى )  
فلما أحس جبريل ربه عز وجل عاد في صورته وسجد فقوله ( ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى  
عندها جنة المأوى \* إذ يغشى السدرة ما يغشى \* مازاغ البصر وما طغى \* لقد رأى من آيات ربه  
الكبرى ) قال خلق جبريل عليه السلام . هكذا رواه الامام احمد وهو غريب

أفرايتم اللات والعزى (١٩) ومنوة الثالثة الاخرى؟ (٢٠) ألكم الذكرو له الاتى؟ (٢١)  
تلك اذا قسمه ضيزى (٢٢) ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من  
سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أم للانس  
ما عنتى (٢٤) فله الآخرة والاولى (٢٥) وكم من مملك في السموات لا تغني شفعتهن شيئا الا

طغى أي ما جاوز ما رأى ، وقيل ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت  
جانبا في لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني الآيات العظام ، وقيل أراد ما رأى تلك اليلة في  
مسيره وعوده دليله قوله ( لربه من آياتنا ) وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى  
أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن  
محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن معاذ العبدي ثنا أي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني  
سمع زر بن حبیش عن عبد الله قال [ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ] قال رأى جبريل في صورته له  
سمائة جناح ، وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد  
ابن اسماعيل ثنا حفص بن عمرو ثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن عاقمة عن عبد الله [ لقد رأى  
من آيات ربه الكبرى ] قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء  
قوله ( أفرايتم اللات والعزى ) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من



من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦)

يقول تعالى مفرعاً للمشركين في عبادتهم الاصنام والانداد والاولثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أفرأيتم اللات؟) وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء عظيم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلاً يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

وقال البخاري حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (اللات والعزى) قال كان اللات رجلاً يلت السويق سويق الحاج. قال ابن جرير وكذا العزى من العزير وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخله وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»

وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق» فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية، كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكر وعبد الحميد بن محمد قال حدثنا محمد بن يوسف عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي بنس ما قلت قلت هجراً فأنت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفت عن شمالك ثلاثاً وتعوذ بالله من الشيطان

أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزير العزى، وقيل العزى تأنيث الأعز، أما اللات قال قتادة كانت بالطائف فقال ابن زيد بيت نخلة كانت قريش تعبدوه. وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلاً يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال مجاهد كان في رأس جبل له غنيمة يسلاً منها السمن وبأخذ منها الاقط ويجمع رسالها ثم يتخذ منها حميساً فيطعم منه الحاج وكان يبطن نخلة فلما مات عبده وهو اللات

وقال الكلبي: كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غم وكان يسلاً السمن فيضعها على صخرة ثم تأنيه العرب فبليت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدها فعمدت الطائف



الرجيم ثم لا تعد ، وأمانة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت آخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . قال ابن اسحاق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ونهدي لها كما نهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبنى كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم قلت بعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول :

يا عزي كفرانك لا سبحانه اني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي أخبرنا علي بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأناها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع فلما أبصرته السدنة وهم حجبته أمعنوا في الحيل وهم يقولون يا عزي يا عزي فأناها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحشو التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « تلك العزى »

قال ابن اسحاق وكانت اللات لثيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني مغيث قلت وقد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبه وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعلها مكانها مسجداً بالطائف

قال ابن اسحاق وكانت مناة الأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ، ويقال علي

على موضع اللات . وأما العزى قال مجاهد هي شجرة بطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالأس ويقول

يا عزي كفرانك لا سبحانه اني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بوبلها واضعة يدها على رأسها . ويقال ان خلادا رجع إلى النبي ﷺ فقال قد قلعناها فقال « مارأيت ؟ » قال ما رأيت شيئا فقال النبي ﷺ « ما قلعنا » فعاردها ومعه العول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال « تلك العزى ولن تعبد أبدا » وقال الضحاك هي صنم افطنان وضعها لهم سعد بن



ابن أبي طالب ، قال وكانت ذو الخليفة لدوس وخشم وبجيلة ومن كان يبلادهم من العرب بقبالة قلت وكان يقال لها الكعبة اليمانية والكعبة التي بمكة الكعبة الشامية فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه ، قال وكانت قبس لطي ومن يليها بجبل ملي بين سلمى وأجاء . قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث اليه علي بن أبي طالب فهدمه واصطافى منه سيفين الرسوب والمخزم فنهله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفان علي

قال ابن اسحاق وكان لحير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر انه كان به كلب اسود وان الحيرين الاذنين ذهبيا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت ، وقال ابن اسحاق وكانت رضاء يثا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت علي رضاء شدة فتركها قفرا بقاع اسحما

قال ابن هشام يقال انه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القاتل

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدثها بعدها مائتان لي وعمرت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم يمر وليلة فحدثونا

قال ابن اسحاق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإباد بسنداد وله يقول أعشى

بني قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداد

ظالم النطفاني وذلك انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينها فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم . قالوا فما تأمرنا ؟ قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ، ثم وضع الذي أخذه من المروة فقال هذه المروة ، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فاجعلوا يطوفون بين الحجرتين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى يقطعها

وقال ابن زيد : هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف ( ومناة ) قرأ ابن كثير بالمد والهمزة ، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز لان العرب سمت زيد مناة وعبد مناة ولم يسم فيها بالمد . قال قتادة : هي لحزاعة كانت بقديد قالت عائشة رضي الله عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد قال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبد به بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدونها أهل مكة وقال بعضهم اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها واختلف القراء



ولهذا قال تعالى ( أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟ ) ثم قال تعالى ( ألكم الذكروه  
الانثى ؟ ) أي أنجبون له ولدا وتنجعلون ولده انثى وتختارون لانفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنفسكم ومخلوق  
مثلكم هذه القسمة لكانت ( قسمة ضيزى ) أي جوراً باطلاً فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي  
لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً أو سفهاً

ثم قال تعالى منكر عليهم فيما ابتدعوه واحداثوه من الكذب والاقتراء والكفر من عبادة  
الاصنام وتسميتها آلهة ( ان هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ) أي من تلقاء أنفسكم ( ما انزل الله  
بها من سلطان ) أي من حجة [ ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ] أي ليس لهم مستند إلا حسن  
ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والاحظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آياتهم  
الاقدمين [ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ] أي ولقد ارسل الله اليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة  
ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا انقادوا له

في الوقف على اللات ومناة فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء ، وقال بعضهم ما كتب في  
المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء وأما قوله ( الثالثة الاخرى )  
فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول لثالثة الاخرى  
انما الاخرى ههنا نعت لثالثة قال الخليل قاليا ، لوفاق رومن الآي كقوله ما رب أخرى ولم يقل  
أخر ، وقبل في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرايت اللات والعزى والاخرى ومناة الثالثة ومعنى الآية  
أفرايتم ؟ أخبرونا أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومنات نساء الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً  
وقال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا ابشر  
بالانثى كره ذلك فقال الله تعالى منكر عليهم ( ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى ) قال  
ابن عباس وقتادة أي قسمة جائزة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم قال مجاهد ومقاتل قسمة  
عوجاء وقال الحسن غير معتدلة ، قرأ ابن كثير ضيزى بالهمزة ، وقرأ الآخرون بغير همز قال السكاساني  
يقال منه ضاز يضيز ضيزاً وضاز يضوز ضوزاً وضاز يضاز ضازاً اذا ظلم ونقص وتقدير ضيزى من  
الكلام فعلى بضم الفاء لانها صفة والصفات لانكون الا على فعلى بضم الفاء نحو حبلى وانثى وبشرى  
أو فعلى بفتح الفاء نحو غضبي وسكري وعطشي ، وليس في كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما  
يكون في الاسماء مثل ذكرى وشعري ، وكسروا الضاد ههنا ثلثان قلب الياء واواً وهي من بنات الياء  
كما قالوا في جمع أبيض بيض والاصل بوض مثل حر وصفر ، فأما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى  
مثل شورى ( إن هي ) ماهذه الاصنام ( إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الاولين ما انزل الله بها من  
سلطان ) حجة وبرهان بما تقولون أنها آلهة ، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال ( إن يتبعون إلا الظن )  
في قولهم انها آلهة ( وما تهوى الانفس ) وهو ما زين لهم الشيطان ( ولقد جاءهم من ربهم الهدى )



ثم قال تعالى [ أم للانسان ما تمنى ؟ ] أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له ( ليس بأمانيسكم ولا أمانى أهل الكتاب ) ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له  
قال الامام أحمد حدثنا اسحاق حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا بدري ما يكتب له  
من أمنيته » تفرد به احمد

وقوله ( فله الآخرة والاولى ) أي إنما الامر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا  
والآخرة فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

وقوله تعالى ( وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله  
لمن يشاء وبرضى ) كقوله ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن  
له ) فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعته هذه الاصنام والانداد  
عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل  
بالتنهي عن ذلك جميع كتبه ؟

ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ( ٢٧ ) وما لهم به من

علم إن يتَّبِعُون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ( ٢٨ ) فأعرض عن من تولى عن

ذكرنا ولم يُرد إلا الحيوة الدنيا ( ٢٩ ) ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن

سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ( ٣٠ )

يقول تعالى منكرا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الانثى وجعلهم لها أنها بنات الله  
تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أنا أناس شهدوا خلقهم سكتب

البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة وإن العبادة لاتصلح إلا لله الواحد القهار ( أم للانسان  
ما تمنى ؟ ) أيظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعته الاصنام ؟ ( فله الآخرة والاولى ) ليس  
كما ظن الكافر وتمنى بل لله الآخرة والاولى لا يملك أحد فيهما شيئا إلا بأذنه ( وكم من ملك في  
السموات ) ممن يعبدهم هؤلاء ( الكفار ورجون شفاعتهم عند الله ) لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من  
بعد أن يأذن الله ( في الشفاعة ) لمن يشاء وبرضى ( أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد  
لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله شفاعتهم والملك واحد لان المراد من قوله وكم  
من ملك السكرة فهو كقوله ( فما منكم من أحد عنه حاجزين ) ( إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون



شهادتهم ويستلون ) ولهذا قال تعالى ( وما لهم به من علم ) أي ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه بل هو كذب وزور واقتراء وكفر شنيع ( إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ) أي لا يجدي شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وقوله تعالى ( فاعرض عن تولى عن ذكرنا ) أي اعرض عن الذي اعرض عن الحق واهجره وقوله ( ولم يرد إلا الحياة الدنيا ) أي وإنما أكثرهم ومبالغ علمه الدنيا فذاك هو غاية مالا خير فيه ولهذا قال تعالى [ ذلك مبلغهم من العلم ] أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا اليه وقد روى الامام احمد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وفي الدعاء المأثور « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا »

وقوله تعالى [ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ] أي هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبداً لا في شرعه ولا في قدره

ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (٣١) الذين يجتنبون كبشرا الاثم والفواحش إلا اللثم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون امهتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢)

الملائكة تسمية الانثى ) أي بتسمية الانثى حين قالوا انهم بنات الله ( وما لهم به من علم ) قال مقاتل معناه ما يستيقنون انهم اناث ( إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ) والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم وقبل الحق بمعنى العذاب أي إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب ( فاعرض عن تولى عن ذكرنا ) يعني القرآن وقبل الايمان ( ولم يرد إلا الحياة الدنيا ) ثم صغر رأيهم فقال ( ذلك مبلغهم من العلم ) أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقبل لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن ( إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ) أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم ( ولله ما في السموات وما في الارض ) وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله ( ليجزي الذين



يخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق [ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى] أي يجازي كلا بعمله ان خيرا فخير، وان شرا فشرا

ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر وان وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستور عليهم كما قال في الآية الاخرى [ان يجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما] وقال ههنا [الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم] وهذا استثناء منقطع لان اللهم من صفات الذنوب ومحقرات الاعمال

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر بن اروطه عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالهم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال «ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» اخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى اخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الاعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللهم وكذا قال مسروق والشعبي. وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائي قال سألت أبا هريرة عن قول الله [الا اللهم] قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا اللهم الا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم

وقال ابن جرير حدثنا ابن المنثي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد انه قال في هذه الآية (الا اللهم) قال الذي لم بالذنب ثم بدعه قال الشاعر

أساؤا بما عملوا قاللام في قوله ليجزى متعلق بمعنى الآية الاولى لانه إذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه الذين أساؤا أي أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وأما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كبير الملك ولذلك قال [وفيه ما في السموات وما في الارض] ثم وصفهم فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم) اختلفوا في معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح والهم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقم الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللهم ما دون الشرك وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى الا اللهم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله الا اللهم قال قال رسول الله ﷺ



إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قول الله تعالى ( الا الهم ) قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس ( الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا الهم ) قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله ﷺ إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه الا من حديث زكريا بن إسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروى متصلا الا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبقوي من حديث أبي عاصم النبيل وانما ذكره البقوي في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر

ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيم حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة اراه رفعه في ( الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا الهم ) قال الهم من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، والهم من السرقة ثم يتوب ولا يعود والهم من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الالم وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله تعالى ( الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا الهم ) قال الهم من الزنا او السرقة او شرب الخمر ثم لا يعود وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول الله ( الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا الهم ) قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون هو الرجل يصيب الهم من الزنا والهمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها

وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس ( الا الهم ) لم بها في الحين قلت الزنا؟ قال الزنا ثم يتوب

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما؟

وأصل الهم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه ، وقال آخرون هذا استثناء منقطع مجازه لكن الهم ولم يحصلوا الهم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صفار الذنوب كالنظرة والغمرة والقلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس



وقال ابن جرير أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة . وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقالت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم . حكاه البغوي

وروي ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللمم مادون الشرك ، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير ( إلا اللمم ) قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( إلا اللمم ) كل شيء . بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء . ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك

وقوله تعالى ( ان ربك واسع المغفرة ) أي رحمته وسعت كل شيء . ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى ( قل يا غياث الذين أصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم )

وقوله تعالى ( هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ) أي هو بصير بكم علم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أبائكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين فريقاً للجنة وفريقاً للسعير وكذا قوله ( وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ) قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن غيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر بن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ « أن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه » ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وزاد « والعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى »

وقال الكلبي اللم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه ، وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب أي خطر ، وقال الحسين بن الفضل اللم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فإن أعاد النظرة فليس بلم وهو ذنب « إن ربك واسع المغفرة » قال ابن عباس لمن فعل ذلك وناب ثم الكلام ههنا ثم قال « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض » أي خلق أبائكم آدم من التراب « وإذ أنتم أجنة » جمع جنين سمي جنيناً لاجتنانه في البطن « في بطون



قال مكحول كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبانا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبوا لا أبالك فماذا بعد هذا ينتظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه وقوله تعالى ( فلا تزكوا أنفسكم ) أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ( هو أعلم بمن اتقى ) كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلهون فتيلًا )

وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة ان رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله ﷺ « لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا بم نسميها؟ قال « سموها زينب »

وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فيقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك » ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخاري ومسلم وأبوداود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به. وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا أخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن همام ابن الحارث قال جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الاسود يحثو في وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله ﷺ اذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب . ورواه مسلم وأبوداود من حديث الثوري عن منصور به

أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلاً وأكدى؟ (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى؟ (٣٥)

ألم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي وفى؟ (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨)

وأن ليس للإنسن إلا ما سمى (٣٩) وأزسيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزئه الجزاء الا وفى (٤١)

أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها ، قال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة [ فلا تزكوا أنفسكم ] فلا تبرئوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها قال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا فأنزل الله تعالى هذه الآية ( هو أعلم بمن اتقى ) أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى

قوله عز وجل ( أفرأيت الذي تولى؟ ) نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي ﷺ



يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ( وأعطى قليلا وأكدى ) قال ابن عباس أطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كثر القوم اذا كانوا يحفرون بئراً فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل

وقوله تعالى ( أعنده علم الغيب فهو يرى ) أي أعنده هذا الذي قد أمسك يده خشية الانفاق وقطم معروفه أعنده علم الغيب انه سينفذ ما في يده حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً ؟ أي ليس الامر كذلك ، وانما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحاً وطمعاً ، ولهذا جاء في الحديث « أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا » وقد قال الله تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين )

وقوله تعالى [ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ] قال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما أمر به . وقال ابن عباس ( وفى ) الله بالبلغ وقال سعيد بن جبير وفى ما أمر به ، وقال قتادة وفى طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى ( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ) فقام بجميع الاوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين )

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا

على دينه فعبده بعض المشركين وقال له أتركت دين الاشياخ وضلائهم ؟ قال إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذي عبده بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه ، فأنزل الله عز وجل [ أفرأيت الذي تولى ] أدبر عن الايمان ( وأعطى ) صاحبه ( قليلا وأكدى ) بخل بالباقي ، وقال مقاتل أعطى يعني الوليد قليلا من الخير بلسانه وأكدى ثم أكدى يعني قطعه وأمسك ولم يبق على العطية ، وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الامور ، وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الاخلاق . فذلك قوله ( وأعطى قليلا وأكدى ) لم يؤمن به ومعنى أكدى يعني قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر تقول العرب أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل ( أعنده علم الغيب فهو يرى ) ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ( أم لم ينبأ ) لم يخبر ( بما في صحف موسى ) يعني أسفار التوراة ( وإبراهيم ) وفي صحف إبراهيم



حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن ابي امامة قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ( و ابراهيم الذي وفى ) قال « أتدري ما وفى ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « وفى عمل يومه باربع ركعات من اول النهار » ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف

وقال الترمذي في جامعه حدثنا ابو جعفر السمناني حدثنا ابو مسهر حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن ابي الدرداء و ابي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « ابن آدم اركع لي أربع ركعات من اول النهار أكفك آخره »

قال ابن ابي حاتم رحمه الله وحدثنا ابي حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا زيان بن فايد عن سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الا اخبركم لم سمي الله تعالى ابراهيم خليله الذي وفى ؟ انه كان يقول كل ما اصبح وامسى ( فصبحنا الله حين تمسون وحين تصبحون ) حتى ختم الآية

ورواه ابن جرير عن ابي كريب عن رشدين بن سعيد عن زيان به ، ثم شرع تعالى يبين ما كان أرواحه في صصف ابراهيم وموسى فقال ( أن لا تزر وازرة وزر أخرى ) أي كل نفس ظلمت نفسها

عليه السلام ( الذي وفى ) تم وأكمل ما أمر به ، قال الحسن وسعيد بن جبير وقناة عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه ، قال مجاهد وفى بما فرض عليه ، قال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطاء الخراساني استكمل الطاعة ، وقال أبو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله ( وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ) والتوفية الانعام ، وقال الضحاك وفى ميثاق المناسك

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا ابو جعفر محمد بن علي ابن دحيم الشيباني ثنا ابراهيم بن اسحاق الزهري ثنا اسحاق بن منصور عن امرائيل عن جعفر ابن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ابراهيم الذي وفى صلى أربع ركعات أول النهار »

أخبرنا ابو عثمان الضبي أنا ابو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا ابو جعفر الشيباني ثنا أبو مسهر ثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال « ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ثم بين ما في صحفهما فقال ( ألا تزر وازرة وزر أخرى ) أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بأثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن لوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الأثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامراته وعبدته حتى كان ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ( ألا تزر وازرة وزر أخرى )



بكفر او شيء من الذنوب فانما عليها وزرها لا يحملها عنها أحد كما قال ( وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ) ( وان ليس للانسان الا ما سعى ) أي كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الاجر الا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه ان القراءة لا يصل اهداء ثوابها الى الموتى لانه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدوا اليه بنص ولا إجماع ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيراً ما سبقوا اليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بانواع الاقيسة والآراء ، فاما الدعاء والصدقة فذلك يحجم على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث ان أطيب ما أكل الرجل من من كسبه وان ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقوف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى (إننا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) الآية والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح من «دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»

وقوله تعالى ( وأن سعيه سوف يرى ) أي يوم القيامة كقوله تعالى ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ) أي فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء ان خيراً فخير وإن شراً فشر وهكذا قال ههنا ( ثم يجزاه الجزاء الاوفى ) أي الاوفر

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى » أي عمل كقوله [ ان سعيكم لشتى ] وهذا أيضاً في صحف ابراهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله [ ألحقنا بهم ذرياتهم ] فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء ، وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى ، فأما هذه الامة فلم يوسعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امرأة رفعت صبياً لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال نعم ولك أجر « وقال رجل للنبي ﷺ ان أمي اقلنت نفسها فهل لها اجر إن تصدقت عنها ؟ قال « نعم » وقال الريم بن أنس ( وأن ليس للانسان الا ما سعى ) يعني الكافر فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له وقيل ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو فيتأب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير ، ويروى ان عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قبصاً ألبسه إياه فلما مات ارسل رسول الله ﷺ قبصه ليكفنه فيه فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها « وان سعيه سوف يرى » في ميزانه يوم القيامة من أريته الشيء « ثم يجزاه الجزاء الاوفى » الاكل والآنم اي يجزي الانسان بسعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر



وأن إلى ربك المنتهى (٤٢) وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣) وأنه هو أُمات وأحيا (٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦) وأنه عليه النشأة الاخرى (٤٧) وأنه هو أغنى وأقنى (٤٨) وأنه هو رب الشعري (٤٩) وأنه أهلك عاداً الاولى (٥٠) وتموداً فابقى (٥١) وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم وأطغى (٥٢) والمؤتفكة أهوى (٥٣) فغشها ماغشى (٥٤) فبأي آلاء ربك تتمازي (٥٥) يقول تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) أي المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الاودي قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بني أود أني رسول رسول الله ﷺ اليكم تعلمون ان المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار وذكر البغوي من رواية ابي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية عن ابي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله (وأن إلى ربك المنتهى) قال لا فكرة في الرب قال البغوي وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعاً « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة » وكذا أورده وليس بحفوظ بهذا اللفظ ، وأما الذي في الصحيح « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته » وفي الحديث الآخر الذي في السنن « تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فان الله تعالى خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة » أو كما قال وقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان

ان اجز علقمة بن مسعود سعيه لم اجزه ببلاء يوم واحد  
 فجمع بين القتين (وأن إلى ربك المنتهى) أي منتهى الخلق ومصيرهم اليه وهو يجازيهم  
 أعمالهم وقيل منه ابتداء المنّة واليه انتهاء الآمال  
 أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الشيباني أنا محمد بن  
 سليمان بن الفتح الحنبلي ثنا علي بن محمد المصري أنا أبو اسحاق بن منصور الصعدي أنا العباس  
 ابن زفر عن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي  
 ﷺ في قوله [وأن إلى ربك المنتهى] قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعاً  
 « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة » (وأنه هو أضحك وأبكى) فهذا  
 تفسير ابن كثير والبغوي (١٦) الجزء الثامن



( وأنه هو أمات وأحيا ) كقوله ( الذي خلق الموت والحياة ) [ وأنه خالق الزوجين الذكر والانثى من نقطة اذا تمى ) كقوله ( يحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نقطة من منى يعنى ؟ ثم كان علة لخلق فسوى \* فجعل منه الزوجين الذكر والانثى \* أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ ) وقوله تعالى ( وأن عليه النشأة الاخرى ) أي كما خلق البداة هو قادر على الاعادة وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ( وأنه هو أغنى وأقنى ) أي ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون الى يمينه فهذا تمام النعمة عليهم ، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم ابو صالح وابن جرير وغيرهما ، وعن مجاهد أغنى مول وأقنى اخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا أغنى أعطى وأقنى رضي ، وقيل معناه أغنى نفسه وأقنى الخلاق اليه قاله الحضرمي بن لاحق وقيل اغنى من شاء من خلقه واقنى أي افقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ وقوله ( وانه هو رب الشعري ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم

يدل على أن كل ما يعمل الانسان فبقضائه وخلقته حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكسبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار ، وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر قال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريم أنا أبو انقاسم البغوي ثنا علي ابن الجعد أنا قيس هو ابن الربيع الاسدي ثنا ممالك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أ كنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون اشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي ﷺ وقال معمر عن قتادة سئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ؟ قال نعم والايامن في قلوبهم أعظم من الجبل ( وأنه هو أمات وأحيا ) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقبل أمات الكافر بالانكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة ( وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى ) من كل حيوان ( من نقطة اذا تمى ) أي نصب في الرحم يقال منى الرجل وأمنى ، قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون تقدر يقال منيت الشيء اذا قدرته ( وان عليه النشأة الاخرى ) أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة ( وأنه هو أغنى واقنى ) قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى أي أعطى القنية واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية قال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم ، وقال قتادة والحسن اقنى اخدم ، وقال ابن عباس اغنى واقنى أعطى فارضى ، قال مجاهد ومقاتل اقنى ارضي بما أعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل ، وقرأ ( ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ) وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان ( وأنه هو رب الشعري ) وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان يقال لاحدهما العبور والآخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من الاخرى



الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه ( وأنه أهلكت عادا الاولى ) وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح كما قال تعالى ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ؟ ) فكانوا من أشد الناس وأقوام وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليلال وثمانية أيام حسوما ) أي متتابعة

وقوله تعالى ( ونمود فما أبقى ) أي دمرهم فلم يبق منهم أحدا ( وقوم نوح من قبل ) أي من قبل هؤلاء ( أنهم كانوا هم أظلم وأطغى ) أي أشد تمردا من الذين من بعدهم ( والمؤتفكة أهوى ) يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فقشاها ماغشى يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ) وأمطرنا عليهم مطرا فساد مطر المنذرين ( قال قتادة كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف انسان فانصرم عليهم الوادي شيئا من نار ونفط وقطران كنفم الاتون . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليف عنه به وهو غريب جداً ( فبأي آلاء ربك تمارى ؟ ) أي ففي أي نعم الله عليك أيها الانسان تمري ؟ قاله قتادة وقال ابن جرير ( فبأي آلاء ربك تمارى ؟ ) يا محمد والاول اولى وهو اختيا ابن جرير

هذا نذير من النذر الاولى (٥٦) أذفت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨)

والحجرة بينهما و اراد ههنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها واول من سن لهم ذلك رجل من اشراقهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لما فعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابى كبشة لخلافه ايام كخلاف ابى كبشة في عبادة الشعرى

قوله عز وجل ( وأنه أهلكت عادا الاولى ) قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال ويهمز واوه قالون عن نافع والعرب تفعل ذلك فتقول قم لان عنا تريد قم الان عنا ويكون الوقف عندهم عادا والابتداء الاولى بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة ويجوز الابتداء لولى بحذف الهمزة المفتوحة وقرأ الآخرون عادا الاولى وهم قوم هود أهلكتوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى ( ونمود ) وهم قوم صالح أهلكتهم الله بالصيحة ( فما أبقى ) منهم أحدا ( وقوم نوح من قبل ) أي أهلكت قوم نوح من قبل عاد ونمود ( أنهم كانوا هم أظلم وأطغى ) لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب ( والمؤتفكة ) يعني قرى قوم لوط ( أهوى ) أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها الى السماء ( فقشاها ) ألبسها الله ( ماغشى ) يعني الحجارة المنضودة المسومة ( فبأي آلاء ربك ) نعم ربك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة ( تمارى ؟ ) نشك وتجادل وقال ابن عباس تكذب ( هذا نذير ) يعني محمدا ( من النذر الاولى ) أي رسول من



أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سمدون؟ (٦١)  
فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢)

( هذا نذر ) يعني محمداً ﷺ ( من النذر الاول ) أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى [ قل ما كنت بدعا من الرسل ] [ أذنت الآزفة ] أي اقتربت القربة وهي القيامة ( ليس لها من ذنر الله كاشفة ) أي لا يدفعها اذا من ذنر الله أحد ولا يطلع على علمها سواء (١) والنذر الحذر لما يعان من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال [ اني نذر لكم بين يدي عذاب شديد ] وفي الحديث « أنا النذر العريان » أي الذي أعجله شدة ما عان من الشر عن أن يلبس عليه شيطان بل يادر إلى انذار قومه قبل ذلك فجاءهم عرباناً مسرعاً وهو مناسب لقوله ( أذنت الآزفة ) أي اقتربت القربة يعني يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها [ اقتربت الساعة ]

(١) من هنا إلى قوله ثم قال تعالى منكرأ على المشركين غير موجود في المكية

وقال الامام أحمد حدثنا أنس بن عبياض حدثني ابو حاتم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا يطن واد فجاء ذا يعود وجا ذا يعود حتى أنضحوا خبزتهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلك » وقال ابو حازم: قال رسول الله ﷺ قال أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال « مثلي ومثل الساعة كهاين » و فرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام ، ثم قال « مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان » ثم قال « مثلي ومثل الساعة رجل بعثه قومه إلى طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتهم أنيتهم » ثم يقول رسول الله ﷺ « أنا ذلك » وله شواهد من وجوه أخر من صحيح وحسان

الرسول أرسل اليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم وقال قتادة يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله ( أذنت الآزفة ) دنت القيامة واقتربت الساعة ( ليس لها من ذنر الله كاشفة ) أي مظاهرة مقيمة كقوله تعالى لا يجلبها لوقتها الا هو والها فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة ويجوز أن تكون الكاشفة مصدراً كالحاية والعافية والمعنى ليس لها من ذنر الله كاشف أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق أهواها وشدائدها لم يكشفها ولم يرددها عنهم أحد وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك ( أفمن هذا الحديث ) يعني القرآن ( تعجبون وتضحكون؟ ) استهزاء ( ولا تبكون ) لما فيه من الوعد والوعيد ( وأنتم سمدون ) لاهون غافلون والسمود الغفلة عن الشيء والاهو يقال دع عنا سمودك أي لهوك

هذا رواية الوالي والعوفي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه هو الغناء بلفظ أهل الجن وكانوا اذا سمعوا القرآن نغفوا واهبوا وقال الضحاك أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطون فقبل له ما البرطمة قال الاعراض ( فاسجدوا لله واعبدوا ) أي واعبدوه



ثم قال تعالى منكرأ على المشركين في استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلبيهم (تعجبون) من أن يكون محبها (وتضحكون) منه استهزاء وسخرية (ولا تبكون) أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم [ويخرون للاذقان يبيكون وبزیدم خشوعاً]

وقوله تعالى ١ وأنتم سامدون قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال : الغناء هي بناية اسمد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة ، وفي رواية عن ابن عباس (سامدون) معرضون ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وفي رواية عن ابن عباس تستكبرون وبه يقول السدي ، ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والاخلاص (فاسجدوا لله واعبدوا) أي فاخلصوا له وأخلصوا ووحده

قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس . انفرد به دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طارم عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطالب بن أبي وداعة عن أبيه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطالب فكان بعد ذلك لا يسلم أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائي في الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به

﴿ آخر تفسير سورة النجم والله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه الأرجل رأيت أنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيت أنه بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا آدم بن أبي إياس أنا ابن أبي ذئب أنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال قرأ علي النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها فقلت هذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة على القاري والمستمع جميعاً وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي



## تفسير سورة اقتربت الساعة وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشغالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق واعادته والتوحيد واثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢)

وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (٣) ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزجر (٤)

حكمة بلغة فما تغني النذر (٥)

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)

وقال [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وقد وردت الاحاديث بذلك

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنقر وعمر بن علي قال حدثنا خلف بن موسى حدثني أبي عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تقرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً» قالت هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ

﴿حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره﴾ قال الامام احمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ثوريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قميعان بعد العصر فقال «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى»

وقال الامام احمد حدثنا حسين حدثنا مطرف عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «بعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعه السبابة والوسطى . أخرجه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الاعمش عن أبي خالد عن وهب السوائي قال :

﴿سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقتربت الساعة﴾ ذنت القيامة ﴿وانشق القمر﴾



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني » وجمع الاعمش بين السبابة والوسطى

وقال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا الازاعي حدثني اسماعيل بن عبيد الله قال قدم أنس ابن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أنتم والساعة كهاتين » تفرد به احمد رحمه الله وشاهد ذلك ايضا في الصحيح في اسماء رسول الله ﷺ انه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه

وقال الامام احمد حدثنا بهز بن اسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن فزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « اما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صباية كصباية الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا ان الحجر يلتقي من شفير جهنم فيهبوي فيها سبعين عاما ما يدرك لها قمرا » والله ليمؤنه أفعبجنم والله لقد ذكر لنا أن مابين مصر اعي الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظليط الزحام وذو كرماء الحديث انفرد به مسلم

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال ألا ان الله يقول ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق الا وان الدنيا قد آذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغداً السباق فقلت لا بني ايسبق الناس غداً ؟ فقال يا بني انك لجاهل انما هو السباق بالاعمال ، ثم جاءت الجمعة الاخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال الا ان الله عز وجل يقول [ اقتربت الساعة وانشق القمر ] الا وان الدنيا قد آذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغداً السباق ألا وان الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة

وقوله تعالى ( وانشق القمر ) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود انه قال « خمس قد مضين الروم والدخان والزام والبطشة والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وانه كان إحدى المعجزات الباهرات

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب أنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين



﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

﴿ رواية أنس بن مالك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ابن مالك قال سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال ( اقربت الساعة وانشق القمر ) ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق

وقال البخاري حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأرأهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجاه أيضا من حديث بونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبي داود الطيالسي وبجيبى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به

﴿ رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . ورواه البيهقي أيضا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره

﴿ رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴾ قال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي ﷺ . ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن نصر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله

وقال ابن جرير : حدثنا ابن مثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( اقربت الساعة وانشق القمر ) • وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ( قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن بجيبى القطعي حدثنا محمد بن شكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فزلت ( اقربت الساعة وانشق القمر - الى قوله - مستمر )

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق



﴿رواية عبد الله بن عمر﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب ابن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقين فلقه من دون الجبل وفلقه من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح

﴿رواية عبد الله بن مسعود﴾ قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به وأخرجاه من حديث الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عبد الله بن سخرية عن ابن مسعود به

وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمي حدثنا عيسى بن يحيى بن عيسى عن الأعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا اشهدوا » قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتكم به السفار فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل ( اقتربت الساعة وانشق القمر )

ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا ايوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر

القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد



وقال ابن جرير ايضا حدثني محمد بن عمار حدثنا عمرو بن حماد حدثنا اسباط عن ممالك عن ابراهيم عن الاسود عن عبدالله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق ورواه الامام احمد عن مؤمل عن امرئيل عن ممالك عن ابراهيم عن الاسود عن عبدالله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجي القمر وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصارتين فقال النبي ﷺ لا بي بكر اشهد يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى ( وان يروا آية ) اي دليلا وحجة وبرهانا ( يعرضوا ) اي لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ( ويقولوا سحر مستمر ) اي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الجمع سحر سحر نابه ومعنى ( مستمر ) أي ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له ( وكذبوا واتبعوا أهواءهم ) أي كذبوا بالحق اذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافتهم وعقلهم وقوله ( وكل أمر مستقر ) قال قتادة معناه ان الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر ، وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد ( وكل أمر مستقر ) أي يوم القيامة وقال السدي مستقر اي واقع وقوله تعالى ( ولقد جاءهم من الانباء ) أي من الاخبار عن قصص الامم المكذبة بالرسول وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن ( ما فيه مزدجر ) أي ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتفادي على التكذيب

ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش سحر ابن ابي كبشة فاسألوا السفار فسألوه فقالوا نعم قد رايناه فأزل الله عز وجل ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) ( وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ) اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم من الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر هذا قول مجاهد وقتادة وقال ابو العالية والضحاك مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم من الجبل اذا صلب واشتد وامرته انا اذا احكمت فتلته واستمر الشيء اذا قوي واستحكم ( وكذبوا واتبعوا أهواءهم ) اي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل ( وكل أمر مستقر ) قال الكلبي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر ما كان منه في الآخرة فسيعرف وقال قتادة كل امر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير والشر مستقر بأهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر قراره فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل كل ما قدر كائن واقع لا محالة وقرأ ابو جعفر مستقر بجر الزاء ولا وجه له ( ولقد جاءهم ) يعني اهل مكة ( من الانباء ) من اخبار الامم المكذبة في القرآن ( ما فيه مزدجر ) منتهى مصدر بمعنى الازدجار



وقوله تعالى [ حكمة بالغة ] أي في هدايته تعالى لمن هداه واضلّاله لمن أضله [ فما تنفي النذر ] يعني أي شيء تنفي النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فن الذي يهديه من بعد الله وهذه الآية كقوله تعالى [ قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهدانا كم أجمعين ] وكذا قوله تعالى [ فماتنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ]

فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكّر (٦) خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث

كانهم جراد منتشر (٧) مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير (٨)

يقول تعالى فتول يا محمد عن هؤلاء الذين اذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظروا [ يوم يدع الداع الى شيء نكر ] أي الى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل ولزلازل والاهوال [ خشعاً أبصارهم ] أي ذليلة أبصارهم [ يخرجون من الاجداث ] وهي القبور كأنهم جراد منتشر أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب اجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق ، ولهذا قال [ مهطعين ] أي مسرعين الى الداعي لا يخالفون ولا يتأخرون [ يقول الكافرون هذا يوم عسر ] أي يوم شديد المولع بوس قطير [ فذلك يوم عسير على الكافرون غير يسير ]

أي نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء وأصله مزيج قلبت التاء دالا [ حكمة بالغة ] يعني القرآن حكمة تامة وقد بلغت الغاية في الزجر [ فما تنفي النذر ] يجوز أن تكون مانعاً على معنى فليست تنفي النذر ويجوز أن يكون استفهاماً والمعنى فأي شيء تنفي النذر إذا خافوكم وكذبوكم كقوله وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والنذر جمع نذير [ فتول عنهم ] أي أعرض عنهم نسختها آية القتال قيل ههنا وقف تام وقيل فتول عنهم [ يوم يدع الداع ] أي الى يوم يدع الداعي قال مقاتل هو اسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس [ الى شيء نكر ] منكر فظيع لم يروا مثله فينكروا استعظاماً قرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والآخرين بضمها [ خشعاً أبصارهم ] قرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي خاشعاً على الواحد وقرأ الآخرون خشعاً بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع ويجوز في أماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث تقول مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم قال الشاعر

ورجال حسن أوجههم من ايام بن نزار بن معد

وفي قراءة عبد الله خاشعاً أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب [ يخرجون من الاجداث ] من القبور [ كأنهم جراد منتشر ] منبث حيارى وذكر المنتشر على لفظ الجراد نظيرها [ كافر اش المبعوث ] وأراد أنهم يخرجون فزعين لاجهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لاجهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض [ مهطعين ] مسرعين مقبلين [ الى الداع ] الى صوت اسرافيل [ يقول الكافرون هذا يوم عسر ]



كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (٩) فدعاه ربه أني مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وجفنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٢) وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها آية فهل من مدكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر (١٦) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧)

يقول تعالى كذبت قبل قومك يا محمد قوم نوح ( فكذبوا عبدنا ) أي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالمجنون ( وقالوا مجنون وازدجر ) قال مجاهد وازدجر أي استطير جنونا ، وقيل وازدجر أي انتروه وزجروه وتواعدوه لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن ( فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ) أي اني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لديك

قال الله تعالى [ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ] قال السدي وهو الكثير [ وجفنا الأرض عيونا ] أي نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونا ( فالتقى الماء ) أي من السماء والأرض [ على أمر قد قدر ] أي أمر مقدر

قال ابن جرير عن ابن عباس ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب فتبعت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وروى ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل علياً عن الحجرة فقال هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر وحملناه على ذات ألواح ودسر قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة والقرظي وقتادة وابن زيد هي المسامير واختاره ابن جرير قال

صعب شديد، قوله عز وجل ( كذبت قبلهم ) أي قبل أهل مكة ( قوم نوح فكذبوا عبدنا ) نوحاً ( وقالوا مجنون وازدجر ) أي زجروه عن دعوته ومقاتلته بالشتم والوعيد وقالوا لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقال مجاهد معنى ازدجر أي استطير جنونا ( فدعا ) نوح ( ربه ) وقال ( أني مغلوب ) مقهور ( فانتصر ) فانتقم لي منهم ( ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ) منصبا انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً وقال يمان قد طبق ما بين السماء والأرض ( وجفنا الأرض عيونا فالتقى الماء ) يعني ماء السماء وماء الأرض وإنما قال فالتقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعداً لأن الماء يكون جمعا وواحداً وقرأ عاصم الجحدري فالتقى المساءن ( على أمر قد قدر ) أي قضى عليهم في أم الكتاب وقال مقاتل قدر الله أن يكون المساءن سواء فيكون



وواحد هادسار ويقال دسبر كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك ، وقال مجاهد الدمر اضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذي يضرب به الموج ، وقال الضحاك الدمر طرفاها وأصلها وقال العوفي عن ابن عباس هو كالكلها أي صدرها

وقوله (نجري بأعيننا) أي بأمرنا بما رأى منا ونحت حفظنا وكلاءنا (جزاء لمن كان كفر) أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام

وقوله تعالى (ولقد تركناها آية) قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الامة والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية \* لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) ولهذا قال ههنا (فهل من مذكر) أي فهل من يتذكر ويتعظ

قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الاسود عن ابن مسعود قال أقراني رسول الله ﷺ فهل من مذكر وهكذا رواه البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبي ﷺ (فهل من مذكر) وقال النبي ﷺ [فهل من مذكر]

على ما قدر (وحملناه) يعني نوحا (على ذات ألواح ودمر) أي سفينة ذات ألواح ذكر الهمت وترك الاسم أراد بالألواح خشب السفينة العريضة ودمر أي المسمير التي تشد بها الألواح واحداها دسار ودمير يقال دمرت السفينة إذا شدتها بالمسامير وقال الحسن الدمر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدمر الماء بجوؤها أي تدفع وقال مجاهد هي عوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الضحاك الألواح جانبها والدمر أصلها وطرفاها (نجري بأعيننا) أي بما رأى منا وقال مقاتل ابن حبان بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقال سفيان بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعني فعلنا به وبهم من انجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام وقيل من يعني ما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعني كان الفرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله (ولقد تركناها) يعني الفعلة التي فعلنا (آية) يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله بياقرذي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الامة (فهل من مذكر) أي منذ كر معظم معتبر خائف مثل عقوبتهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو نعيم ثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلا سأل الاسود عن قوله فهل من مذكر أو مذكر



وروى البخاري أيضا من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ [ فهل من مدكر ]

وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلا سأل الأسود فهل من مدكر أو مدكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فهل من مدكر ، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فهل من مدكر دالا ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحاق

وقوله تعالى [ فكيف كان عذابي ونذر ] أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر [ ولقد يسرنا القرآن للذكر ] أي سهلنا لفظه وبسرنا معناه لمن أراد أن يتذكر الناس كما قال [ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ] وقال تعالى فأنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا [ قال مجاهد ] ولقد يسرنا القرآن للذكر [ يعني هونا قراءته وقال السدي يسرنا قراءته على اللسان وقال الضحاك عن ابن عباس لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل ، قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » وأوردنا الحديث بطرقه والفاظه بما أغنى عن إعادته هنا والله الحمد والمنة ، وقوله [ فهل من مدكر ] أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسره الله حفظه ومعناه وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منجز عن المعاصي

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى ( فهل من مدكر ) هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ؟ (١٨) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرأ في يوم

نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر ؟ (٢١)

قال سمعت عبد الله يقرأها فهل من مدكر وقال سمعت النبي ﷺ يقرأها فهل من مدكر دالا ( فكيف كان عذابي ونذر ) أي انذاري قال الفراء الانذا والنذر مصدران تقول العرب أنذرت انذارا ونذرا كقولهم أنفقت انفاقا ونفقة وأيقنت إيقانا ويقينا أقيم الاسم مقام المصدر ( ولقد يسرنا ) سهلنا ( القرآن للذكر ) ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه لحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن قوله عز وجل ( فهل من مدكر ) متعظ بما وعظه ( كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرأ ( شديد الهبوب ) في يوم



ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود إنهم كذبوا رسولهم أيضاً كما صنع قوم نوح وإنه تعالى أرسل (عليهم ربها صرصراً) وهي الباردة الشديدة البرد (في يوم نحس) أي عليهم قاله الضحاك وقتادة والسدي (مستمر) عليهم نحسة ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الديني بالاخروي وقوله تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الابصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط الارض فتثقل رأسه فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال (كأنهم أعجاز نخل منقعر) فكيف كان عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

كذبت نوح بالندر (٢٣) فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر (٢٤)

ألقني الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشير (٢٥) سيعلمون غداً من الكذاب

الأشير (٢٦) إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧) ونبتهم أن الماء قسمة

بينهم كل شرب محتضر (٢٨) فنادوا صاحبهم فتعاطى فمقر (٢٩) فكيف كان عذابي

ونذر؟ (٣٠) إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر (٣١) ولقد يسرنا

القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢)

وهذا اخبار عن نوح أنهم كذبوا رسولهم صالحاً [فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر] يقولون لقد خبنا وخسرنا ان سلطنا كأننا قيادنا لواحد منا ثم تعجبوا من القاء الوحي

نحس مستمر) شديد دائم الشؤم استمر عليهم بنحو سته فلم يبق منهم أحد الا أهله قبل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم ثم رمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس اصولها وقال الضحاك اوراك نخل (منقعر) منقطع من مكانه ساقط على الارض وواحد الاعجاز عجز مثل عضد وأعضاء وانما قال أعجاز نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤوس (فكيف كان عذابي ونذر) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر \* كذبت نوح بالندر) بالانذار الذي جاءهم به صالح (فقالوا ابشراً) آدمياً (منا واحداً نتبعه) ونحن جماعة كثيرة وهو واحد (إنا إذا لفي ضلال) خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عنا يقولون إنا إذا لفي عنا. وعذاب مما يلزمنا من طاعته قال سفيان بن عيينة



عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا ( بل هو كذاب أشر ) أي متجاوز في حد الكذب قال الله تعالى ( سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد ثم قال تعالى ( إنا مرسلو الناقة فتنة لهم ) أي اختباراً لهم اخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ما سألو لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح ( فارتقبهم واصطبر ) أي انتظر ما يؤل إليه أمرهم واصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة ( ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ) أي يوم لهم ويوم للناقة كقوله ( قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ) وقوله تعالى ( كل شرب محتضر ) قال مجاهد إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن

ثم قال تعالى ( فنادوا أصحابهم فتعالى فقمر ) قال المفسرون هو عافر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله ( إذا نبئت أشقاها ) ( فتعالى ) أي حمى ( فقمر ) فكيف كان عذابي ونذر ) أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولني ( إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ) أي فبادوا عن آخرهم لم يبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهدم بيبس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحرى

هو جمع شعير ، وقال الفراء جنون يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها ، وقال وهب وشعر أي بعد عن الحق ( ألقى الذكر ) أنزل الذكر الوحي ( عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ) بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة والاشتر المرح والتعجب ( سيعلمون ) قرأ ابن عامر وحزمة متعلمين بالتاء على معنى قال صالح لهم وقرأ الآخرون بالياء يقول الله تعالى سيعلمون ( غدا ) حين ينزل بهم العذاب وقال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر القدر للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا ( من الكذاب الأشر ) إنا مرسلو الناقة ( أي باعثوها وبخرجوها من الهضبة التي سألو ان يخرجها منها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألو ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله تعالى ( إنا مرسلو الناقة ) ( فتنة لهم ) محنة واختباراً لهم ( فارتقبهم ) فانتظر ما هم صانعون ( واصطبر ) على ارتقابهم وقيل على ما يصيبك من الأذى ( ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ) وبين الناقة يوم لها ويوم لهم وإنما قال بينهم لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم ( كل شرب ) نصيب من الماء ( محتضر ) يحضره من كانت نوبته فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم واحتضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن ( فنادوا أصحابهم ) وهو قدار بن سالف ( فتعالى ) فتناول الناقة بسيفه ( فقمر ) أي فقمرها ( فكيف كان عذابي ونذر ) ثم بين عذابهم فقال ( إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ) قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام ( فكانوا كهشيم



حين يبس ويحترق ونسفيه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يعملون حظاراً على الابل والمواشي من يبس الشوك فهو المراد من قوله (كشيم المحتظر) وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب المتناثر من الحائط وهذا قول غريب والاول اقوى والله اعلم

كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجينهم بسحر (٣٤)

نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥) ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦)

ولقد راودوه عن ضيقه فطامسنا عينهم فذوقوا عذابي ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بكرة

عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا القرآن المذكر فهل من مدكر (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من اتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا اهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الامم فانه تعالى امر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها واتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) وهي الحجارة (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء ولهذا قال تعالى (كذلك نجزي من شكر) ولقد انذرهم بطشتنا أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد انذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا الى ذلك ولا أصغوا اليه بل

المحتظر (المحتظر) قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو المشيم ، وقال ابن زيد هو الشجر البالي الذي نهشم حتى ذرته الريح، والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيبس هشياً ، وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة ، وقال سعيد بن جبير هو التراب الذي يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن) للذكر فهل من مدكر \* كذبت قوم لوط بالنذر \* إنا أرسلنا عليهم حاصباً (ربما ترميهم بالحصبا) وهي الحصى قال الضحاك يعني صفار الحصى وقبل الحصبا هي الحجر الذي دون مل الكف يكون الحاصب الرامي فيكون المعنى على هذا أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم يعني يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال (إلا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) من العذاب (بسحر) \* نعمة من عندنا (يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم) كذلك (يعني كما أنعمنا على آل لوط (نجزي من شكر) قال مقاتل من وحده الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) أخذنا إياهم بالعقوبة



شكوا فيه وتمازوا به ( ولقد راودوه عن ضيفه ) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء الى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فاقبلوا يهرعون اليه من كل مكان فاعلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمنعهم دون أضيافه ويقول لهم ( هؤلاء بناتي ) يعني نسائهم ( ان كنتم فاعلين \* قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ) أي ليس لنا فيه نأرب ( وإنك اتعلم ما تريد ) فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم يبق لهم عيون بالكيفية فرجعوا على أديبارهم يتحسسون بالحيطان ويتعدون لوطا عليه السلام الى الصباح قال الله تعالى ( ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ) أي لا محيد لهم عنه ولا انفكك لهم منه ( فذوقوا عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر )

ولقد جاء آل فرعون النذر (٤١) كذبوا بآياتنا كلها فأخذهم أخذ عزيز مقتدر (٤٢)

أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر (٤٣) أم يقولون نحن جميع منتصر (٤٤)

سبيهم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (٤٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه أنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر

( فتمازوا بالنذر ) شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا ( ولقد راودوه عن ضيفه ) طلبوا أن يسلم اليهم أضيافه ( فطمسنا أعينهم ) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فأنارسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفعهم جبريل عليه السلام بجناحه باذن الله فتركهم عمياً يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون قوله ( فطمسنا أعينهم ) يعني صيرناها كسائر الوجوه لا يرى لها شق هذا قول أكثر المفسرين . وقال الضحاك طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل ، فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا ( فذوقوا عذابي ونذر ) أي ما أنذركم به لوط من العذاب ( ولقد صبحهم بكرة ) جاءهم وقت الصبح ( عذاب مستقر ) دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة وقيل عذاب حق ( فذوقوا عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر \* ولقد جاء آل فرعون النذر ) يعني موسى وهارون عليهما السلام ، وقيل هي الآيات التي أنذرم بها موسى ( كذبوا بآياتنا كلها ) وهي الآيات التسم ( فأخذناهم ) بالعذاب ( أخذ عزيز ) غالب ( مقتدر ) قادر على



ثم قال تعالى ( أكفاركم ) اي أيها المشركون من كفار قريش ( خير من أولئكم ) يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أنتم خير أم أولئكم ( أم لكم براءة في الزبر ) اي ام معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال تعالى مخبرا عنهم [ أم يقولون نحن جميع منتصر ] اي يعتقدون انهم يتناصرون بعضهم بعضا وان جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) اي سيتفرق شملهم ويفلبون

قال البخاري حدثنا اسحاق حدثنا خالد عن خلد، وقال أيضا حدثنا محمد بن عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الارض أبدا » فأخذ ابو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول ( سيهزم الجمع ويولون الدبر \* بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ) وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خلد وهو ابن مهران الخذاء به

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت [ سيهزم الجمع ويولون الدبر ] قال عمر اي جمع يهزم؟ اي جمع يغلب؟ قال عرفلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ

إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم ثم خوف أهل مكة فقال « أ كفاركم خير من أولئكم » أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نعمتي من قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وآل فرعون، وهذا استفهام بمعنى الإنكار أي ليسوا بأقوى منهم « أم لكم براءة » من العذاب « في الزبر » في الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية « أم يقولون » يعني كفار مكة « نحن جميع منتصر » قال الكلبي نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل متصرون لمواقفة رؤس الآي قال الله تعالى « سيهزم الجمع » قرأ يعقوب سنهزم بالنون الجمع نصب وقرأ الآخرون بالياء وضمة الجمع رفع على غير تسمية الفاعل يعني كفار مكة « ويولون الدبر » يعني الادبار فوجد لاجل رؤس الآي كما يقال ضربنا منهم الروس وضربنا منهم الرأس اذا كان الواحد يؤدي مع الجمع أخبر الله انهم يولون ادبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المنثري ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ وهو في قبته يوم بدر « اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول ( سيهزم الجمع ويولون



وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم أخبرني يوسف ابن ماهدك قال اني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد ﷺ بمكة واني لجارية ألب ( بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ) هكذا رواه ههنا مختصراً ، ورواه في فضائل القرآن مطولاً ولم يخرج به مسلم

ان المجرمين في ضلل وسعر (٤٧) يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس

سقر (٤٨) انا كل شيء خلقناه بقدر (٤٩) وما أمرنا الا واحدة كالمح بالبصر (٥٠) ولقد

أهلكنا أشياءكم فهل من مدكر (٥١) وكل شيء فعلوه في الزبر (٥٢) وكل صغير وكبير

مستطر (٥٣) ان المتقين في جنّ ونهر (٥٤) في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)

ينجز تعالى عن المجرمين انهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من انصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى ( يوم يسحبون في النار على وجوههم ) اي كما كانوا في سعر وشك وزدد أودهم ذلك النار وكما كانوا اضلالا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم تقرعاً وتوبيخاً ( ذوقوا مس سقر )

وقوله تعالى ( انا كل شيء خلقناه بقدر ) كقوله [ وخلق كل شيء بقدره تقديراً ] وكقوله تعالى [ سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ] أى قدر قدراً وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أثمة السنة على اثبات قدر الله السابق لخلقهم وهو علمه الاشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من

الدبر ( بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يذب في درعه ويقول ( سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ) أى أعظم داهية وبليّة وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ( ان المجرمين ) المشركين ( في ضلال وسعر ) قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال ذهاب عن طريق الجنة والآخرة وسعر نار مسعرة قال الحسين بن فضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة ، وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال ( يوم يسحبون ) يجرّون ( في النار على وجوههم ) ويقال لهم ( ذوقوا مس سقر ) انا كل شيء خلقناه بقدر ( أى ما خلقناه فقدر ) ومكتوب في اللوح المحفوظ قال الحسن قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له

أخبرنا ابو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي أنا ابو معشر يعقوب بن عبد الحليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا أحمد بن نصر النيسابوري أنا



الاحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الاحاديث في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري رحمه الله ولنذكر ههنا الاحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة

قال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن اماعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال : جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ بخاصمونهم في القدر فنزلت ( يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر \* انا كل شيء خلقناه بقدر ) وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به

وقال البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ما نزلت هذه الآيات ( إن المجرمين في ضلال وسعر \* يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر \* انا كل شيء خلقناه بقدر ) إلا في أهل القدر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب عن كنانة حدثني جرير بن حازم عن سعيد بن عمرو بن جمعة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ( ذوقوا مس سقر \* انا كل شيء خلقناه بقدر ) قال « نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله »

وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في

عبد الله بن الوليد العدني أنا الثوري عن زياد بن اماعيل السهمي عن محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ بخاصمونهم في القدر فنزلت هذه الآية ( إن المجرمين في ضلال وسعر ) إلى قوله ( إنا كل شيء خلقناه بقدر )

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هاني الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » قال وكان عرشه على الماء

أخبرنا أبو الحسن المرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس التيماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس - أو - الكيس والعجز »



القدر فقال أوقد فعلوها؟ قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم (ذوقوا مس سقر) أنا كل شيء خلقناه بقدر (أولئك شرار الامة فلا تعودوا مرضام ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحداً منهم فقات عينه بأصبعي هاتين

وقد رواه الامام احمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد المكي عن عبد الله بن عباس قال قيل له إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال والذي نفسي بيده لئن استمكن مني لا أعض أنفه حتى أقطعه، واثن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «كأنني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق اليانهم مشركات» هذا أول شرك هذه الامة والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً» ثم رواه احمد عن أبي المغيرة عن الاوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه

وقال الامام احمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبي أيوب حدثني أبو صخر عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكتبه فكتب اليه عبد الله بن عمر أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكتب إلي فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر» ورواه أبو داود عن احمد بن حنبل به

وقال احمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تشهدهم» لم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه

وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون في هذه الامة مسخ ألام في المكذبين بالقدر والزندقية»

ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وقال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن الطباع أخبرني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال سمعت ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» ورواه مسلم منفرداً به من حديث مالك

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيرى أنا ابو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا احمد بن حازم بن ابي غرغر أنا يعلى بن عبيد وعبد الله بن مومى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربيع بن خراش عن رجل عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت



وفي الحديث الصحيح « استعن بالله ولا تعجز فان أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان »

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، جفت الاقلام وطويت الصحف »

وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن أيوب بن زباد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض أنخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه اوصني واجتهد لي فقال اجلسوني فلما أجلسوه قال يا بني انك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ماخير القدر وشره؟ قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فخرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يا بني إن مت واست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب

وقال سفيان الثوري عن منصور عن ربيع بن خراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: بشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره »

وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن ربيع عن علي فذكره وقال هذا عندي أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربيع عن علي به

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة » زاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب

وقوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ

ويؤمن بالقدر - زاد عبد الله - خيره وشره » ورواه ابو داود عن شعبة عن منصور وقال عن ربيع عن علي ولم يقل عن رجل وهذا اصح ( وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ) قوله واحدة ترجع الى المعنى



قدره فيهم فقال ( وما أمرنا الا واحدة ) أي أنما أمر بالشيء مرة واحدة لانحتاج الى تأكيد بشأنه فيكون ذلك الذي تأمر به حاصلاً موجوداً ( كالمح بالبصر ) لا يتأخر طرفة عين ، وما أحسن ما قال بعض الشعراء

إذا ما أراد الله أمراً فلما يقول له كن قوله فيكون

وقوله تعالى ( واقد أهلكنا أشياءكم ) يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ( فهل من مدكر ؟ ) أي فهل من منعه بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءكم من قبل )

وقوله تعالى ( وكل شيء فعلوه في الزبر ) أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ( وكل صغير وكبير ) أي من أعمالهم ( مستطر ) أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك سمعت عامر بن عبد الله ابن الزبير حدثني عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأبها عن عائشة أن رسول الله ( ص ) كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقد رواه الحافظ ابن عساکر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ، ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك يا سعيد بن مسلم لقد حدثني سليمان بن المغيرة انه عمل ذنباً فاستغفره فأناه آت في منامه فقال له يا سليمان

لا تحقرن من الذنوب صغيراً	ان الصغير غداً يعود كبيراً
ان الصغير ولو تقادم عهده	عند الاله مسطر تسطيراً
فازبر هوأك عن البطالة لا تكن	صعب القياد وشمرون تشميراً
ان المحب إذا أحب إلهه	طار الفؤاد وألهم التفكير
فاسأل هدايتك الاله بنية	فكنى بربك هادياً ونصيراً

دون اللفظ أي وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيها كالمح بالبصر

قال عطاء عن ابن عباس يريد إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وقال الكلبي عنه وما أمرنا بمعجزة الساعة في السرعة الا كعطف البصر ( ولقد أهلكنا أشياءكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة ) ( فهل من مدكر ) منعه يعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر ( وكل شيء فعلوه ) يعني فعله الاشياء من خير وشر ( في الزبر ) في كتاب الحفظ وقيل في القواح المحفوظ ( وكل صغير وكبير ) من الخلق وأعمالهم وآجالهم ( مستطر ) مكتوب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتبت ( ان المتقين في



وقوله تعالى ( ان المنقين في جنات ونهر ) أي بعكس ما الاشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتعريض والتهديد  
وقوله تعالى ( في مقعد صدق ) أي في دار كرامة الله ورضوانه ، وفضله وامتنانه ، وجوده وإحسانه ( عند مليك مقتدر ) أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها ، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن أبي عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « المفسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلنا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » انفرد باخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله

( آخر تفسير سورة اقتربت والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة )

## تفسير سورة الرحمن وهي مكية

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال اني لأقرأ المفصل في ركة واحدة فقال أهذا كهد الشعر لأبائك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود [ الرحمن ]

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال « لقد قرأنا على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله ( فأي آلا ربكنا نكذبان ) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الامام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا

جنات ) بساين ) ونهر ) أي أنهار ووحده لاجل رؤس الآتى واراد أنهار الجنة من الماء والخمر والابن والعسل ، وقال الضحاك يعني في ضياء وسعة ومنه النهار وقرأ الأعرج ونهر بضمين جمع النهار يعني لا ليل لهم ( في مقعد صدق ) في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ( عند مليك مقتدر ) ملك قادر لا يعجزه شيء

قال جعفر الصادق رضي الله عنه مدح الله المسكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق



ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبد الله بن أحمد بن سيويه عن هشام بن عمار عن كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا حدثنا يحيى بن سليم عن اسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « ما أتيت على قول الله تعالى ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) ؟ إلا قالت الجن لا بشي . من نعم ربنا نكذب » ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

### بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن ( ١ ) علم القرآن ( ٢ ) خلق الانسان ( ٣ ) علمه البيان ( ٤ ) الشمس والقمر بحسبان ( ٥ ) والنجم والشجر يسجدان ( ٦ ) والسماء رفعها ووضع الميزان ( ٧ ) ألا تطفئوا في الميزان ( ٨ ) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ( ٩ ) والارض وضعها للانام ( ١٠ ) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام ( ١١ ) والحب ذو العصف والريحان ( ١٢ ) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ( ١٣ )

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقته انه أنزل على عباده القرآن وبسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى ( الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ) قال الحسن يعني النطق ، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لان السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أدا تلاوته وانما يكون

### ﴿ سورة الرحمن مكية وهي ست وسبعون آية ﴾

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرحمن ﴾ نزلت حين قالوا وما الرحمن ؟ وقبل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر ﴿ علم القرآن ﴾ قال الكلبي علم القرآن محمداً علم القرآن بسر له ذكر ﴿ خلق الانسان ﴾ يعني آدم عليه السلام قاله ابن عباس وقتادة ﴿ علمه البيان ﴾ أمما كل شي وقبل علمه الالفات كلها وكان آدم يتكلم بسبعائة ألف



ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها

وقوله تعالى ( والشمس والقمر بحسبان ) أي يجريان متعاقبين بحساب ، قنن لا يختلف ولا يضطرب ( لا الشمس ينبغي لها أن تذر ك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ) وقال تعالى ( فإني لأصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم )

وعن عكرمة أنه قال لو جعل الله نور جميع ابصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس لما استطاع أن ينظر اليها ، ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرمي ، ونور الكرمي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فانظر ما ذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عياناً رواه ابن أبي حاتم

وقوله تعالى ( والنجم والشجر يسجدان ) قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد اجماعهم على أن الشجر ماقام على ساق فروي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال النجم ما انبسط على وجه الارض يعني من النبات ، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد النجم الذي في السماء ، وكذا قال الحسن وقتادة ، وهذا القول هو الاظهر والله أعلم لقوله تعالى ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ) الآية

لغة أفضلها العربية وقال الآخرون الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس علمه البيان النطق والكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به

وقال ابن كيسان (خلق الانسان) يعني محمداً ﷺ علمه البيان يعني بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والآخريين وعن يوم الدين ( الشمس والقمر بحسبان ) قال مجاهد كحسبان الرحي يدوران في مثل قطب الرحا ، قال غيره معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن زيد وابن كيسان يعني بهما نحسب الاوقات والآجال ولولا اقبال والنهار والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئاً ، وقال الضحاك يجريان بقدر والحسبان يكون مصدر حسبت حساباً وحسباناً مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان وقد يكون جمع الحساب كاشبهان والركبان (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما ليس له ساق من النبات والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلمها كما قال ( يتنوء ظلالة عن اليمن والشمال سجداً لله ) وقال مجاهد النجم هو



وقوله تعالى ( والسماء رفعها ووضع الميزان ) يعني العدل كما قال تعالى [ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ] وهكذا قال ههنا [ ألا تظفون في الميزان ] أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل ، ولهذا قال تعالى ( وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ) أي لا تبخسوا الوزن بل وزنوا بالحق والقسط كما قال تعالى [ وزنوا بالقسطاس المستقيم ]

وقوله تعالى [ والأرض وضعها للأنام ] أي كما رفع السماء ووضع الأرض ومهدا وأرسلها بالجبال الراسيات الشاخحات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وأسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الأنام الخلق [ فيها فاكهة ] أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح [ والنخل ذات الاكمام ] أفردته بالذكر لشرفه ونفعه وطبا وباسا والاكمام قال ابن جريج عن ابن عباس هي أوعية الطعم وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطعم فيه القنوط ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى بفعه واستواؤه

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابو قتية حدثنا يونس بن الحارث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيسر الى عمر بن الخطاب أخبرك ان رسلي أتتني من قبلك فرمعت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة لشيء من الخير فخرج مثل آذان الخير ثم نشق مثل الاؤؤ ثم نخضر فتكون مثل الزمرذ الاخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الاحمر ثم ينعم فنضج فتكون كأطيب فالودج أكل ثم تيس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب اليه عمر بن الخطاب من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى قيسر ملك الروم ان رسلك قد صدقك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فان (مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له

الكوكب وسجوده طلوعه ) والسماء رفعها ) فوق الأرض ) ووضع الميزان ) قال مجاهد أراد بالميزان العدل والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله تعالى ( ألا تظفون في الميزان ) أي لا تجاوزوا العدل وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليوصل به الى الانصاف والاتصاف وأصل الوزن التقدير ( أن لا تظفوا ) يعني لئلا تملوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان ( وأقيموا الوزن بالقسط ) بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب ( ولا تخسروا ) ولا تنقصوا ( الميزان ) ولا تظفون في الكيل والوزن ( والأرض وضعها للأنام ) للخلق الذين بهم فيها ( فيها فاكهة ) يعني أنواع الفواكه قال ابن كيسان ما يفتكون به من النعم التي لا تحصى ( والنخل ذات الاكمام ) الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون



كن فيكون \* الحق من ربك فلا تكونن من المنكرين ( وقيل الاكلم رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة [ والحب ذو العصف والريحان ] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ والحب ذو العصف ] يعني التبن

وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الاخضر الذي قطع رؤسه فهو يسمى العصف اذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وابو مالك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعني الورق <sup>(١)</sup> وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم ان الحب كاتمخ والشعير ونحوها له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعني اذا أوجن وانعد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة

والا له من ينبت الحب في الترى فيصبح منه البقل بهتز رايا

ويخرج منه حبه في رؤسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ] أي فبأي الآلاء يامعشر الثقلين من الانس والجن

في غلاف ما لم ينشق واحدها كم وكل ما ستر شيأ فهو كم وكمة ومنه كم القميص ويقال لقلنسوة كمة قال الضحاك ذات الاكلم أي ذات الغلف وقال الحسن أكلها ليفها وقال ابن زيد هو الطلع قبل أن يفتق ( والحب ذو العصف ) أراد بالحب جميع الحبوب التي تخرث في الارض ، والعصف قال مجاهد هو ورق الزرع قال ابن كيسان العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكلها ثم يحدث من الاكلم الحب وقال ابن عباس في رواية الوالي هو التبن وهو قول الضحاك وقتادة ، وقال عطية عنه هو ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره ( كمصف ما كول ) ( والريحان ) هو الرزق في قول الاكثرين قال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو رزق قال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم قال الضحاك العصف هو التبن والريحان ثمرته وقرءة العامة ( والحب ذو العصف والريحان ) كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة ، وقرأ ابن عامر ( والحب ذا العصف والريحان ) بنصب الباء والنون وذا بالالف على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشياء وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالجر عطفا على العصف فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانسان فقال ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) أيها الثقلان يريد من هذه الاشياء المذكورة ، وكرر هذه الآية في هذه الصورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في البلاغ والاشباع يعدد على الخلق آلاؤه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع عليه بالابادي وهو ينكرها ويكفرها ألم نك فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم نك عريانا فكسوتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم نك خاملاً فحملناك؟ أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسن تقريراً

(١) هذا إلى آخر  
الآيات الآية غير  
موجود في النسخة  
المكية



تكذب ان قاله مجاهد وغير واحد وبذل عليه السياق بهذه أي النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها  
لا يستطيعون انكارها ولا جعودها فمن قول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشيء من آلائك  
ربنا نكذب فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيتها يارب أي لا نكذب بشيء منها

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحاق حدثنا ابن طهية عن أبي الاسود عن عروة عن أسماء  
بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصعد بما يؤمر  
والشركون يستمعون ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ )

خلق الانسان من صلصل كالفخار (١٤) وخلق الجن من مارج من نار (١٥) فبأي

آلاء ربكما تكذبان ؟ (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (١٨)

مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢١)

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢٣) وله الجوار المنشئات

في البحر كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢٥)

يذكر تعالى خلقه الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار وهو طرف لهما  
قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس  
من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار  
من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال  
رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف  
لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ) تقدم تفسيره ( رب المشرقين ورب المغربين ) يعني

وقد خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب مخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى [ ألقيا في جهنم ]

وروي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى  
ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتاً ؟ لجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة  
فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ( خلق الانسان  
من صلصال كالفخار وخلق الجن ) وهو أبو الجن وقال الضحاك هو إبليس ( من مارج من نار )  
وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه قال مجاهد هو ما اختلط ببعضه ببعض من اللهب الاحمر  
والاصفر والاخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط ( فبأي آلاء ربكما



مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء وقال في الآية الاخرى ( فلا اقسم برب المشارق والمغارب ) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه الى الناس وقال في الآية الاخرى ( رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فائخذوه كيلا ) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح فخلق من الجن والانس قال ( فبأي آلاء ربكم تكذبان؟ )

وقوله تعالى [ مرج البحرين يلتقيان ] قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله [ يلتقيان ] قال ابن زيد أي منهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالخلو هذه الانهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى [ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج \* وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ] وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن ابري قال ابن جرير لان اللؤلؤ يتولد من ماء السماء واصداف بحر الارض وهذا وان كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب اليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال ( بينهما برزخ لا يبغيان ) أي وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الارض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والارض لا يسمى برزخا وحجوا محجورا

وقوله تعالى [ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ] أي من مجموعهما فاذا وجد ذلك من أحدهما كفي كما قال تعالى [ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم؟ ] والرسل إنما كانوا في الانس خاصة دون الجن وقد صرح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف وأما المرجان فقليل هو صفار اللؤلؤ قاله مجاهد وقناة وأبو رزين والضحاك وروى عن علي ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه

تكذبان؟ رب المشرقين ) مشرق الصيف ومشرق الشتاء ( ورب المغربين ) مغرب الصيف ومغرب الشتاء ( فبأي آلاء ربكم تكذبان؟ مرج البحرين ) العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ( يلتقيان بينهما برزخ ) حاجز من قدرة الله تعالى ( لا يبغيان ) لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يطفيان على الناس بالفرق وقال الحسن [ مرج البحرين ] يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وعن قتادة أيضا بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام ( فبأي آلاء ربكم تكذبان؟ يخرج منهما )

قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج بضم الياء وفتح الراء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء ( اللؤلؤ والمرجان ) وإنما يخرج من المالح دون العذب وهذا جائز في كلام العرب ان يند كرشيان ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل [ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم؟ ] وكان الرسل



ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس وحكاة السدي عن حدثه عن ابن عباس وروي مثله عن علي ومجاهد أيضا ومرة الحمداني وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون قال السدي عن أبي مالك عن مسروق عن عبد الله قال المرجان الخرز الأحمر قال السدي وهو الكسد بالفارسية ، وأما قوله ( ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ) فاللهم من كل من الاجاج والعذب والحلية إنما هي من المالح دون العذب قال ابن عباس ماسقطت قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فاذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة وروي من غير وجه عن ابن عباس نحوه

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا أمطرت السماء فتحت الاصداف في البحر أفواها فما وقع فيها يعني من قطر فهو اللؤلؤ اسناده صحيح ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ )

وقوله تعالى ( وله الجوار المنشآت ) يعني السفن التي تجري ( في البحر ) قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت وقال قتادة المنشآت يعني المخلوقات وقال غيره المنشآت بكسر الشين يعني البادات ( كالأعلام ) أي كالجبال في كبرها ومانيتها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس في جلب ما يحتاجون اليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أمية عن حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن حمزة بن سويد قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوعة شراعها فبسط علي يديه ثم قال يقول الله عز وجل [ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ] والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا ملأت على قنله

من الانس دون الجن ، وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر قال ابن جريج إذا أمطرت السماء فتحت الاصداف أفواها فخيمًا وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان صفارها وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الأحمر وقال عطاء الخراساني هو البسد<sup>(١)</sup> ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ) وله الجوار السفن الكبار ( المنشآت ) وقرأ حمزة وأبو بكر المنشآت بكسر الشين أي المنشآت السير اللاتي ابتدأن وأنشأن السير

وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وقيل هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت وقيل المرفوعات المسخرات ( في البحر كالأعلام ) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر

(١) في ابن كثير بالكاف بدل الباء



كل من دليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٨) يستله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن (٢٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٠)

يخبر تعالى أن جميع أهل الارض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السموات إلا من شاء. الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً قال قتادة أنبأ أن ذلك كله فان

وفي الدعاء المأثور : يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصالح لنا شأننا كله ، ولا نكفنا الى أنفسنا طرفه عين ، ولا الى أحد من خلقك . وقال الشعبي اذا قرأت ( كل من عليها فان ) فلا تسكت حتى تقرأ ( ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ) وهذه الآية كقوله تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه ) وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والاكرام أي هو أهل أن يحل فلا يعصى ، وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ) وكقوله اخباراً عن المتصدقين ( إنما نطعمكم لوجه الله ) قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذو العظمة والكبرياء ولما أخبر تعالى عن تساري أهل الارض كلهم في الوفاة وأنهم سيضربون الى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه العدل قال ( فبأي آلاء ربكما تكذبان )

وقوله تعالى ( يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن ) وهذا اخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه في جميع الآلات وانهم يسألونه بلسان حالهم وقالمهم وانه كل يوم هو في شأن قال الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير [ كل يوم هو في شأن ] قال من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً ، أو يفك عانياً أو يشفي سقياً

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً ويجيب مضطراً ،

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴾ كل من عليها ﴾ أي على الارض من حيوان فانه ﴿ فان ﴾ هالك ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال ﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿ والاكرام ﴾ أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴾ يستله من في السموات والارض ﴾ من ملك وانس وجن وقال قتادة معناه لا يستغني عنه أهل السما والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة ، وقال مقاتل يسأله أهل الارض الرزق والمغفرة وتسأله الملائكة أيضاً لهم الرزق والمغفرة ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ قال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله



ويغفر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغني عنه أهل السموات والارض بحبي حيا ويميت ميتا ، وبربي صغيرا ويفك أسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصرىحهم ومنتهى شكواهم  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو البان الحصري حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقبا ، ويعطي رغبيا ، ويقحم عقبا  
وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو القزني حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو بن بكر السكسكي حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الفساني عن أبيه عن منيب ابن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية [ كل يوم هو في شأن ] فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن ؟ قال « أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة بن حليس يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « قال الله عز وجل ( كل يوم هو في شأن ) قال من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين »

(١) وقدرناه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام بن عمار به ، ثم ساقه من حديث أبي الوليد ابن شجاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ فذكره قال والصحيح الاول يعني اسناده الاول قلت وقد روي موقوفا كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء فافقه أعلم

وقال البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

لا يقضي يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما وينزل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويحبب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن عبدوس المزكي أملا أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزار أنا يحيى بن الربيع المكي أنا سفيان بن عيينة أنا أبو حمزة البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفء ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة بخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز وينزل ويفعل ما يشاء فذلك قوله ( كل يوم هو في شأن ) قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والامانة



عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ كل يوم هو في شأن قال « يغفر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الله خلق لوحا محفوظا من درة يضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلعه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السما والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

سنفرغ لكم أيها الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٣٢) يمهش الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطن (٣٣) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٣٤) يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٣٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( سنفرغ لكم أيها الثقلان ) قال وعيد من الله تعالى لعباده وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ خلقه ، وقال ابن جريج ( سنفرغ لكم ) أي سنفضي لكم وقال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب يقال لا تفرغن لك وما به شغل يقول لا خذتك على غرتك وقوله تعالى ( أيها الثقلان ) الثقلان الانس والجن كما جاء في الصحيح « بسمه كل شيء إلا

والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل شأنه جل ذكره انه يخرج في كل يوم و ليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الامهات وعسكراً من الارحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعا إلى الله عز وجل ، وقال الحسين بن فضل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية كل يوم له إلى العبيد بر جديد ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ سنفرغ لكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي سيفرغ بالياء لقوله ( يسأله من في السموات والارض ) ( ويبقى وجه ربك ) ( وله الجوار ) فاتبم الخبر الخبر ، وقرأ الآخرون بالنون وليس المراد منه الفراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى لخلق بالحاسبة كقول القائل لا تفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس والضحاك وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقال آخرون معناه سنقصكم بعد الترك والامهال وناخذ في أمركم كقول القائل الذي لا شغل له قد تفرغت لك ، وقال بعضهم وعد الله أهل التقوى وأعد أهل الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فتم ذلك ونفرغ منه وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل ﴿ أب الثقلان ﴾ أي الجن والانس سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض



الثقلين « وفي رواية « إلا الانس والجن » وفي حديث الصور « الثقلان الانس والجن » (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟)

ثم قال تعالى (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) أي لا يستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر الملائكة محذقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أي إلا بأمر الله [يقول الانسان يومئذ أين المفر؟ كلا لاويزر، إلى ربك يومئذ المستقر]

وقال تعالى [والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمة أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] ولهذا قال تعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لمب النار، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان، وقال مجاهد هو اللمب الأخضر المنقطع، وقال أبو صالح الشواظ هو اللمب الذي فوق النار ودون الدخان، وقال الضحاك (شواظ من نار) سيل من نار

أحياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أبقاها (وقال أهل المعاني كل شيء له قدر ووزن يناقش فيه فهو ثقل قال النبي ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فجعلهما ثقلين إجماعا لقدرهما، وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام سمي الجن والانس ثقلين لانهما «ثقلان بالذنوب» (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا «أي تجوزوا وتخرجوا من أقطار السموات والارض» أي من جوانبها وأطرافها «فانفذوا» معناه ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حينما كنتم أدركم الموت قال جل ذكره أينما تكونوا يدرككم الموت، وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم تجوزوا «لا تنفذون إلا بسلطان» أي بملك وقيل بحجة والسلطان القوة التي يتسلط بها على الامر فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حينما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني

وروي عن ابن عباس قال معناه إن استطعتم أن تعملوا ما في السموات والارض فاعلموه وإن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله عز وجل وقيل قوله إلا بسلطان أي إلا إلى سلطان كقوله [وقد أحسن بي] أي أحسن إلي (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبسرادق من نار ثم ينادون (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) الآية فذلك قوله عز وجل (يرسل عليكم شواظ من نار) قرأ ابن كثير بكسر الشين والآخرون بضمها وهما لغتان مثل صوار من البقر



وقوله تعالى ( ونحاس ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ ونحاس ] دخان النار ، وروي مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان ، وقال ابن جرير والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراءة مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جعدة :

بضي كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا هكذا قال . وقد روى الطبراني من طريق جوير عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو الذهب الذي لا دخان معه فسأله شاهد آ على ذلك من اللفظ فأنشده بيت أمية بن أبي الصلت في حسان

الا من مبالغ حسان عني مغلطة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا؟ لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا بطل يشد كبرا وينفخ داثبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس ؟ قال هو الدخان الذي لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان <sup>(١)</sup> يقول :

بضي كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر المذاب فيصّب على رؤوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سبل من نحاس ، والمعنى على كل قول لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزانية برسالة الذهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال ( فلا تنصرون فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ )

فاذا انشئت السماء فكانت وردة كالدّهان (٣٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٣٨) فيومئذ

لا يُسئل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٠) يُعرف المجرمون بسيمهم

وصوار ، وهو الذهب الذي لا دخان فيه ، هذا قول أكثر المفسرين ، وقال مجاهد هو الذهب الأخضر المنقطع من النار ( ونحاس ) قرأ ابن كثير وأبو عمر ونحاس بجر السين عطفا على النار وقرأ الباقون برفعه عطفا على الشواظ ، قال سعيد بن جبير والكلبي النحاس الدخان وهو رواية عطاء عن ابن عباس ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس ، هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسل معاً من غير أن يمزج أحدهما بالآخر ومن جر بالعطف على النار يكون ضعيفا لانه لا يكون شواظ من نحاس فيجوز أن يكون تقديره شواظ من نار وشي . من نحاس على أنه حكي أن الشواظ لا يكون إلا من النار والدخان جميعا قال مجاهد وقتادة النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل ( فلا تنصرون ) أي فلا تمتنعن من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فاذا انشئت ) انفرجت ( السماء ) فصارت أبوابا تنزل

(١) كذا في الأصول

وهو مخالف لما ذكره

أولا من أنه نابغة

بني جعدة



فيؤخذ بالنواصي والاقدام (٤١) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٢) هذه جهنم التي يكذب بها

المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم آن (٤٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٥)  
يقول تعالى ( فاذا انشقت السماء ) يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات  
الواردة في معناها كقوله { وانشقت السماء فهي يومئذ واهية } وقوله [ ويوم نشقق السماء بالغمام  
ونزل الملائكة نزيلا ] وقوله [ اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ]

وقوله تعالى ( فكانت وردة كالدهان ) أي تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون  
كما تتلون الاصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفواء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الامر  
وهول يوم القيامة العظيم

وقد قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصبيان حدثنا  
نافع أبو غالب الباهلي حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة  
والسما تطش عليهم » قال الجوهري الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله  
( وردة كالدهان ) قال هو الاديم الاحمر

وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ( فكانت وردة كالدهان ) كالفرس  
الورد ، وقال العوفي عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان  
وحكى البغوي وغيره ان الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد اغبر  
لونها ، وقال الحسن البصري تكون ألوانا وقال السدي تكون كلون البقلة الوردية وتكون كلمل  
كدردى الزيت ، وقال مجاهد ( كالدهان ) كألوان الدهان وقال عطاء الخراساني كلون دهن الورد  
في الصفرة وقال قتادة هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذى ألوان وقال أبو الجوزاء في صفاء  
الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الدائب وذلك حين يصيبها حر جهنم

الملائكة فكانت وردة أي كلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة ،  
قال قتادة انها اليوم خضراء ويكون لها يومئذ لون آخر يضرب إلى الحمرة وقيل انها تتلون ألوانا يومئذ كلون  
الفرس الورد يكون في أول الربيع أصفر وفي الشتاء أحمر فاذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه السماء في  
تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه ( كالدهان ) جمع دهن تلون السماء بتلون الورد من الخيل  
وشبه الوردية في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول الضحاك ومجاهد وقاتدة والربيع  
وقال عطاء بن أبي رباح كالدهان كصير الزيت يتلون في الساعة ألوانا وقال مقاتل كدهن الورد الصافي  
وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الدائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقال الكلبي كالدهان أي كالاديم



وقوله تعالى ( فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ) وهذه كقوله تعالى [ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ] فهذا في حال ونم في حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) ولهذا قال قتادة ( فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ) قال قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان

وقال مجاهد في هذه الآية لا نسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم ، وهذا قول ثالث ، وكان هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى ( يعرف المجرمون بسيماهم ) أي بعلامات تظهر عليهم

وقال الحسن وقتادة يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون [ قلت ] وهذا كما يعرف المؤمنون بالآخرة والتعجيل من آثار الوضوء

وقوله تعالى ( فيؤخذ بالنواصي والاقدام ) أي يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك ، وقال الاعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ، وقال السدي يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويقتل ظهره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يعني جده أخبرني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعاً ؟ قالت نعم لقد سأله عن هذا وأنا وهو في شعار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط

الاحمر وجمعه أدهنية ودهن » ( فبأي آلا ربكما تكذبان ؟ \* فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ) قال الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهنم لان الله عز وجل علمهم منهم وكتبت الملائكة عليهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس وعنه أيضاً لا نسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وهذا قول مجاهد وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله [ فوربك لنسألنهم أجمعين ] قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعن عكرمة انه قال انها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس أيضاً لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقرير وتوبيخ ، وقال أبو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم ( فبأي آلا ربكما تكذبان \* يعرف المجرمون بسيماهم ) وهو أسود الوجوه وزرقة العيون كما قال جل ذكره [ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ] ( فيؤخذ بالنواصي والاقدام - فبأي آلا ربكما تكذبان ؟ )



لأملك لأحد فيها شفاة حتى أعلم أين يسلك بي ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أو قال - يوحى ، وعند الجسر حين يستعد ويستعد فقلت - وما يستعد وما يستعد ؟ قال - يستعد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستعد حتى يكون مثل الجرة فأما المؤمن فيجيزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهب يديه إلى قدميه ، قالت فهل رأيت من يسعى حافياً فأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فأنها كذلك يهوي يده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدميه فتقذفه في جهنم فيهب فيها مقدار خمسين عاماً قلت مائت للرجل ؟ قالت ثقل عشر خلفات ممان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام هذا حديث غريب جداً وفيه ألفاظ منكر رفعها وفي الاسناد من لم يسم ومثله لا يحتاج به والله أعلم

وقوله تعالى [ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ] أي هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها هاهي حاضرة نشاهدونها عياناً ، يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً

وقوله تعالى ( يطوفون بينها وبين حميم آن ) أي تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الجحيم وهو الشراب الذي هو كالتحامس المذاب يقطع الامعاء والاحشا ، وهذه كقوله تعالى ( إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون )

وقوله تعالى [ آن ] أي حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك ، قال ابن عباس في قوله [ يطوفون بينها وبين حميم آن ] أي قد انتهى عليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي

وقال قتادة قد آن طبعه منذ خلق الله السموات والارض ، وقال محمد بن كعب القرظي يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الجحيم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتن يقول الله تعالى ( في الجحيم ثم في النار يسجرون ) والجحيم الآن يعني الحار ، وعن القرظي رواية أخرى [ حميم آن ] أي حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً ، والحاضر لا ينافي ماروي عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى [ تسقى من عين آنية ] أي حاضرة شديدة الحر لا يستطيع وكقوله [ غير ناظرين إناه ] يعني استواءه ونضجه فقوله [ حميم آن ] أي حميم حار جداً

تجمل الاقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار ثم يقال لهم ( هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ) المشرق كون ( يطوفون بينها وبين حميم آن ) أي لا يكذبون ( قد انتهى حره ) قال الزجاج أني يأتي أني فهو آن إذا انتهى في النضج ، والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم والجحيم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الجحيم الآن الذي صار كاللحم وهو قوله [ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ] وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار وذلك قوله [ يطوفون بينها وبين حميم



ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان انذاره لهم عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتنا بذلك على ربته ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ )

ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٤٧) ذواتا أفنان (٤٨)

فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٤٩) فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٥١)

فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٥٣)

قال ابن شاذب وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) في أبي بكر الصديق ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقرية عن أبي بكر بن أبي صبرم عن عطية بن قيس في قوله تعالى ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) نزلت في الذي قال أحرقوني بالنار لي أذل الله قال تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة ، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى ولمن خاف مقام ربه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ونهى النفس عن الهوى ولم يطلع ولا أثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبي الاسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة آيتيهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتيهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل الأرداء الكبريات على وجهه في جنة عدن » وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قدره في قوله تعالى ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) وفي قوله ( ومن دونهما جنتان ) جنتان من ذهب للمقرين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين

آن [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ] وكل ما ذكر الله تعالى من قوله [ كل من عليها فان ] إلى ههنا وما عظم وزواجر ونحوه وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزرع عن المعاصي ولذلك ختم كل آية بقوله [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ] ثم ذكر ما أعد لمن اتقاه وخافه فقال ( ولمن خاف مقام ربه ) أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال إبراهيم النخعي ومجاهد هو الذي بهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله قوله ( جنتان ) قال مقاتل جنة عدن







وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن الزهnan  
سمعت عكرمة يقول ( ذواتا أفنان ) يقول ظل الاغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف طاوبا ذا مخيلين من الصقور قطاما

وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي انه الغصن المستقيم وحدثنا ابو سعيد الاشج  
حدثنا عبد السلام بن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا  
ألوان قال وروى عن سعيد بن جبير والحسن والسدي وخصيف والنضر بن عربي وابي سنان مثل  
ذلك ، ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير ، وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا  
من الفاكة ، وقال الربيع بن أنس ( ذواتا أفنان ) واسمنا الفناء وكل هذه الاقوال صحيحة ولا منافاة  
بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ماسواها

وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر  
قالت سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدره المنتهى فقال « يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة  
سنة - أو قال - يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كان رها القلال » ورواه  
الترمذي من حديث يونس بن بكر

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قدره  
في قوله ( وان خاف مقام ربه جنتان ) وفي قوله ( ومن دونهما جنتان ) قال جنتان من ذهب للمقربين  
وجنتان من ورق لأصحاب اليمين ( فيهما عينان تجريان ) أي تسرحان لسقي تلك الاشجار والاغصان  
فتشمر من جميع الألوان [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ] قال الحسن البصري إحداها يقال لها تسنيم  
والاخرى السلسيل . وقال عطية إحداها من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة لشاربين ، ولهذا  
قال بعد هذا [ فيهما من كل فاكهة زوجان ] أي من جميع أنواع الثمار مما يعلون وخير مما يعلون وما  
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ]

والكلبي وقال عكرمة ظل الاغصان على الحيطان قال الحسن ذواتا ظلال قال ابن عباس ألوان ، قال  
سعيد بن جبير والضحاك ألوان الفواكه واحدا فنن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون  
منه وضروب وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكة ، وقال قتادة ذواتا فضل  
وسعة على ماسواها ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة  
على أهل الجنة قال الحسن تجريان بالماء الزلال إحداها التسنيم والاخرى السلسيل وقال عطية إحداها  
من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة لشاربين ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) فيهما من كل فاكهة  
زوجان ( صنفان ) نوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبيا وبابسا قال ابن عباس



قال ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الاسماء يعني أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا في التفاضل

متكئين على فرش بطائنهم من استبرق وجنى الجنة دان (٥٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان  
(٥٥) فيهن قصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟  
(٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٥٩) هل جزاء  
الاحسن إلا الاحسن؟ (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٦١)

يقول تعالى [ متكئين ] يعني أهل الجنة والمراد بالانكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التريم [ على فرش بطائنهم من استبرق ] وهو ماغلظ من الديباج قاله عكرمة والضحاك و قتادة وقال ابو عمران الجوني هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالادنى على الاعلى

قال ابو إسحاق عن هبيرة بن صرهم عن عبدالله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ، وقال مالك بن دينار بطائنهم من استبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثوري او شريك بطائنهم من استبرق وظواهرها من نور جامد ، وقال القاسم بن محمد بطائنهم من استبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شوذب عن أبي عبدالله الشامي ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الامام ابن أبي حاتم رحمه الله (وجنى الجنة دان) أي عمرهما قريبا اليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى [ قطوفها دانية ] وقال [ ودانية عليهم ظلها وذلقت قطوفها تذيلا ] أي لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط اليه من أغصانها

ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلوة ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ متكئين على فرش ﴿ جمع فراش ﴾ بطائنهم ﴿ جمع بطانة ﴾ وهي التي تحت الظهارة وقال لزجاج وهي مما يلي الارض ﴿ من استبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج ، قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا ما قال الله عز وجل ( فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ) وعنه أيضا قال بطائنهم من استبرق فظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر ﴿ وجنى الجنة دان ﴾ الجنى ما يجتنى من الثمار يريد عمرهما دان قريب يناله القام والقاعد والنائم قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعداً قال قتادة لا يرد أيديهم



[ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ] ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك [ فيهن ] أي في الفرش قاصرات الطرف أي غضيفات عن غير أزواجهن فلا يزين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد ، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلاها والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك فالحد لله الذي جعلك لي وجعلني لك [ لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان ] أي بل هن ابتكار عرب أثواب لم يطمئن أحد قبل أزواجهن من الأنس والجن وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة

قال ارطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة؟ قال نعم وينكحون للجن جنيات وللانس انسيات وذلك قوله [ لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان \* فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ] ثم قال ينعتن للخطاب ( كأنهن الياقوت والمرجان ) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم في صفا الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا والياقوت

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو ابن ميمون الاودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها » وذلك قول الله تعالى ( كأنهن الياقوت والمرجان ) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيت لرايته من ورائه وهكذا رواه الترمذي من حديث عبيدة بن حميد وأبي الاحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقفاً قال وهو أصح

عنها بعد ولا شوك ( فبأي آلاء ربكما تكذبان \* فيهن قاصرات الطرف ) غاضات الاعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك ( لم يطمئن ) لم يجامعن ولم يقترعن ، وأصله من الدم قيل للحائض طامت كأنه قال لم يدهمن بالجاء ( أنس قبلهم ولا جان ) قال الزجاج فيه دليل على أن الجن يغشى كما يغشى الانسي . قال مجاهد إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه ، قال مقاتل في قوله ( لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان ) لأنهم خلفن في الجنة فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة ، وقال الشعبي هن من نساء الدنيا لم يمسهن منذ أنشئن وهو قول الكلبي يعني لم يجامعن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه أنس ولا جان . وقرأ طلحة بن مصرف لم يطمئن بضم الميم فيها وقرأ الكسائي إحداهما بالضم فان كسر الاولى ضم الثانية وإن ضم الاولى كسر الثانية لما روى أبو اسحاق السبيعي قال كنت أصلي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فأسمعهم يقرءون لم يطمئن بالرفع وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم يقرءون بكسر الميم وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الاخرى لئلا يخرج عن هذين الاثرين ( فبأي آلاء ربكما تكذبان \* كأنهن الياقوت والمرجان ) قال قتادة صفا الياقوت في بياض المرجان ، وروينا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل



وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وقد روى مسلم حديث اسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا إما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أغرب » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لقدوة في سبيل الله أو روعة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوم أحدكم أو موضع قدمه - يعني سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض ملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخاري من حديث أبي اسحاق عن حميد عن أنس بن معمر

رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما دون لحيهما ودماهما وجلدهما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليان أنا أبو شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آيتهم من الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أنا هارون ابن محمد بن هارون أنا حازم بن يحيى الحلواني أنا سبيل بن عثمان العسكري أنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها إن الله يقول ( كأنهن الباقوت والمرجان ) فاما الباقوت فانه حجر لو أدخلت فيه ساكن ثم استصفيت لرأيت من ورائه » وقال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر



وقوله تعالى ( هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ) أي لالمن أحسن العمل في الدنيا إلا الاحسان اليه في الآخرة كما قال تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة )

وقال البغوي حدثنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا ابن شعبة حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكنى حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) وقال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ )

ومما يتعلق بقوله تعالى ( ولئن خاف مقام ربه جنتان ) ما رواه الترمذي والبغوي من حديث أبي النضر بن هاشم بن القاسم عن أبي عقيل الثقفى عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاري عن بكر ابن فيروز عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر وروى البغوي من حديث علي بن حجر عن اسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حبيب بن عبد العزيز عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول ( ولئن خاف مقام ربه جنتان ) قلت وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ ( ولئن خاف مقام ربه جنتان ) قلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال ( ولئن خاف مقام ربه جنتان ) قلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال « وان رغم أنف أبي الدرداء » ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأي آلاء

ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاًختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧) فيهما فكهة

في الزجاجة البيضاء ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ \* هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ) أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن اليه في الآخرة ، وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن شعبة أنا اسحاق بن ابراهيم بن بهرام أنا الحجاج بن يوسف المكنى أنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ ( هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ) ثم قال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ( فبأي آلاء ربكما تكذبان \* ومن دونهما جنتان ) أي من دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان



ونخل ورمز (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٦٩) فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٧١) حور مقصورات في الخيام (٧٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان (٧٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٧٥) متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٧٧) تبرك اسم ربك ذي الجلال والاكرام (٧٨)

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى ( ومن دونهما جنتان ) وقد تقدم في الحديث « جنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آيتهما وما فيهما فلاوليان المقربين والآخران لاصحاب اليمين وقال ابن عباس ( ومن دونهما جنتان ) من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل . والدليل على شرف الاولين على الآخرين وجوه ( أحدها ) أنه نعت الاولين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال ( ومن دونهما جنتان ) وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك ( ذوانا أفنان ) وهي الاغصان أو الفنون في الملاذ وقال ههنا ( مدهامتان ) أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله ( مدهامتان ) قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضر اوان وروي عن أبي أيوب الانصاري وعبد الله بن الزبير

قال ابن عباس من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين ( فيهما من كل فاكهة زوجان ) وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين [ فيهما فاكهة ونخل ورمز ] أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الازدراء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وقال الكسائي ومن دونهما أي أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والآخران من ياقوت ( فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ مدهامتان ) ناعمتان سوداوان من ربهما وشدة خضرتهما لان الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد يقال ادهام الزرع إذا علاه السواد ربا ادهيما فهو



وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك

وقال محمد بن كعب (مدهامتان) مملتان من الحضرة وقال قتادة خضراوان من الري ناعمتان ولا شك في نضارة الاغصان على الاشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك (فيها عينان تجريان) وقال هبنا (نضاختان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضخ وقال الضمك (نضاختان) أي مملتان ولا تنقطعان وقال هناك (فيها من كل فاكهة زوجان) وقال هبنا (فيها فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الافراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لاتعم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرها

قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن سهل عن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود الى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا فيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال «نعم وأضعاف» قالوا فيقضون الحوائج؟ قال «لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما في بطونهم من أذى»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعتها كسوة لآهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكر بها<sup>(١)</sup> ذهب أحر وجذوعها زمرذ أخضر، ونمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم

وحدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب» ثم قال

مدهام (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان والنضخ فوران الماء من العين قال ابن عباس تنضخان بالخبر والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك تنضخان بالعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ فيهما فاكهة ونخل ورمان) قال بعضهم ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامة على أنهما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل كما قال تعالى [من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال]

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن حارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرذ أخضر وورقها



[ فيهن خيرات حسان ] قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الجسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور ، وروي مرفوعا عن أم سلمة . وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم [ فيهن خيرات ] بالشديد [ حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ] ثم قال [ حور مقصورات في الخيام ] وهناك قال [ فيهن قاصرات الطرف ] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات

قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيم عن سفيان عن جابر عن القاسم ابن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا طامحات ولا بمخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون

وقوله تعالى ( في الخيام ) قال البخاري حدثنا محمد بن المنثري حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضا من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الريم حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرني خالد المصري عن أبي الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در وحدثنا أبي حدثنا عيسى بن أبي فاطمة حدثنا جابر عن هشام عن محمد بن المنثري عن ابن عباس

ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحلهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فيهن ) يعني في الجنات الأربع ( خيرات حسان )

روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله ﷺ أخبرني عن قوله خيرات حسان قال « خيرات الاخلاق حسان الوجوه » ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ حور مقصورات ) محبوسات مستورات في الحجال يقال امرأة مقصورة وقصورة اذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج وقال مجاهد يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغنين بهم بدلا ، وروينا عن النبي ﷺ قال « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضأت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ( في الخيام ) جمع خيمة



في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) قال في خيام القواو وفي الجنة خيمة واحدة من لؤاؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الميثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤاؤ وزبرجد وياقوت كما بين البجاية وصنعاء» ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به

وقوله تعالى (لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الاوائل بقوله ، كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان )

وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هي المحابس ، وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهينة المحابس المتدلي ، وقال عامر الجحدري [متكئين على رفرف خضر] يعني الوسائد وهو قول الحسن البصري في رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقري حسان) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي العبقري الزراني ، وقال سعيد بن جبير هي عتاق الزراني يعني جياها ، وقال مجاهد العبقري الديباج ، وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى (وعبقري حسان) فقال هي بسط أهل الجنة لأبالكم فاطلبوها ، وعن الحسن رواية أنها المرافق ، وقال زيد بن أسلم العبقري أهر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال البسط أسفل من ذلك

وقال ابن حرزة يعقوب بن مجاهد :العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال أبو العالية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثني أنا عبد العزيز بن عبد الصمد أنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن النبي ﷺ قال «ان للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤاؤة واحدة محوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمن» (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ متكئين على رفرف خضر قال سعيد ابن جبير الرفرف رياض الجنة خضر مخضبة ويروى ذلك عن ابن عباس واحدها رفرفة وقال الزقارف جمع الجمع وقيل الرفرف البسط وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي

وروى العوفي عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط وقال الضحاك وقتادة هي مجالس خضر فوق الفرش ، وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابن عيينة الزراني وقال غيره كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) هي الزراني والطنافس الثخان وهي جمع واحدها عبقرة



العبقري الطنافس المحملة إلى الرقة ماهي ، وقال القيسي كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي ، وقال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبي ﷺ في عمر « فلم أر عبقريا يفري فريه » وعلى كل تقدير فصفا مرافق أهل الجنين الأولين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك [ متكئين على فرش بطائنها من استبرق ] فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والآخرى وتما الحاشية أنه قال بعد الصفات المتقدمة ( هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟ ) فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الاسلام ثم الايمان ثم الاحسان فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنين الأولين على هاتين الأخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأولين

ثم قال ( تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ) أي هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس ( ذي الجلال والاكرام ) ذي العظمة والكبرياء

وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هاني عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجلو الله بفقر لكم » وفي الحديث الآخر « إن من اجل الله اكرام ذي الشبهة المسلم ، وذو السلطان ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحاربي حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « أظفوا بي إذا الجلال والاكرام » وكذا رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن مؤمل بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي ﷺ وقد قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسي عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أظفوا بذي الجلال والاكرام »

وقال قتادة العبقري عتاق الزراني وقال أبو العالية هي الطنافس المحملة الى الرقة وقال القيسي كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة هو منسوب الى أرض يعمل بها الوشي قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه « فلم أر عبقريا يفري فريه » ( فبأي آلا ربك انك كذابان ؟ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ) قرأ أهل الشام ذو الجلال بالواو وكذلك هو في مصاحفهم اجراء على الاسم

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي



ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به ، وقال الجوهري أظ فلان بفلان اذا لزمه ، وقول ابن مسعود أظوا بي اذا الجلال والاكرام أي الزموا يقال الاظاظ هو اللاحاح قلت وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة والازوم واللاحاح ، وفي صحيح مسلم والسنن الاربعة من حديث عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ اذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »  
( آخر تفسير سورة الرحمن والله الحمد والمنة )

### تفسير سورة الواقعة وهي مكيت

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال « شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه الترمذي وقال حسن غريب قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري حدثنا السري بن يحيى الشيباني عن أبي شجاع عن أبي ظبية قال مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ما نشتكي ؟ قال ذنوبي قال فما تشتهي ؟ قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب ؟ قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بعطاء ؟ قال لا حاجة لي فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أنخشي على بناتي الفقر أني أمرت بناتي بقرآن كل ليلة سورة الواقعة أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب عن السري

وقال عبد الله بن وهب أخبرني السري بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » فكان أبو ظبية لا يدعها وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن منيب عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود به

ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن محمد بن المنيب العدني عن السري بن يحيى عن أبي ظبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » لم يذكر في مسنده شجاعا قال وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة

وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن أبي العيمان عن السري بن يحيى

أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوري أنا أحمد بن حرب أنا أبو معاوية الضرير عن عامر الاحول عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ اذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »



عن شجاع عن أبي فاطمة قال مرض عبد الله فأناه عثمان بن عفان يعود فذكر الحديث بطوله ، قال عثمان ابن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب  
وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل وبجيب بن آدم حدثنا إسرائيل عن ممالك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) إذا رُجَّت الأرض رجاً (٤) وبُست الجبال بساً (٥) فكانت هباء منبثاً (٦) وكنتم أزواجاً ثلاثة (٧) فأصبح الميمنة ما أصبح الميمنة (٨) وأصبح المشثمة ما أصبح المشثمة (٩) والسبقون السابقون (١٠)  
أولئك المقربون (١١) في جنت النعيم (١٢)

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى [ ليس لوقعتها كاذبة ] أي ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كني فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)

ومعنى [ كاذبة ] كما قال محمد بن كعب لا بد أن تكون ، وقال قتادة ليس فيها مشنوية ولا ارتداد ولا رجعة ، قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية  
وقوله تعالى [ خافضة رافعة ] أي تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا

﴿ سورة الواقعة مكية وهي ست وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ إذا قامت القيامة وقيل إذا نزلت صبيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة  
﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ لمجيئها ﴿ كاذبة ﴾ كذب كقوله (لا تسمع فيها لاغية) أي لغو يعني أنها تقع صدقا وحقا والكاذبة اسم كالعافية والنازلة ﴿ خافضة رافعة ﴾ تخفض أقواما إلى النار وترفع آخرين إلى



أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وإن كانوا في الدنيا وضعا هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعني حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن أبيه عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة) تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن مرارة ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة ، وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفضين ، وقال السدي خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين ، وقال العوفي عن ابن عباس [خافضة رافعة] أسمعت القريب والبعيد وقال عكرمة خفضت فأسمعت الأذني ورفعت فأسمعت الأقبسى . وكذا قال الضعاك وقتادة

وقوله تعالى ( إذا رجت الأرض رجاً ) أي حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى ( إذا رجت الأرض رجاً ) أي زلزلت زلزلاً ، وقال الربيع بن أنس ترج بما فيها كرج القربال بما فيه وهذا كقوله تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) وقال تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم )

وقوله تعالى ( وبست الجبال بساً ) أي فتت فتنا ، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال ابن زيد : صارت الجبال كقال الله تعالى [ كشييا مهيلاً ]

وقوله تعالى [ فكانت هباءاً منبثاً ] قال أبو اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه هباء منبثاً كرهج الغبار يسطعم ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله [ فكانت هباءاً منبثاً ] الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً ، وقال عكرمة المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة [ هباء منبثاً ] كيبس الشجر الذي تذروه الرياح . وهذه الآية كآخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أي قلعها وصيرورتها كالهن المنفوش

الجنة وقال عطاء عن ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعفين (إذا رجت الأرض رجاً) حركت وزلزلت زلزلاً قال الكلبي إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقا . قال المفسرون ترج رجاً كما برج الصبي في المهد حتى يهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها وأصل الرج في اللغة التحريك يقال رججته فارتجج (وبست الجبال بساً) قال عطاء ومقاتل ومجاهد فتت فتنا فصارت كالذقيق المبسوس وهو المبلول ، قال سعيد بن المسيب والسدي كسرت كسر أو قال الكلبي سيرت على وجه الأرض تسييراً . قال الحسن قلعت من أصلها فذهبت ، نظيرها [ فقل ينسفها ربي نسفاً ] قال ابن كيسان جمعت كشييا مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة (فكانت هباء منبثاً) غباراً متفرقاً كالذي



وقوله تعالى [ وكنتم أزواجا ثلاثة ] أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار عيانا بالله من صنيعهم ، وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى [ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة \* وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ؟ والسابقون السابقون ] وهكذا قسمهم إلى هذه الانواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى [ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ] الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله [ وكنتم أزواجا ثلاثة ] قال هي التي في سورة الملائكة [ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ]

وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة ، وقال زيد الرقاشي سألت ابن عباس عن قوله [ وكنتم أزواجا ثلاثة ] قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد [ وكنتم أزواجا ثلاثة ] يعني فرقا ثلاثة

وقال ميمون بن مهران أفواجا ثلاثة ، وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب [ وكنتم أزواجا ثلاثة ] اثنان في الجنة وواحد في النار

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ ( وإذا النفوس زوجت ) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول ( وكنتم أزواجا ثلاثة \* فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون ) قال هم الضرباء

يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء ( وكنتم أزواجا ) أصنافا ( ثلاثة ) ثم فسرهما فقال ( فأصحاب الميمنة ) هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة

وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وقال الضحاك هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم . وقال الحسن والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التسابعون بإحسان

ثم عجب نبيه ﷺ فقال ( ما أصحاب الميمنة ) وهذا كما يقال زيد ما زيد يراد زيد شديد ( وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ) يعني أصحاب الشمال ، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمي ومنه



وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبدالله بن المثنى حدثنا البراء القنوي حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض بيده قبضتين فقال « هذه للجنة ولا ألي وهذه للنار ولا أبالي »

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسن حدثنا ابن طهية حدثنا خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال - الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوا بذلوه وحكموا لنا من حكمهم لأنفسهم » وقال محمد بن كعب وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الانبياء عليهم السلام وقال السدي هم أهل عليين ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبدالله بن امام عيسى المدائني البزار عن سفيان بن الضحاك المدائني عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح به

وقال ابن حاتم وذكر عن محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرعة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صلوا إلى القبلتين

ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة [والسابقون السابقون] أي من كل

تسمى الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها . وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار . وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم هؤلاء في النار ولا أبالي ، وقال الضحاك هم الذين يؤتون كتبهم بشاهم

وقال الحسن هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي (والسابقون السابقون) قال ابن عباس : السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة وقال عكرمة : السابقون إلى الاسلام قال ابن سيرين هم الذين صلوا إلى القبلتين دليله قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) قال الربيع بن أنس السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى وقال مقاتل إلى إجابة الانبياء صلوات الله عليهم بالامان

وقال علي بن طالب رضي الله تعالى عنه : إلى الصلوات الحسن وقال الضحاك إلى الجهاد وقال حميد بن جبير هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر قال الله تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) ثم أثنى عليهم فقال ( أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ) قال ابن كيسان والسابقون الى كل مادعا الله اليه ، وروي عن كعب قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أولهم رواحا الى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله وقال القرظي الى كل خير



أمة ، وقال الازاعي عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية ( والسابقون السابقون أولئك المقربون ) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله ، وهذه الأقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ) وقال تعالى ( سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض ) فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ، ولهذا قال تعالى ( أولئك المقربون في جنات النعيم )

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال قالت الملائكة يارب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فأجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثا فقال لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان . ثم قرأ عبد الله ( والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ) وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولم يظهروا فقال الله عز وجل لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان

ثلاثة من الأولين (١٣) وقليل من الآخرين (١٤) على سُرر موضونة (١٥) متكئين عليها متقبلين (١٦) يطوف عليهم ولدان مخلدّون (١٧) بأكواب وأباريق وكأس من معين (١٨) لا يصدّعون عنها ولا ينزفون (١٩) وفسّكت مما يتخيرون (٢٠) ولحم طير مما يشتهون (٢١) وحور عين (٢٢) كأمثل اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤) لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (٢٥) إلا قبيلا سلما سلما (٢٦)

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة أي جماعة من الأولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين فقليل المراد بالاولين الامم الماضية وبالأخرين هذه الامة هذا رواية عن مجاهد والحسن البصري رواها عنهما ابن أبي حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷺ « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد ، وما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت [ ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين ]

( أولئك المقربون ) من الله ( في جنات النعيم » ثلثة من الأولين ) أي من الامم الماضية من



شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت ائمة من الاولين وثلثة من الآخرين فقال النبي ﷺ «اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمهم النصف الثاني» ورواه الامام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بن يباع الملا عن أبيه عن أبي هريرة فذكره

(١) هذا إلى قوله الآتي

وقد وردت طرق -

غير موجودة بالنسخة

المسكية

(١) وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن روم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت اذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين قال فاسمك آخر السورة سنة ثم نزل [ ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين ] فقال رسول الله ﷺ « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين ألا وان من آدم إلى ثلثة وأمتي ثلثة وان نستكمل ثلثتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الابل ممن شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له » هكذا أورده في ترجمة عروة بن روم اسناداً ومتمناً ولكن في اسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ « اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة والله الحمد والمنة، وهذا الذي اختاره ابن جرير هنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لان هذه الامة هي خير الامم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها اللهم الا أن يقابل مجموع الامم بهذه الامة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الامم والله أعلم، فاقول الثاني في هذا المقام هو الراجح وهو أن يكون المراد بقوله تعالى ( ثلثة من الاولين ) أي من صدر هذه الامة ( وقليل من الآخرين ) أي من هذه الامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن أبي بكر المزني سمعت الحسن أتى على هذه الآية ( والسابقون السابقون \* أولئك المقربون ) فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين

ثم قال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا السمر بن يحيى قال قرأ الحسن ( والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم \* ثلثة من الاولين ) قال ثلثة ممن مضى من هذه الامة، وحدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ( ثلثة من الاولين \* وقليل من الآخرين ) قال كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الامة فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الامة، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل أن تعم الآية جميع الامم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث بتمامه

لكن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ والثلثة الجماعة غير محصورة العدد ( وقليل من الآخرين )



فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمرو عن الحسن عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » فهذا الحديث بعد الحكم بصحة اسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج الى أول الامة في ابلاغه الى من بعدهم كذلك هو محتاج الى أقباين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وأظهارها والفضل المتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج الى المطر الاول والمطر الثاني ولكن العمدة الكبرى على الاول واحتياج الزرع اليه أكد فانه لولاه ما نبت في الارض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال عليه السلام « لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة » وفي لفظ « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك » والغرض أن هذه الامة أشرف من سائر الامم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الامة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ « مع كل ألف سبعون ألفا » وفي آخر - مع كل واحد سبعون ألفا »

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن يزيد الطبراني حدثنا محمد بن أحمد بن عيسى بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم يعني ابن زرة عن شريح هو ابن عبيد عن أبي مالك قال قال رسول الله ﷺ « أما والذي نفسي بيده لبيعتن منكم يوم القيامة مثل الليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الانبياء عليهم السلام » وحسن أن يذكر هنا عند قوله تعالى (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قل أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مظهر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحاراني حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن مسلم بن عبد الله الجبني عن عمه أبي مشجعة ابن ربيعي عن أبي زمل الجبني رضي الله عنه قل كان رسول الله ﷺ اذا صلى الصبح يقول وهو ثاب رجليه « سبحان الله وبحمده استغفر الله إن الله كان توابا » سبعين مرة ثم يقول « سبعين بسبعائة لاخير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعائة » ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول « هل رأى أحد منكم شيئا » قال أبو زمل فقلت أنا يا رسول الله فقال « خير تلقاء ، وشر توقاء ، وخير لنا ، وشر على أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين اقصر رؤياك » فقلت رأيت جميع الناس على طريق سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فينأون كذلك اذا أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عبق مثله يرفرف فيفايق ماؤه فيه من أنواع الكلال قال وكانوا بالرحلة الاولى حين أشعوا على المارج كبروا ثم أكبروا وراحوا في الطريق فلم يظلموه بمينا ولا شمالا قال فكان في أنظار اليهم منطلقين، ثم جاءت الرحلة الثانية وهم أكثر منهم أضعاقا فلما أشعوا على يعني من هذه الامة ، قال الزجاج : الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه السلام وصدقهم



المرج كبير وانهم أكبوا روحهم في الطريق فمنهم المرتفع ومنهم الآخذ الضفت ومضوا على ذلك قال  
ثم قدم عظم الناس فلما أشفوا على المرج كبيروا وقالوا هذا خير المنزل كأنى أنظر اليهم يميلون يمينا  
وشمالا فلما رأيت ذلك لزم الطريق حتى أتى أقصى المرج، فاذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع  
درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يسارك رجل أربعة باز كثير خيلان الوجه كأنما هم شعره بالماء إذا هو تكلم  
أصغينم أكراما له، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كأنما هم شعره بالماء إذا هو تكلم  
أمام ذلك نافقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعها قال فامتنع من رسول الله ﷺ ساعة  
ثم سري عنه، وقال رسول الله ﷺ «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذاك ما هلكتم  
عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغدرة عيشها مضيت أنا وأصحابي لم  
تتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا، ثم جاءت الرعدة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا  
أضعافا فمنهم المرتفع ومنهم الآخذ الضفت ونجوا على ذلك، ثم جاء عظم الناس فقالوا في المرج يمينا  
وشمالا فانا لله وإنا اليه راجعون، وأما أنت فضيت على طريقة صالحة فلن يزال عليها حتى تلقاني، وأما  
المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا  
وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشل فذلك موسى عليه السلام إذا تكلم يعلو الرجال  
بفضل كلام الله إياه، والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما هم شعره بالماء  
فذلك عيسى بن مريم نكرمه لا كرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها  
فذلك أبونا إبراهيم كأننا نؤمه ونقتدي به، وأما النافقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا  
تقوم لأنبي بعددي ولا أمة بعد أمي» قال فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن  
يجيء الرجل فيحدث بها متبرعا

وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا  
قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره، وقال السدي مرمولة بالذهب  
والؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين النافقة الذي تحت  
بطنها وهو فعل بمعنى مفعول لانه مضافور وكذلك السرر في الجنة مضافورة بالذهب والآلي  
وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أي وجوه بعضهم الى بعض ليس أحدهم وراء أحد (بطوف  
عليهم ولدان مخلدون) أي مخلدون على صفة واحدة لا يكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون

أكثر من عابن النبي ﷺ (على سرر موضونة) منسوجة كما توضع حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض  
قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك موضونة مصفوفة  
(متكئين عليها متقابلين) لا ينظر بعضهم في قفا بعض (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان) غلمان



(بأية أب وأباريق وكأس من معين) أما الأكراب فهي الكيزان التي لاخر اطعم لها ولا آذان ،  
والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس المنسابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من  
أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة

وقوله تعالى ( لا يصدعون عنها ولا ينزفون ) أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم بل هي  
ثابتة مع الشدة المعاربة والاذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال  
السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال ، وقال مجاهد  
وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعطية وقتادة والسدي ( لا يصدعون عنها ) يقول ليس لهم فيها صداع رأس  
وقالوا في قوله ( ولا ينزفون ) أي لا تذهب بعقولهم

وقوله تعالى ( وفاكة مما يتخيرون \* ولحم طير مما يشتهون ) أي ويعاوفون عليهم بما يتخيرون  
من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لما

ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده  
حدثنا العباس بن الوليد الترمي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوبة حدثنا عبيد الله  
ابن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثني مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ  
فقدت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار وقدمت عليه بأبل كأنها عروق الارطى قال  
« من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع في النسب » فانتسبت له إلى مرة بن عبيد  
وهذه صدقة مرة بن عبيد فبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه ابل قومي هذه صدقات قومي ثم أمر  
بها أن توسم بمبسم ابل الصدقة ونضم اليها ثم أخذ بيدي فأنطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال « هل من  
طعام ؟ » فأتينا بجفنة كالتصصة كثيرة التريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها

(مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون

وقال الفراء : تقول العرب لمن كبير وإن شطط أنه مخلد قال ابن كيسان يعني ولدانا لا يموتون  
من حالة إلى حالة قال سعيد بن جبيرة مقرطون يقال خلده جاريته إذا حلاها بالخلد وهو القرط . قال  
الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة  
لا ولادة فيها فهم خدام أهل الجنة (بأكراب وأباريق) فلا كواب جمع كواب وهي الاقداح المستديرة  
الأناء لا آذان لها ولا عرى . والأباريق جمع أبريق وهي ذوات الخراطيم سميت أبريق لأبريق  
لونها من الصفاء (وكأس من معين) خمر جارية (لا يصدعون عنها) لا تصدع رؤوسهم من شربها  
(ولا ينزفون) أي لا يسكرون . هذا إذا قرئ بفتح الزاي ، ومن كسر هاء فعناء لا ينفد شرابهم  
( وفاكة مما يتخيرون ) يختارون ما يشتهون . يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره ( ولحم طير مما  
يشتهون ) قال ابن عباس بخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال أنه يقع



فقبض رسول الله ﷺ بيدي اليسرى على يدي اليمنى فقال يا عكراش « كل من موضع واحد فانه طعام واحد » ثم أتينا بطبق فيه تمر أورطب شك عبيد الله رطباً كان أو تمرأ فجعلت آكل من يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال يا عكراش « كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال « يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار » وهكذا رواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديثه

وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا فرما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا أنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنني أنيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتعجت لها الجنة فنطرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلاً كان النبي ﷺ قد بعث مريّة قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقبل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيذج قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسرهم ماشوا فما يلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال « قصي رؤياك » فقصتها وجعلت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبي يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن المنثني حدثنا علي بن المديني حدثنا ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسامة عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »

وقوله تعالى ( ولحم طير مما يشتهون ) قال الامام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » انفراد به أحمد من هذا الوجه

على صفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب « وحوور عين » قرأ أبو جعفر وحزرة والكسائي بكسر الراء والنون أي وبحور عين أبعه قوله بأكواب وأباريق وفاكة ولحم طير في الاعراب وان اختلنا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن كقول الشاعر

اذا ما الغانيات برزت يوماً وزججن الحواجب والعيونا



وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث اسماعيل بن علي الخطمي عن أحمد بن علي الحيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال « طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك طيراً ناعماً قال « أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يا رسول الله اني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « من يأكلها والله بأبا بكر أنعم منها وانها لأمثال البخت واني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر »

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال « نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر انها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذي عن عبيد بن حميد عن القعنبى عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه عن أنس وقال حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن الوايد الوصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لطيراً فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحيفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعني لونا أبيض من اللبن وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جداً والوصافي وشيخه ضعيفان

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد ابن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن عطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطفقن له فاذا انتهى منها شيئاً أتاه حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء . صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيخر بين يديك مشوياً »

وقوله تعالى ( وحوور عين ) كأمثال الأوائل المكنون قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولهم فيها حور عين

والعين لا تزجج وإنما تكحل ومثله كثير ، وقيل معناه ويكرمون بقاكة ولحم طير وحوور عين ، وقرأ الباقر بالرفع أي ويطوف عليهم حور عين ، وقال الاخفش رفع على معنى لهم حور عين وجاء في تفسيره حور عين ببيض ضخام العيون ( كأمثال الأوائل المكنون ) الخزون في الصدف لم يسمه إلا يدي



وقراءة الجبر نحتمل معنيين أحدهما أن يكون الاعراب على الاتباع بما قبله كقوله [ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين \* لا يصعدونها عنها ولا ينزفون \* وفاكهة مما يتخيرون \* ولحم طير مما يشتهون \* وحور عين ] كما قال تعالى [ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ] وكما قال تعالى ( عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ) والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضاً بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحو العين والله أعلم

وقوله تعالى ( كأمثال الذؤاؤ المكنون ) أي كأنهن الذؤاؤ الرطب في يياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات ( كأنهن بيض مكنون ) وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون ) أي هذا الذي أنعمناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى ( لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلًا سلاسلًا ) أي لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً أي عبثاً خالياً عن المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف كما قال ( لا نسمع فيها لاغية ) أي كلمة لاغية ( ولا تأثيماً ) أي ولا كلاماً فيه قبح ( إلا قِيلًا سلاسلًا ) أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى ( نحيثهم فيها سلام ) وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والاثم

وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩)

وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١) وفلكة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣)

وفرش مرفوعة (٣٤) إنا أنشأنهن إنشاءً (٣٥) جعلنهن أبقاراً (٣٦) عرباً أتراباً (٣٧) لا أصحاب

اليمين (٣٨) ثلثة منى الأولين (٣٩) وثلثة من الآخرين (٤٠)

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الابرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال ( وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ) أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم

ويروى أنه يسلم نور في الجنة قالوا وما هذا؟ قالوا ضوء نقر حوراء ضحكت في وجه زوجها، ويروى أن الحوراء إذا مشيت ليسمع تغديس الخلاخيل من ساقها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت ليضحك من نحرها، وفي رجليها نعلان من ذهب شراكها من لؤلؤ بصران بالتسبيح ﴿جزاء بما كانوا يعملون \* لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً \* الا قِيلًا﴾ أي قولاً ﴿سلاسلًا سلاسلًا﴾ نصيبها اتباعاً لقوله قِيلًا أي يسمعون قِيلًا سلاسلًا سلاسلًا قال عطاء مجي بعضهم بعضاً بالسلام. ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين \* في سدر



ثم فسر ذلك فقال تعالى ( في سدر مخضود ) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الاحوص وقسامة بن زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حرزة وغيرهم هو الذي لاشوك فيه وعن ابن عباس هو الموقر بالتمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضاً كذا نحدث أنه الموقر الذي لاشوك فيه ، والظاهر أن المراد هذا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل التمر وفي الآخرة على العكس من هذا لاشوك فيه وفيه التمر الكثير الذي قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالاعراب ومساكنهم قال أقبل اعرابي يوماً فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هي ؟ » قال السدر فإن له شوكة مؤذية فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول ( في سدر مخضود ) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمراً تفنق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر »

( طريق آخر ) قال أبو بكر ابن أبي داود حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة حدثني ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء اعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكة منها يعني الطلح فقال رسول الله ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبهه لون آخر »

وقوله ( وطلح منضود ) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاء واحدة طلحة وهو شجر كثير الشوك وأنشد ابن جرير لبعض الحداة بشرها دليلها وقالوا غداً نرين الطلح والجبالا

منضود ) لاشوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة ، وقال الحسن لا يعقر الابدي قال ابن كيسان هو الذي لا أذى فيه قال وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلا وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشوم ومنظور اليه ، قال الضحاك ومجاهد هو الموقر حملا قال سعيد بن جبيرة ثمارها أعظم من القلال ، قال أبو العالية والضحاك ونظر المسلمون الى وج وهو واد منخصب بالطائف فأعجبهم سدرها وقالوا ياليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية ( وطلح ) أي موز واحدة طلحة عن أكثر المفسرين ، وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب قال الفراء وأبو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك

وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال قرأ رجل عند علي رضي الله عنه ( وطلح ) ( منضود )



وقال مجاهد (منضود) أي مترام يذكر بذلك قريباً لأنهم كانوا يعجبون من وج وغلالة من طلع وسدر وقال السدي منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل قال الجوهري والطلع لغة في الطلع قلت وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت علياً يقول هذا الحرف في طلع منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له وإن طلع منضود وهو كثرة ثمرة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاذ عن إدريس عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد وطلح منضود قال الموز قال وروي عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي هريرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمين يسمون الموز الطلع ولم يحك ابن جرير غير هذا القول

وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أقرءوا أن شتم (وظل ممدود)» ورواه مسلم من حديث الأعرج به

وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام أقرءوا أن شتم (وظل ممدود)» وكذا رواه مسلم من حديث الأعرج به وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة وكذا رواه حماد ابن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة واليث بن سعد عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قال حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا زيد بن هارون عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وأقرءوا أن شتم (وظل ممدود)» اسناد جيد ولم يخرجوه، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

فقال وما شأن الطلع؟ إنما هو وطلع منضود ثم قرأ (طلعها هضيم) قلت يا أمير المؤمنين إنما في المصحف بالحاء أفلا نحولها؟ فقال إن القرآن لا يحتاج اليوم ولا بحول والمنضود المترام الذي قد نض بالحل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله (وظل



وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا ان شتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هراما ان الله تعالى غرسها يده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء ستور وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهل الضبر حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى ( وظل ممدود ) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيد وثقة رجاله، وقد قال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قل ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما، قال أبو صالح اتكذب أبا هريرة قال ما أكلت كذب أباه هريرة ولكني أكلت ذلك أنت فشق ذلك على القراء يومئذ قلت فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة الا ساقها ذهب » ثم قال حسن غريب. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمة ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج اليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتعبدون

ممدود) دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول لشيء الذي لا ينقطع ممدود

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزبادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله ( وظل ممدود ) قال شجرة في الجنة على ساق العرش يخرج اليها



في ظلها، قال فيشتهي بعضهم ويدكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا هذا أثر غريب وإسناده جيد قوي حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان حدثنا سفيان حدثنا أبو اسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى [ وظل ممدود ] قال سبعون ألف سنة، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى [ وظل ممدود ] قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني ان رسول الله ﷺ قال «ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم، وقال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى ( وظل ممدود ) لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر، وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله [ وندخلهم ظللا ظليلا ] وقوله [ أكلها دائم وظلها ] وقوله [ في ظلال وعيون ] الى غير ذلك من الآيات

وقوله تعالى ( وما مسكوب ) قال الثوري يجري في غير أخدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى [ فيها أنهار من ماء غير آسن ] الآية بما أغنى عن إعادته هنا

وقوله تعالى ( وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ) أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى ( كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأنوابهم متشابها ) أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى فإذا ورقها كاذان الفيلة ونبعها مثل قلال هجر، وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصرى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة، وفيه قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت قال اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لا كُتِمَ منه ما بقيت الدنيا

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل

أهل الجنة فيحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا ( وما مسكوب ) مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع ( وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنبت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالأمان كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء



عن جابر قال بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه قال « انه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لا تيكم به فخبيل ييني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه

وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى ابن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابي فيها فاكهة ؟ قال « نعم » وفيها شجرة تدعى طوبى قال فذكر شيئاً لا أدري ما هو قال أي شجرة أرضنا تشبه ؟ قال « ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك » فقال النبي ﷺ « أتيت الشام ؟ » قال لا قال « تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تلبث على ساق واحد وينفرض أعلاها » قال ما عظم العنقود ؟ قال « مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يقتر » قال ما عظم أصلها ؟ قال « لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما » قال فيها عنب ؟ قال « نعم » قال فما عظم العبة ؟ قال « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً » قال نعم قال « فسلخ اهابه فأعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلوا » قال نعم قال الاعرابي فان تلك العبة لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال « نعم وعامة عشيرتك »

وقوله تعالى ( لا مقطوعة ولا ممنوعة ) أي لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل ( أكلها دائم ) مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث « اذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى »

وقوله تعالى ( وفرش مرفوعة ) أي عالية وطيبة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى [ وفرش مرفوعة ] قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين

ولا يتوصل اليها الا بالثمن ، وقال القتيبي يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين « وفرش مرفوعة » قال علي رضي الله عنه ( وفرش مرفوعة ) على الاسرة ، وقال جماعة من المفسرين بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن حبيش ثنا أبو عبد الرحمن



كما بين السماء والارض هكذا قال انه لا يعرف هذا الا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين به ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمر بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله، ورواه الامام احمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن جويهر عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة وقوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) فجعلناهن أبكاراً \* عربا أنربا \* لأصحاب اليمين (جرى الضمير على غير مذكور، لكن لمادل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها كتنفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى (اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين، وقال الاخفش في قوله تعالى (إنا أنشأناهن) أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك

وقال ابو عبيدة ذكرن في قوله تعالى (وحرور عين كأمثال الاؤلؤ المكنون) فقوله تعالى (إنا أنشأناهن) أي أعدناهن في النشأة الاخرى بعد ما كن عجائز ومصاصن أبكاراً عربا أي بعد الثبوبة عدن أبكاراً عربا متعجبات الى أزواجهن بالخلاوة والظرافة والملاحة، وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إنا أنشأناهن انشاء» قال نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا» رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى وبزيد ضعيفان

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم يعني ابن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى (إنا أنشأناهن انشاء) يعني الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا

وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أنت عجوز

النسائي ثنا ابو كريب ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ان ارتفاعها لكما بين السماء والارض وان ما بين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام، وقبل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة مرفوعة رفعت بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه «إنا أنشأناهن انشاء» خلقناهن خلقا جديداً قال ابن عباس يعني



فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال « يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز » قال فقلت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول ( إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً ) وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد

وقال ابو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياني حدثنا عمرو بن هاشم البيروني أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى ( حور عين ) قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرني عن قوله تعالى [ كأمثال اللؤلؤ المسكون ] قال « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الاصداف الذي لم تمسه الايدي » قلت أخبرني عن قوله [ فيهن خيرات حسان ] « قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرني عن قوله [ كأنهن بيض مكنون ] قال « رقتن كركة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى » قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله [ عربا اترابا ] قال « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذاري عربا متعشقات محبيات اترابا على ميلاد واحد » قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال « بصلانهم وصيامهم وعبادتهم الله عز وجل ، ألبس الله وجوههم النور وأجسادهم الحرير ، بيض الالوان خضر الثياب صفر الحلي مجامر من الدر وأمشاطهم الذهب ، يقان نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الزائعات فلا نبأس أبداً ونحن المقيمات فلا نطفن أبداً ، الا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كنا له وكان لنا » قلت يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين والثلاثة والاربعة ثم نموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يا رب ان هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله ﷺ يقول « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله وثلثين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الاولى منهما في غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون

الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقاً آخر » فجعلناهن أبكاراً عذاري

أخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي عن الهيثم ابن كليب الشامي أنا ابو عيسى الترمذي أنا عبيد بن حميد أنا مصعب بن المقدم أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أنت عجوز النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال « يا أم



زوجا من سندس واستبرق وانه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها امرأة يعني وكبدها له امرأة فينما هو عندها لا يملها ولا تملة ولا يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما يقتر ذكره ولا يشتكي قبلها الا أنه لا مني ولا منية فينما هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل إلا ان لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إلي منك

وقال عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجبيرة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال له أنطأ في الجنة ؟ قال « نعم : والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا »

وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا علي بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « ان أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا »

وقال ابو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطبق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب

وروى ابو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله هل نصل إلى نساءنا في الجنة ؟ قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ ابو عبدالله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم .

وقوله [ عربا ] قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يعني متحبات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لازواجهن وأزواجهن لمن عاشقون وكذا قال عبدالله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وابو العالية وبهجي بن أبي كثير وعطية والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله عربا قال هي الملقاة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي الغنجة

فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز « قال فولت تبكي قال « أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول ( إنا أنشأناهم إنشاء » فجعلناهم أبكاراً ) »

أخبرنا ابو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو إسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ( تفسير ابن كثير والبغوي ) ( ٢٥ ) ( الجزء الثامن )



وقال الاجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة في قوله [ عرباً ] قال الشكلة بلغة أهل مكة والمغنوجة بلغة أهل المدينة ، وقال نعيم بن حديم هي حسن التبعيل ، وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن العرب حسنات الكلام

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ عرباً قال « كلامهن عربي » وقوله [ أتراباً ] قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الامثال ، وقال عطية الاقران ، وقال السدي [ أتراباً ] أي في الاخلاق المتواخيات بينهم ليس بينهم تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد [ عرباً أتراباً ] قالوا المستويات الاسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً ، وقد روى أبو عيسى الترمذي عن احمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لخمسة لحوور العين يرفعن أصواتاً لم نسمع الخلائق بمثلاً قال يقلن نحن الخالدات فلا نبئد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكناله » ثم قال هذا حديث غريب

وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان عبد الله بن أبي رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين ليقنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبثنا لازواج كرام » قالت اسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الاثبات

وقد روى هذا الحديث الامام عبد الرحيم بن ابراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع عن ابن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ان الحور العين يقنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لازواج كرام »

وقوله تعالى ( لاصحاب اليمين ) أي خلقن لاصحاب اليمين أو ادخرن لاصحاب اليمين أزواجن لاصحاب اليمين والظاهر انه متعلق بقوله [ انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لاصحاب اليمين ] فتقديره أنشأناهن لاصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير

أبو محمد عبد الله بن محمد بن الخطيب أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور أنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي يفتدأ أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي ثنا سفيان الثوري عن يزيد ابن أبان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله ( انا أنشأناهن انشاء ) قال عجائز كن في الدنيا عشار مصاً ( فجعلناهن أبكاراً ) وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقاً



وروي عن ابي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديداً فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلاً وهي تقول يا أبا سليمان أندعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة ، قلت ويحتمل أن يكون قوله [ لأصحاب اليمين ] متعلقاً بما قبله وهو قوله [ أنزباً لأصحاب اليمين ] أي في أسنانهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء أضائة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورجلهم المسك ومجامرهم الالوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالوا حدثنا حماد بن سلمة وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً أيضاً جهاداً مكهلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع »

جديداً كلما أناهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً

وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلانهن في الدنيا . وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله لم يقم عليهن ولادة ( فجعلناهن أبكاراً ) عذارى وليس هناك وجم « عرباً » قرأ حمزة واما عيل عن نافم وأبو بكر ( عرباً ) ساكنة الرء والباقون بضمها وهي جمع عروب أي عواشق محبيات إلى أزواجهن قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وهي رواية الوالي عن ابن عباس وقال عنه ملقه وقال عكرمة غنجة وقال أسامة بن زيد عن أبيه عرباً حسنات الكلام « أنزباً » مستويات في السن على سن واحد

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبه أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً أيضاً جهاداً مكهلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وإاقوت كما بين الجابية إلى صنعاء » وهذا الاسناد عن النبي ﷺ



وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب

وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الاوزاعي عن هارون بن رثاب عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ، على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلين »

وقال أبو بكر ابن أبي داود حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الاوزاعي عن هارون بن رثاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

وقوله تعالى ( ثلة من الاولين وثلة من الآخريين ) أي جماعة من الاولين وجماعة من الآخريين

قال « ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون نوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك »

وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي نوبة أنا أبو طاهر الخارثي أنا محمد بن يعقوب أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن سليمان عن الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الرمانى عن أبي هريرة قال أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دني لمن يفدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه

قوله عز وجل « لأصحاب اليمين » يريد أنشأناهم لأصحاب اليمين « ثلة من الاولين » من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الامة « وثلة من الآخريين » من مؤمني هذه الامة هذا قول عطاء ومقاتل . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق النهدي أخبرني أبو الحسين بن محمد العدل ثنا



وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت علي الانبياء واتباعها بأهمها فيمير علي النبي والنبي في العصابة، والنبي في الثلاثة، والنبي وليس معه أحد - ونلا قتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال - حتى مر علي موسى بن عمران في كتيبة من بني اسرائيل قال قلت ربي من هذا؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني اسرائيل، قال قلت رب فأين أمي؟ قال انظر عن يمينك في الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال أرضيت؟ قال قلت قد رضيت رب، قال انظر إلى الافق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال أرضيت، قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد وكان بدر ياقال يا بني

عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق ثنا محمد بن عزيز ثنا عيسى بن المساور ثنا الوليد بن مسلم ثنا عيسى ابن موسى عن عروة بن رويم قال : لما أنزل الله على رسوله (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) بكى عمر رضي الله عنه فقال يا بني الله آمنا برسول الله ﷺ وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال « قد أنزل الله عز وجل فيما قلت » فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آدم البنا ثلة، ومني إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الاسودان من رعاة الابل إلا من قال لا إله إلا الله »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال « عرضت علي الامم فجعل يمر النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سد الافق فرجوت أن يكون أمي فقيل هذا موسى في قومه، ثم قيل لي انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سد الافق فقيل هؤلاء أمتك ومم هؤلاء. سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم » فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكننا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال « هم الذين لا يتطهرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال « نعم » فقام آخر فقال أمنهم أنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام « قد سبقك بها عكاشة »

ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال « عرضت علي الانبياء، اللبلة بأتباعها حتى أتى علي موسى عليه السلام في كتيبة بني اسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء؟ قبل هذا



الله ادع الله أن يجعلني منهم قال فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل آخر قال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال فقال رسول الله ﷺ « فإن استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الافق فاني قد رأيت ناساً كثيراً قد ناشبوا أحوالهم ثم قال - اني لارجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ( ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين ) قال قلنا يمتنا من هؤلاء السبعون ألفاً؟ قلنا هم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا اقل قبيلة ذلك فقال « بل هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة بن نبحه ، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( ثلثة من الاولين و ثلثة من الآخرين ) قال قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمتي »

أخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل قلت رب فابن أمتي؟ قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سددت بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت رب أرضيت رب أرضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت رب أرضيت فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة لاحساب لهم - فقال نبي الله ﷺ - إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الافق فاني قد رأيت ثم أناسا يتهاشون كثيراً »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال كنا مع رسول الله (ص) في قبة فقال « أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة - قلنا نعم قال - أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة - قلنا نعم قال - والذي نفس محمد بيده إني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر » وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الامة وهو قول أبي العالمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلثة من الاولين من ساقى هذه الامة وثلثة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الدينوري ثنا احمد بن اسحاق السبي أنا أبي خليفة الفضل بن الحباب ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية ( ثلثة من الاولين و ثلثة من الآخرين ) قال رسول الله



وأصحب الشمال ما أصحب الشمال (٤١) في سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الخنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظما أئنا لمبعوثون؟ (٤٧) أو آباؤنا الأولون (٤٨) قل إن الأولين والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقت يوم معلوم (٥٠) ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لا كلون من شجر من زقوم (٥٢) فماثلون منها البطون (٥٣)

فشربون عليه من الحميم (٥٤) فشربون شرب الحميم (٥٥) هذا نزلم يوم الدين (٥٦)  
لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أي أي شيء. ثم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال (في سموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى: انطلقوا إلى ما كنتم به تدبون \* انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من الهم \* أنها ترمي شررا كالقصر \* كأنه جمالة صفر \* ويل يومئذ للمكذبين (ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الأسود (لا بارد ولا كريم) أي ليس طيب المهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة (ولا كريم) أي ولا كريم المنظر. وقال الضحاك كل شراب ليس بهذب فليس بكريم

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه القمظة في النبي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم. وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل) وكانوا يصرون

صلى الله عليه وسلم «هما جميعا من أمتي»

قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم) ربح حارة (وحميم) ماء حار (وظل من يحموم) دخان شديد السواد تقول العرب أسود يحموم إذا كانت شديدة السواد، وقال الضحاك النار سودا، وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقال ابن كيسان اليعموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) قال قتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقال سعيد بن المسيب ولا كريم ولا حسن نظيره [من كل زوج كريم] وقال مقاتل طيب (إنهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) منعمين (وكانوا يصرون) يقيمون (على الخنث العظيم) على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال



أي يقيمون ولا يتوبون توبة (على الحنث العظيم) وهو الكفر بالله وجعل الاوثان والانداد أربابا من دون الله، قال ابن عباس الحنث العظيم الشرك. وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم. وقال الشعبي هو اليمين الغموس (وكانوا يقولون) أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنذا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون؟) يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي أخبرهم بالمعاد الاولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحدا كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وما تؤخره إلا لاجل معدود \* يوم يأت لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد) ولهذا قال هنا (المجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم انكم أيها الصالون المكذبون \* لا تكون من شجر من زقوم \* فالثون منها البطون) وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يلاؤا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم \* فشاربون شرب الهيم) وهي الابل العطاش واحدها هيم والاني هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة الهيم الابل العطاش الظماء، وعن عكرمة أنه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى

وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا. وعن خالد بن معدان انه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى (هذا زلهم يوم الدين) أي هذا الذي وصفناه وضيقاتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى (في حق المؤمنين) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (أي ضيافة وكرامة

نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) أفرايتم ما آمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩)

الشعبي الذنب العظيم اليمين الغموس، ومعنى هذا أنهم كانوا يخلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك ﴿ وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنذا لمبعوثون ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وبعقوب أنذا مستغفما انا بركة وقرأ الآخرون بالاستغفام فيهما ﴿ أو آباؤنا الاولون ﴾ قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم \* ثم انكم أيها الصالون المكذبون \* لا تكون من شجر من زقوم \* فالثون منها البطون \* فشاربون عليه من الحميم \* فشاربون شرب الهيم ﴿ قرأ أهل المدينة وعاصم وحزرة شرب بضم الشين وقرأ الباقر بفتحها وهما لغتان فالفتح على المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف والهيم الابل العطاش قال عكرمة وقتادة الهيماء والابل هيم، وقال الضحاك وابن عيينة الهيم الارض السهلة ذات الرمل يقال جبل أهيم وناقته هيماء والابل هيم، وقال الضحاك وابن عيينة الهيم الارض السهلة ذات الرمل ﴿ هذا زلهم ﴾ يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم ﴿ يوم الدين ﴾ يوم يجازون بأعمالهم. ثم احتج عليهم في البعث فقال تعالى ﴿ نحن خلقناكم ﴾ قل مقاتل خلقناكم ولم تكونوا



نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون (٦١)

ولقد علمت النشأة الاولى فلولا تذكرون (٦٢)

يقول تعالى مقررأ للمعاد، ورادأ على المكذبين به من أهل الزيف والاحاد، من الذين قالوا ( أننا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لبعوثون ؟ ) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال تعالى ( نحن خلقناكم ) أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الاولى والآخرى ؟ ولهذا قال ( فلولا تصدقون ؟ ) أي فهلا تصدقون بالبعث ؟ ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله ( أفأنتم مآمنون ؟ ) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ أي أنتم تقرونه في الارحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟

ثم قال تعالى ( نحن قدرنا بينكم الموت ) أي صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والارض ( وما نحن بمسبوقين ) أي وما نحن بعاجزين ( على أن نبدل أمثالكم ) أي نقبر خلقكم يوم القيامة ( وننشئكم فيما لا تعلمون ) أي من الصفات والاحوال

ثم قال تعالى ( ولقد علمت النشأة الاولى فلولا تذكرون ) أي قد علمت ان الله أنشأكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهلا تذكرون وتعرفون ان الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الاخرى وهي الاعادة بطريق الاولى والآخرى كما قال تعالى [ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ] وقال تعالى ( أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ — أو لم ير الانسان انا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ \* قل يحييها الذي أنشأها أول

شيئا وأنتم تعلمون ذلك ( فلولا ) فهلا ( تصدقون ) بالبعث ( أفأنتم مآمنون ؟ ) تصبون في الارحام من النطف ( أنتم تخلقونه ؟ ) يعني أنتم تخلقون مآمنون بشرأ ( أم نحن الخالقون ؟ ) نحن قدرنا ( قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لفتان ( بينكم الموت ) قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا، وقال الضحاك تقديره انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى قدرنا قضينا ( وما نحن بمسبوقين ) بقوليين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم فذلك قوله عز وجل ( على أن نبدل أمثالكم ) يعني تأتي بخلق مثلك بدلا منك ( وننشئكم ) نخلقكم ( فيما لا تعلمون ) من الصور قال مجاهد في أي خلق شئنا وقال الحسن أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلك، يعني ان أردنا أن نفعل ذلك ما فاعنا ذلك وقال سعيد بن المسيب ( فيما لا تعلمون ) يعني في حواصل طير سود تكون يبرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن ( ولقد علمت النشأة الاولى ) الخلقه الاولى ولم تكونوا شيئا ( فلولا تذكرون ؟ )



مرة وهو بكل خلق عليم [ وقال تعالى ] يحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني بغي ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى \* فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟

أفرايتم ما تحرثون (٦٣) أنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكهمون (٦٥) إنا لمفرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) أفرايتم الماء الذي تشربون (٦٨) أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء لجعلناه أجاجا فلا تشكرون (٧٠) أفرايتم النار التي تورون (٧١) أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون (٧٢) نحن جعلناه تذكرة ومتنما للمقوين (٧٣) فسيح باسم ربك العظيم (٧٤)

يقول تعالى ( أفرايتم ما تحرثون ؟ ) وهو شق الأرض واثارتها والبذر فيها ( أنتم تزرعون ؟ ) أي تنبتونه في الأرض ( أم نحن الزارعون ؟ ) أي بل نحن الذي نقره قراره وننبت في الأرض قال ابن جرير وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد ابن الحسين عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقولن أحدكم زرعتم ولكن قل حرثتم » قال أبو هريرة ألم نسمع إلى قوله تعالى ( أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون ؟ ) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن عطاء عن أبي عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا ورواه عن جبر المدري أنه كان إذا قرأ ( أنتم تزرعون أم نحن الزارعون ) وأماها يقول بل أنت يارب وقوله تعالى ( لو نشاء لجعلناه حطاما ) أي نحن انبتناه باطفنا ورحمتنا وابقيناه لهم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما أي لا ييسناه قبل استوائه واستحصاده ( فظلمت تفكهمون ) ثم فسر ذلك

أنى قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم ( أفرايتم ما تحرثون ؟ ) يعني ثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر ( أنتم تزرعون ؟ ) تنبتونه ( أم نحن الزارعون ) المنبتون ( لو نشاء لجعلناه حطاما ) قال عطاء تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء ( فظلمت ) وأصله فظلمتم حذفت إحدى اللامين تخفيفا ( تفكهمون ) تعجبون بما نزل بكم في زرعكم وهو قول عطاء والسكابي ومقاتل وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول بيان نظيره ( فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ) وقال الحسن تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة ، وقال عكرمة تتلاومون وقال ابن كيسان نحزون قال الكسائي هو تلهف على ما فات وهو من الاضداد تقول العرب تفكمت أي



بقوله (إنا لمفرمون \* بل نحن محرومون) أي لو جعلناه حطاما لظلمت تفكهم في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون نارة إنا لمفرمون أي للمقون وقال مجاهد وعكرمة أنا ملوم بنا وقال قتادة معذبون ونارة تقولون بل نحن محرومون، وقال مجاهد أيضا إنا لمفرمون ملقون للشر أي بل نحن محارقون قاله قتادة أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أي محدودون يعني لاحظ لنا قال ابن عباس ومجاهد (فظلمت تفكهم) تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلمت تفكهم تجمعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع الى الاول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبتوا في ما لهم وهذا اختيار ابن جرير، وقال عكرمة فظلمت تفكهم تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدي فظلمت تفكهم تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي تفكهم من الاضداد تقول العرب تفكمت بمعنى تنعمت وتفكمت بمعنى حزنت

ثم قال تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون \* أنتم أنزلتموه من المزن؟) يعني السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون؟) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء جعلناه أجابا) أي زعاقا صرا لا يصلح لشرب ولا زرع (فلولا تشكرون) أي فها تشكرون نعمة الله عليكم في انزاله المطر عليكم عذبا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون \* يثبت لكم \* الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا شرب الماء قال « الحمد لله الذي سقانا عذبا فرانا برحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا »

ثم قال (أفرأيتم النار التي تورون؟) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها ولحرب شجرتان (إحدهما) المرخ (والأخرى) العفار إذا أخذ منها غصنان اخضران فحك أحدهما بالأخر تنار من بينهما شرر النار

تنعمت وتفكمت أي حزنت ﴿إنا لمفرمون﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم أننا بهمزين وقرأ الآخرون على الخير، وبجواز الآية فظلمت تفكهم وتقولون إنا لمفرمون. وقال مجاهد وعكرمة ملوم بنا، وقال ابن عباس وقتادة معذبون والغرام العذاب، وقال الضحاك وابن كيسان غرمتنا أموالنا وصار ما أنفقنا غراما علينا والمفرم الذي ذهب ماله بغير عوض وهو قوله ﴿بل نحن محرومون﴾ محدودون ممنوعون أي حرمتنا ما كنا نطلبه من الريح في الزرع ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ أنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب واحدها مزنة ﴿أم نحن المنزلون؟﴾ لو نشاء جعلناه أجابا ﴿قال ابن عباس شديد الملوحة قال الحسن صرا﴾ ﴿فلولا تشكرون﴾ ﴿أفرأيتم النار التي تورون؟﴾ تقدحون وتستخرجون من زندكم ﴿أنتم أنشأتم



وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أي تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال «يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية؟ قال إنما قد ضربت بالبحر ضربتين أومرتين حتى يستنفخ بها بنو آدم ويدنو منها وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الامام أحمد في مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»

وقال الامام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نار بنى آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال «إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً» رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وفي لفظ والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»

وقد قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معمر بن عيسى القزاز عن مالك عن عه أبي سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً» قال الضياء المندسي وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح

وقوله تعالى (ومتاعا للمقوين) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها وقال غيره التي والقواء القفر الخالي البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقوي ههنا الجائم وقال ليث

شجرتها التي تقدح منها النار وهي المرخ والصغار (أم نحن المنشئون؟) نحن جعلناها خلقناها يعني نار الدنيا (تذكرة) للنار الكبرى إذا رآها الزائي ذكر جهنم قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل ، وقال عطاء موعظة يتعظ بها المؤمن

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه ثنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نار بنى آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً» (ومتاعاً) بلفظ ومنفعة (المقوين) المسافرين والمقوي النازل في الأرض والقيء والقواء هو القفر الخالية البعيدة من العمران يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والاسفار فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدون لها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع



ابن أبي سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار وكذا روى  
سفيان عن جابر الجعفي عن مجاهد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعني المستمتعين من  
الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غني وفقير  
الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاح والاضاءة وغير ذلك من المنافع

ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الاحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل  
ذلك في متاعه وفي ثيابه فإذا احتاج الى ذلك في منزله أخرج زنده وأوردى وأوقد ناره فاطبخ بها  
واصطلى بها واستقوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك  
عاما في حق الناس كلهم، وقد يستدل به بما رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان  
ابن زيد الشرعي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
«المسلمون شركاء في ثلاثة النار والكلأ والماء»

وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث  
لا يمنعن الماء والكلأ والنار» وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة ومنه ولكن في  
اسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم

وقوله تعالى ( فسبح باسم ربك العظيم ) أي الذي بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة المتضادة  
الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المفرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك  
مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجرأ لهم في المعاد

فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) إنه لقرآن كريم (٧٧)

في كتب مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين (٨٠) أفبهذا

الحديث أنتم مدهنون؟ (٨١) وتعملون رزقكم أنكم تكذبون؟ (٨٢)

هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد وعكرمة للمقوين يعني المستمتعين بهامن الناس أجمعين المسافرين  
والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والحبز، قال الحسن  
بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم يحملونها في الخرق والجوايق، وقال ابن زيد للجائعين تقول  
العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيأ قال قطرب المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لحلوه  
من المال ويقال للغني مقو لقونه على ما يريد يقال أقوى الرجل اذا قويت دوابه وكثر ماله وصار الى  
حال القوة، والمعنى ان فيها متاعا للاغنياء والفقراء جميعا لا غنى لاحد عنها ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾  
قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أقسم ولا صلة وكان عيسى



قال جوير عن الضحاك إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح بفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه ( أنه لقرآن كريم ) وقال آخرون ليست لا زائدة لامعنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسما به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها : لا والله ما مست بدرس رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم

وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله ( فلا أقسم ) فليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم، واختلفوا في معنى قوله ( بمواقع النجوم ) فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفردا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية

وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من الاوح المحفوظ إلى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفارة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله ( فلا أقسم بمواقع النجوم ) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حرزة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها ، وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها ، وعن الحسن أيضا أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة وقال الضحاك ( فلا أقسم بمواقع النجوم ) يعني بذلك الانواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرونا بنوء كذا وكذا

وقوله ( وانه لقسم لو تعلمون عظيم ) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمته المقسم به عليه ( أنه لقرآن كريم ) أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ( في كتاب مكنون ) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر

ابن عمر يقرأ فلا أقسم على التحقيق ، وقيل قوله لا رد لما قاله الكفار في القرآن انه سحر وشعر وكهانة معناه ليس الامر كما تقولون ، ثم استأنف القسم فقال أقسم بمواقع النجوم ، قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد وقرأ الآخرون بمواقع على الجمع ، قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرقا نجوما وقال جماعة من المفسرين أراد مقارب النجوم ومما أقطها وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها وقال الحسن أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة ( وانه لقسم لو تعلمون عظيم \* انه ) يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم ( لقرآن كريم ) عزيز مكرم لانه كلام الله قال بعض أهل المعاني الكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير الكثير ( في كتاب مكنون ) مصون عند الله في الاوح



وقال ابن جرير حدثني موسى بن اساعيل اخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه الا المطهرون) قال الكتاب الذي في السماء ، وقال العوفي عن ابن عباس (لا يمسه الا المطهرون) يعني الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه الا المطهرون) قال لا يمسه عند الله الا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجرمي النجس ، والمنافق الرجس قال وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسه الا المطهرون ، وقال أبو العالية (لا يمسه الا المطهرون) ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب ، وقال ابن زيد زعمت كفار قريش ان هذا القرآن نزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه الا المطهرون كما قال تعالى (وما نزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الاقوال التي قبله ، وقال الفراء لا يجرد طعمه ونفعه إلا من آمن به

وقال آخرون (لا يمسه الا المطهرون) أي من الجنابة والحديث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الامام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم أن لا يمسه الا طاهر

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن

المحفوظ محفوظ من الشياطين (لا يمسه) أي ذلك الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يروى هذا عن أنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقاتدة وابن زيد أنهم الملائكة وروى حسان عن السكبي قال هم السفرة الكرام البررة

وروى محمد بن الفضل عنه لا يقرؤه الا الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجرد طعمه ونفعه الا من آمن به ، وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات ، وظاهر الآية نفي ومعناها هي ، وقالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحامد وأبو حنيفة يجوز للمحدث وللجنب حمل المصحف ومسّه بخلاف الاول قول اكثر الفقهاء

اخبرنا ابو الحسن المرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ



شهد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال « لا يمس القرآن الا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي اسناد كل منهما نظر والله أعلم

وقوله تعالى ( تنزيل من رب العالمين ) أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون انه شعر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى ( أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ؟ ) قال العوفي عن ابن عباس أي مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو هريرة والسدي ، وقال مجاهد ( مدهنون ) أي تريدون ان تالثوم فيه وتركوا اليهم ( وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ) قال بعضهم معنى ( وتجعلون رزقكم ) بمعنى شكركم أنكم تكذبون أي تكذبون بدل الشكر ، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها ( وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ) كما سيأتي ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة ازدشنيوة مارزق فلان بمعنى ماشكر فلان

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « وتجعلون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوه كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخلد بن ابراهيم النخعي وابن جرير عن محمد بن المنني عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى بن أبي بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا ، وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب ، وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الاعلى ولم يرفعه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوه كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس ( وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ) وهذا اسناد صحيح إلى ابن عباس

لعمر بن حزم « ان لا يمس القرآن الا طاهر » والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والانساع كما روي ان رسول الله ﷺ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو ، واراد به المصحف « تنزيل من رب العالمين » أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على انساع اللفظ كما يقال للعقدور قدر وله مخلوق خلق « أفبهذا الحديث » يعني القرآن « أنتم » بأهل مكة « مدهنون » قال ابن عباس رضي الله عنه مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون نظيره ( ودوا لو تدهن فيدهنون ) والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو من الادهان وهو الحري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر « وتجعلون رزقكم » حظكم ونصيبكم من القرآن « أنكم تكذبون » قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حفظه من كتاب الله الا التكذيب به ، وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ، وقال الهيثم



وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد ابن خالد الجهني انه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر مماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به

وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمر بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ان ابا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » انفرد به مسلم من هذا الوجه

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفیان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان الله ليصبح القوم بالنعمة أو يعسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن ابراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم ابق من نوء الثريا ؟ فقال العلماء يزعمون انها تعترض في الافق بعد سقوطها سبعة ايام فامضت سابعة حتى مطروا ، وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لان ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده ، وقد تقدم شيء من هذه الاحاديث عند قوله تعالى [ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ]

ابن عدي ان من لغة أزد شنوء ما رزق فلان بمعنى ما شكر ، وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا يقولون اذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى فقليل لهم أن يجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر مماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب »



وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفیان عن اسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال « كذبت بل هو رزق الله » ثم قال ابن جرير حدثني ابو صالح الصراري حدثنا ابو جابر محمد بن عبد الملك الاودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « ما مطر قوم من ليلة الا أصبح قوم بها كافرين ثم قال [ وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون ] يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا »  
(١) وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قعط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع » وقال مجاهد [ وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون ] قال قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد ، وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فعنى قول الحسن هذا وتجمعون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ، ولهذا قال قبله [ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون \* ] وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون ]

فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥) فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صدقين (٨٧)

يقول تعالى [ فلولا إذا بلغت [ أي الروح ] الحلقوم ] أي الخلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى [ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق \* وظن أنه الفراق \* والتفت الساق بالساق \* إلى ربك يومئذ المساق ] ولهذا قال هنا [ وأنتم حينئذ تنظرون ] أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ( ونحن أقرب إليه منكم ) أي بملأئكتنا ( ولكن لا تبصرون ) أي ولكن لا ترونهم كما قال ورواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فزات هذه الآية ( فلا أقسم بمواقع النجوم - إلى قوله - وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون )

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد القافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم ابن محمد بن سفیان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن سلمة المرادي ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله تعالى الغيث فيقولون مطرنا بكوكب كذا وكذا »

قوله عز وجل ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ إذا بلغت الحلقوم ﴾ أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون اليه متى يخرج نفسه وقيل معنى قوله تنظرون أي إلى أمرى وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ﴿ ونحن أقرب



تعالى في الآية الاخرى (وهو القاهر فوق عباده ويوئل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون \* ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مكانها الاول ومقرها من الجسد ان كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني محاسبين وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حريزة مثله وقال سعيد بن جبيرة والحسن البصري (فلولا ان كنتم غير مدينين) غير مصدقين انكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس، وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين، وقال ميمون بن مهران غير معدين مقهورين

فأما إن كان من المقرين (٨٨) فروح وربحان وجنت نعيم (٨٩) وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلم لك من أصحاب اليمين (٩١) وأما ان كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) وتصلية جحيم (٩٤) إن هذا هو حق اليقين (٩٥) فسيح باسم ربك العظيم (٩٦)

هذه الاحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم أما أن يكون من العلية المقرين أو يكون من دونهم من أصحاب اليمين، وأما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما ان كان) أي المحتضر (من المقرين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات (فروح وربحان وجنة نعيم) أي فلهم روح وربحان

اليه منكم) بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم (ولكن لا تبصرون) الذين حضروه (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) مملوكين وقال أكثرهم محاسبين ومجزين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله (فلولا إذا بلغت الحلقوم) وعن قوله (فلولا ان كنتم غير مدينين) بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل (فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) أجيبا بجواب واحد، معناه إن كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله مجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به. ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال (فأما ان كان من المقرين) وهم السابقون (فروح) قرأ يعقوب فروح بضم الراء والباقون بفتحها فن قرأ بالضم قال الحسن معناه تخرج روحه في الربحان



وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء ان ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجني إلى روح وربحان ورب غير غضبان.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وربحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد ان الروح الاستراحة، وقال ابو حرزة الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وربحان) جنة ورحا، وقال قتادة فروح فرحة

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وربحان ورزق وكل هذه الاقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال ابو العالية لا يفارق أحد من المقربين حتى يوتى بفن من ربحان الجنة فيقبض روحه فيه، وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة ابراهيم (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) ولو كتبت ههنا لكان حسنا من جهلتها حديث تميم الداري عن النبي ﷺ يقول «يقول الله تعالى ملك الموت انطلق إلى فلان فائتني به فانه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ائتني فلا ربحه، قال فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الربحان أصل الربحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك» وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم، وقد وردت احاديث تتعلق بهذه الآية

قال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (فروح وربحان) برفع الراء وكذا رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون وهو ابن مومي الاعور به، وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه، وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقر فقرأوا فروح بفتح الراء

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا ابو الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل انه سمع مرة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ انها سألت رسول الله ﷺ أن تزاور إذ امتنا وبرى بعضنا بعضا؟ فقال رسول الله ﷺ «يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل

وقال قتادة الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل معناه حياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة (وربحان) استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق وقال مقاتل هو الرزق بلسان حمير يقال خرجت أطلب ربحان الله أي رزق الله وقال آخرون هو الربحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يوتى بفن من ربحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه (وجنة نعيم) قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار



نفس في جسدها « هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل، ويشهد له بالصحة ايضاً ما رواه الامام احمد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي عن الامام مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » وهذا إسناد عظيم ومتين قوي وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شأت ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش الحديث

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس والحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعتة يقول حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال فأكب القوم فيكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه إذا احتضر (فأما ان كان من المقربين \* فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل لفسانه أحب (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى لقاءه أكره ، هكذا رواه الامام أحمد وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لعنائه

وقوله تعالى (وأما ان كان من أصحاب اليمين) أي وأما ان كان المحتضر من أصحاب اليمين [فسلام لك من أصحاب اليمين] أي نبشروهم بذلك تقول لأحدهم سلام لك أي لا بأس عليك انت الى سلامة أنت من أصحاب اليمين

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وصلت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة ونخبه أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما ندعون \* نزلنا من غفور رحيم)

وقال البخاري (فسلام لك) أي مسلم لك انك من أصحاب اليمين ، والنيت ان وبقي معناها كما

والريحان دخول دار القرار (وأما ان كان) المتوفى (من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين) أي سلامة لك يا محمد منهم فلا نهتهم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما يحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم

وقال الفراء وغيره فسلام لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من أصحاب اليمين فألقيت ان، كالرجل يقول اني مسافر عن قليل فتقول له أنت مصدق مسافر عن قليل



تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل ، وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال ان رفعت السلام فهو من الدعاء ، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال اليه والله أعلم

وقوله تعالى [ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ] أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ( فنزل ) أي فضيافة ( من حميم ) وهو المذاب الذي يصهر به مافي بطونهم والجلود ( وتصلية جحيم ) أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته ثم قال تعالى [ إن هذا لهو حق اليقين ] أي ان هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مريبة فيه ولا محيد لأحد عنه [ فسبح باسم ربك العظيم ]

قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقي حدثني إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله ﷺ [ فسبح باسم ربك العظيم ] قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت [ سبح باسم ربك الاعلى ] قال رسول الله ﷺ « اجعلوها في سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به

وقيل فسلام لك أي عليك من اصحاب الجنين « وأما ان كان من المكذبين » بالبعث « الضالين » عن الهدى وهم اصحاب المشامة « فنزل من حميم » فالذي يعد لهم حميم جهنم « وتصلية جحيم » وادخال نار عظيمة « ان هذا » يعني ما ذكر من قصة المحتضرين « لهو حق اليقين » أي الحق اليقين اضافته الى نفسه « فسبح باسم ربك العظيم » قيل فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريمي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا ابن شية ثنا حمزة بن محمد الكاتب ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقي عن عمه وهو إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله ﷺ [ فسبح باسم ربك العظيم ] قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت [ سبح اسم ربك الاعلى ] قال رسول الله ﷺ « اجعلوها في سجودكم »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود قال أنا شعبة عن الأعمش قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة انه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه « سبحان ربّي العظيم — وفي سجوده — سبحان ربّي الاعلى » وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد



وقال روح بن عباد حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» هكذا رواه الترمذي من حديث روح ورواه هو والنسائي أيضا من حديث حماد بن سلمة من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ به وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير

وقال البخاري في آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله

﴿ آخر تفسير سورة الواقعة والله الحمد والمنة ﴾

ابن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجلفري حدثني أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حكم وابن راشد قالوا أخبرنا بكر بن قتيبة ثنا روح بن عباد ثنا حجاج الصراف عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة»

أخبرنا عبد الواحد المليحي قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا» وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا





## تفسير سورة الحديد وهي مدنية

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقة بن الوليد حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرياض بن سارية انه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « ان فيهن آية أفضل من ألف آية » وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقة به وقال الترمذي حسن غريب

ورواه النسائي عن ابن السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ يذكره مرسل لم يذكره عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى ( هو الاول والآخرة والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) كما سيأتي بيانه قريباً ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (٢) هو الاول والآخرة والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٣)

يخبر تعالى انه يسبح له ما في السموات والارض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الاخرى ( تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً ) وقوله تعالى ( وهو العزيز ) أي الذي قد خضع له كل شيء [ الحكيم ] في خلقه وأمره وشرعه ( له ملك السموات والارض يحيي ويميت ) أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ( وهو على كل شيء قدير ) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى [ هو الاول والآخرة والظاهر والباطن ] وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية انها أفضل من ألف آية

﴿ سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير \* هو الاول والآخرة والظاهر والباطن ﴾ يعني هو الاول قبل



وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شي. أجده في صدري؟ قال ما هو؟ قلت والله لأتكلّم به قال فقال لي أشي. من شك؟ قال وضحك قال مانجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى [فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك] الآية قال وقال لي إذا وجدت في نفسك شيئا فقل [هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي. عليم] وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً

وقال البخاري قال يحيى: الظاهر على كل شي. علما والباطن على كل شي. علما، وقال شيخنا الحافظ المزي يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن

وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الامام أحمد «حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عباس عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شي، منزل التوراة والانجيل والفرقان، فائق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شي. أنت آخذ بناصيته، أنت الاول فليس قبلك شي. وأنت الآخر فليس بعدك شي.، وأنت الظاهر فليس فوقك شي.، وأنت الباطن فليس دونك شي.، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر»

ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شي، فائق الحب والنوى، ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الاول فليس قبلك شي. وأنت الآخر فليس بعدك شي.، وأنت الظاهر فليس فوقك شي.، وأنت الباطن فليس دونك شي.، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر. وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السري بن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فإذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى الله ﷻ

كل شي. بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شي. موجوداً والاخر بعد فناء كل شي. بلا انتهاء تبقى الاشياء ويبقى هو [والظاهر] الغالب العالي على كل شي. [والباطن] العالم بكل شي.، هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان [هو الاول] القديم [والآخر] الرحيم [والظاهر] الحليم [والباطن] العليم، وقال السدي [هو الاول] بيره إذا عرفك توحيد [والآخر] بمجوده اذ عرفك التوبة على



ما يقول فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فاق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر » السري بن اسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جداً والله أعلم

وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد لمعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سبحانه فقال نبي الله ﷺ « هل تدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه » ثم قال « هل تدرون ما فوقكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فأنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف » ثم قال « هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « بينكم وبينها خمسمائة سنة » ثم قال « هل تدرون ما فوق ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فأن فوق ذلك سما بعد سما بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عدد سبع سموات - ما بين كل سماين كما بين السماء والأرض ثم قال « هل تدرون ما فوق ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فأن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين » ثم قال « هل تدرون ما الذي تحتكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فأنها الأرض » ثم قال « هل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فأن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عدد سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة » ثم قال « والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لمبط على الله ثم قرأ ( هو الأول والآخرة والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) » ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعني ابن عبيد وعلي بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة ، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما مبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى كلامه

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن شريح بن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن

ما جنبت [ والظاهر ] بتوفيقه إذ وفقك للسجود له [ والباطن ] بستره إذ عصيته فستر عليك ، وقال الجنيد [ هو الأول ] بشرح القلوب [ والآخرة ] بغفران الذنوب [ والظاهر ] بكشف الكروب [ والباطن ] يعلم الغيوب ، وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعباً عن هذه الآية فقال معناها أن علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ( وهو بكل شيء عليم )

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم



عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وعنده وبعد ما بين الارضين مسيرة سبعائة عام وقال « لو دليتكم أحدكم بحبل الى الارض السفلى السابعة لهبط على الله » ثم قرأ ( هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) ورواه ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره وهو قوله « لو دليتكم بحبل » وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا ( هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) وقال البخاري لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة

ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة ( هو الاول والاخر والظاهر والباطن ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه اذ مر عليهم معجبان فقال « هل تدرون ما هذا؟ » وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري رضى الله عنه وأرضاه رواه البخاري في مسنده والبيهقي في كتاب الامماء والصفات ولكن في اسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم وقال ابن جرير عند قوله تعالى ( ومن الارض مثان ) حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والارض فقال بعضهم لبعض من أين جئتم؟ قال أحدهم أرسلني ربي عز وجل من السماء السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي عز وجل من الارض السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم وهذا حديث غريب جداً وقد يكون الحديث الاول موقوفاً على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم .

هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور (٥) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦)

ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر .

وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ( هو الذي خلق السموات والارض في ستة



يخبر تعالى عن خلقه السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم اخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية واشباهاها في سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى ( يعلم ما يبلغ في الارض ) أي يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ( وما يخرج منها ) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) وقوله تعالى ( وما ينزل من السماء ) أي من الامطار، والثلوج والبرد والاقطار، والاحكام مع الملائكة الكرام، وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى. وقوله تعالى ( وما يعرج فيها ) أي من الملائكة والاعمال كما جاء في الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل »

وقوله تعالى ( وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في الفقار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى ( ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ) وقال تعالى [ سواء منكم من أمر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ] فلا إله غيره ولا رب سواه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه براك »

وروى الحافظ ابو بكر الامام عبيد بن حنبل في حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثني أبي عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عائد قال : قال عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : زدوني حكمة أعيش بها فقال « استح الله كما استحي رجلا من صالحني عشرتك لا يفارقك » هذا حديث غريب

(١) وروى ابو نعيم من حديث عبد الله بن علقمة بن علقمة مرفوعا « ثلاث من فعلهن فقد طعم الايمان إن عبد الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهومة ولا الرذبة ولا الشرطة القثيمة ولا المربضة ولكن من أوسط أموالكم وزكي نفسه » وقال رجل يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه فقال « يعلم ان الله معه حيث كان »

(١) هذا غير موجود في النسخة المسكية

وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر

أيام ثم استوى على العرش \* يعلم ما يبلغ في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم \* بالعلم \* أينما كنتم والله بما تعملون بصير \* له ملك السموات والارض والى الله ترجع



عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفضل الايمان أن تعلم ان الله معاك حياً كنت » غريب وكان الامام احمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله بفعل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقوله تعالى ( له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور ) أي هو المالك للدينا والآخرة كما قال تعالى [ وان لنا للآخرة والاولى ] وهو الممود على ذلك كما قال تعالى [ وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة ] وقال تعالى [ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ] فجميع ما في السموات والارض ملك له وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى [ إن كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ] ولهذا قال ( وإلى الله ترجع الامور ) أي اليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجر ولا يظلم مثقال ذرة بل ان يكن عمل أحدهم حسنة واحدة بضاعتها إلى عشر أمثالها [ ويؤت من لذه أجر أعظماً ] كما قال تعالى [ ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ]

وقوله تعالى ( يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ) أي هو المنتصرف في الخلق بقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد بمخلقه ( وهو عليم بذات الصدور ) أي يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت

آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأتقوا لهم

أجر كبير (٧) وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثقكم

إن كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آية بينت ليخرجكم من الظلمات إلى النور

وإن الله بكم لرؤوف رحيم (٩) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات

والارض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجة من الذين

أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠) من ذا الذي

الامور \* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور \* آمنوا بالله ورسوله \*



يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)

أمر تبارك وتعالى بالآيمان به وبرسوله على الوجه الاكل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه اي مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار اليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته فان يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم انزكهم الواجبات فيه

وقوله تعالى ( مما جعلكم مستخفين فيه ) فيه إشارة الى أنه سيكون مخلقا عنك فاعلم وارثك أن بطبع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو بعصي الله فتكون قد سمعت في معاونته على الإنع والعدوان .

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول «أهلأكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مال إلا ما أكلت فأنتيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد « وما سوى ذلك فذهاب وتاركة للناس »

وقوله تعالى ( فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ) ترغيب في الإيمان والانفاق في الطاعة  
ثم قال تعالى ( وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم؟ ) أي وأي شيء يمنعكم من  
الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به  
وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري أن رسول الله  
ﷺ قال يومئذ لأصحابه « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ » قالوا الملائكة - قال وما لهم لا يؤمنون وهم  
عند ربهم؟ - قالوا أלא نبيا، قال « وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم. » قالوا فنحن قال « وما لكم  
لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يحيئون بعدكم بمجدون صحفا يؤمنون بما فيها »  
وقد ذكرنا طرفاً من هذه في أول سورة البقرة عند قوله تعالى [ الذين يؤمنون بالغيب ]

وقوله تعالى ( وقد أخذ ميثاقكم ) كما قال تعالى [ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ] ويعني بذلك بيعة الرسول ﷺ وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد قاله أعلم

يَخَاطَبُ كَفَّارَ مَكَّةَ ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ مَمْلُوكِينَ فِيهِ بِعُنَى الْمَالِ الَّذِي كَانَ يَدُ غَيْرِهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ وَأَعْطَاهُ قَرِيشًا فَكَانُوا فِي ذَلِكَ الْمَالِ خُلَفَاءَ عَنْ مَضْرُوءٍ ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وَمَالِكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِمْ وَفَدَّ أَخْذَ مِثْقَالِكُمْ؟

قرأ أبو عمر وأخذ بضم الهمزة وكسر الخاء ميثاقكم برفع القاف على ما لم يسم فاعله وقرأ الآخرون



وقوله تعالى ( هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ) أي حججها واضحات ودلائل باهرات ، وبراہین قاطعات ( ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) أي من ظلمات الجبل والكفر والاراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والایمان ( وإن الله بكم لرؤف رحيم ) أي في أنزاله الكتاب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولاً بالایمان والانفاق ثم حثهم على الايمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضاً على الانفاق فقال ( وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والارض ؟ ) أي أنفقوا ولا نخشوا فقراً وافتقاراً فان الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والارض ويده مقاليدهما وعنده خزائنها وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ) وقال [ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ] فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش افتقاراً وعلم أن الله سيخلفه عليه

وقوله تعالى ( لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ) أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك ان قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فإنه ظهر الاسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولذا قال تعالى ( أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ) والجهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة ، وعن الشعبي وغيره ان المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية

بفتح المهمة والحق ، ونصب القاف أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه قاله مجاهد ، وقيل أخذ ميثاقكم باقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ ( ان كنتم مؤمنين ) يوماً فلا ن أخرى الاوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن

قوله تعالى ( هو الذي ينزل على عبده ) محمد ﷺ ( آيات بينات ) يعني القرآن ( ليخرجكم ) الله بالقرآن ( من الظلمات إلى النور ) وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الايمان ( وإن الله بكم لرؤف رحيم ) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والارض ؟ يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ؟ ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال ( لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح ) يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين

وقال الشعبي هو صلح الحديبية ( وقاتل ) يقول لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة كن أنفق وقاتل بعده ( أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا )

وروى محمد بن فضيل عن الكاكي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه



وقد يستدل لهذا القول بما قاله الامام احمد حدثنا احمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكره لني صلى الله عليه وسلم فقال «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم» ومعلوم أن اسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أمر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو وغيرهما فاختم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك، والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا نسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا من هم يا رسول الله أقرش؟ قال «لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً فقلنا أم خير منا يا رسول الله؟ قال «لو كان لأحدكم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه إلا أن هذا فضل ما بيننا وبين الناس (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقابل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)» وهذا الحديث غريب بهذا السياق، والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج: تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية. الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال: حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا من هم يا رسول الله أقرش؟ قال «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً وأشار بيده إلى اليمن فقال «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية» فقلنا يا رسول الله هم خير منا قال «والذي نفسي بيده لو كان لأحدكم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه» ثم جمع

قائه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله، وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد بن محمد أنا احمد بن اسحاق بن أيوب أنا محمد بن يونس ثنا العلاء بن عمرو الشيباني ثنا أبو اسحاق الفزاري ثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله



أصابه ومد خنصره وقال « ألا ان هذا فضل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديدية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيجتمعا انه أنزل قبل الفتح اخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) الآية فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم

وقوله تعالى ( وكلا وعد الله الحسنى ) يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على الناعدين أجراً عظيماً ) وهكذا الحديث الذي في الصحيح « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » وإنما به هذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى ( والله بما تعملون خبير ) أي فلخبرته فارت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك إلا لعله بقصد الأول واخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والقلّة والضيق

وفي الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الايمان ان الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الاوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أئمة الانبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لاحد عنده نعمة يحجزه بها

وقد قال ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني حدثنا أبو إسحاق الفزاري حدثنا شفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر

ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عبادة قدخلها في صدره بخلال فتزل عليه جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عبادة قدخلها في صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله علي قبل الفتح » قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت في فترك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر أ أسخط على ربي ؟ اني عن ربي راض اني عن ربي راض ( وكلا وعد الله الحسنى ) أي كلا الفريقين وعدم الله الجنة



الصديق وعليه عبادة قد خلها في صدره بخلاف فنزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خلها في صدره بخلاف؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال فان الله يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عني في فرك هذا أم ساخط ؟ » فقال ابو بكر رضي الله عنه أسخط على ربي عز وجل ؟ أني عن ربي راض « هذا الحديث ضعيف الاسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح انه أعم من ذلك فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ) كما قال في الآية الاخرى ( أضاعافا كثيرة وله أجر ككريم ) أي جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ) قال ابو الدحداح الانصاري يارسول الله وان الله يريد منا القرض قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرني يدك يارسول الله قال فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء ابو الدحداح فناداها بأمر الدحداح قالت لييك قال اخرجني فقد أقرضته ربي عز وجل ، وفي رواية أنها قالت له ربح يعلك يا أبا الدحداح وتقلت منه متاعا وصبيانا وان رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح - وفي لفظ - رب نخلة مدلاة عروقا در وياتوت لأبي الدحداح في الجنة »

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢) يوم يقول المنفقون والمنفقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرتكم بالله

قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها وقرأ ابن عاصم وكل بالرفع ( والله بما تعملون خبير ) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم \* يوم ترى



النور (١٤) فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (١٥)

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسمى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى [ يسمى نورهم بين أيديهم ] قال على قدر أعمالهم يمدون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في إيمانهم يتقدم مرة ويطلق مرة ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضيء نورهم من المدينة إلى عدن آيين وصنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من يضيء نورهم موضع قدميه »

وقال سفيان الثوري عن حصين عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية قال انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسياكم وحلائكم بنحوكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ [ يسمى نورهم بين أيديهم ]

وقال الضحاك ليس أحد إلا يعلى نوراً يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طاف نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طاف نور المنافقين فقالوا ربنا آتم لنا نورنا، وقال الحسن [ يسمى نورهم بين أيديهم ] يعني على الصراط

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب أخبرنا عبيد بن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف أمك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمك ؟ فقال أعرفهم بحجولون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم بآياتهم وأعرفهم بسيماهم وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم

وقوله [ وبآياتهم ] قال الضحاك أي وبآياتهم كتبهم كقال [ فمن أوتي كتابه يمينه ] وقوله

المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم يعني على الصراط بين أيديهم وبآياتهم يعني عن آياتهم قال بعضهم أراد جميع جوانبهم فعبّر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال « أن من المؤمنين من يضيء نورهم - يعني على الصراط - من المدينة إلى عدن آيين وصنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نورهم إلا موضع قدميه » وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يؤتون من نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نورهم كالنخلة



[بشراكم اليوم جنت تجري من تحتها الأنهار] أي قال لهم بشراكم اليوم جنت أي لكم البشارة بجنت تجري من تحتها الأنهار [خالدين فيها] أي ما كثير فيها أدا ذلك هو الفوز العظيم  
 وقوله [يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم] وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأحوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر  
 قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عدة بن سلمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو امامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو امامة: أيها الناس انكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى موطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يفتش الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيفتش الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من نور) فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الاعشى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظرونا نقتبس من نوركم قبل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) وهي خدعة الله

ومنها من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إيمانهم فيطفا مرة ويوقد مرة، وقال الضحاك ومقاتل يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد ان كتبهم التي أعطوها بأيامهم ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) قرأ الاعشى ومحنة أنظرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء، يعني املونا وقيل انتظرونا وقرأ الآخرون بحذف الالف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء تقول العرب أنظرني وانظرني يعني انتظرني (نقتبس من نوركم) نستضيء من نوركم وذلك ان الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم وهو قوله عز وجل (وهو خادعهم) فينصرونهم يشون إذ بعث الله عليهم ريحاً وظلمة فأتأت نور المنافقين فذلك قوله (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أئتم لنا نورنا) مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون



التي خدع بها المنافقين حيث قال (بخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن

ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا اربعة بن المنذر حدثنا يوسف ابن الحجاج عن أبي امامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا نقبض من نوركم وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ [انظرونا نقبض من نوركم] فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية العطار حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده، وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استنوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقبض من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا»

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح [باطنه فيه الرحمة] أي الجنة وما فيها [وظاهره من قبله العذاب] أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم

وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراكم من حيث جئتم «فالتمسوا نورا» فاطلبوا هناك لانفسكم نورا فانه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليقوم فيميز بينهم وبينهم المؤمنين

وهو قوله (فضرب بينهم بسور) أي سور والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره) أي خارج ذلك السور (من قبله) أي من قبل ذلك الظاهر (العذاب)



ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن السور الذي ذكره الله في القرآن (فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم

ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الاحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لأن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الحداد المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فإن الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين، وقول كعب الاحبار ان الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من امراض البلياء وترهاته، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ينادونهم (ألم نكن معكم) أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجماعات ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤذي معكم سائر الواجبات (قالوا بلى) أي فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم واربتكم وغرتكم الاماني) قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم بالذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت

وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (واربتكم) أي بالبعث بعد الموت (وغرتكم الاماني) أي قلتم سيفر لنا، وقبل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أي ما زلت في هذا حتى جاءكم الموت (وغركم بالله الغرور) أي الشيطان، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله

وهو النار (ينادونهم) روي عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن (فضرِب بينهم بسور له باب) هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم، وقال ابن شريح كان كعب الاحبار يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل (فضرِب بينهم بسور له باب) الآية (ينادونهم) يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم السور وبقوا في الظلمة (ألم نكن معكم) في الدنيا نصلي ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) بالايان والتوبة قال مقاتل وتربصتم بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك ان يموت فتستريح منه (واربتكم) شككتكم في نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الاماني) الاباطيل وما كنتم تتوكلون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعني الموت (وغركم بالله الغرور) يعني



في النار . ومعنى هذا الكلام من المؤمنين المنافقين انكم كنتم معنا أي بأبدان لانية لها ولا قلوب معها وانما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرن الله إلا قليلا

قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويفشونهم ويعاشرهم وكانوا معهم أموالا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، وبطناً النور من المنافقين اذا بلغوا السور ويمار بينهم حينئذ ، وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به منهم حيث يقول وهو أصدق القائلين ( كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر \* قالوا لم نك من المصلين \* ولم نك نطعم المسكين \* وكنا نخوض مع الخائضين \* وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ) فهذا انما خرج منهم على وجه التفرغ لهم والتوبيخ

ثم قال تعالى ( فمنا تنفعهم شفاعتنا ) كما قال ههنا [ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ] أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الارض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى ( ماواكم النار ) أي هي مصيركم واليهما متقلبكم ، وقوله تعالى ( هي مولاكم ) أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتياكم وبئس المصير

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين

أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم ففسقون (١٦) اعلوا

أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧)

يقول تعالى أما أن المؤمنین أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي تلين عند الذكر والموعظة ومما ع القرآن فتفهمه وتنفذ له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس انه قال : ان الله استبطأ قلوب المؤمنین فعابهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) الآية . رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد ابن الصباح عن حسين المروزي عن ابن المبارك به

الشیطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشیطان حتى قدفهم الله في النار ﴿ فالیوم لا یؤخذ منكم فدية ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عاصم ويعقوب تؤخذ بالنا ، وقرأ الآخرون بالياء فدية بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب ﴿ ولا من الذین كفروا ﴾ یعنی المشرکین ﴿ ماواکم النار هی مولاکم ﴾ صاحبکم وأولی بکم لما أسلفتم من الذنوب ﴿ وبئس المصیر ﴾

قوله عز وجل ﴿ ألم یأن للذین آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ قال الكلبي ومقاتل نزات في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن



ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن  
عن سعيد بن أبي هلال يعني الليثي عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال  
ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ( ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله )  
الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم في آخر الكتاب ، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن  
هارون ابن سعيد الأيلي عن ابن وهب به

وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الربعي عن أبي حازم عن عامر بن عبد الله  
ابن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن  
يعقوب عن أبي حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود ذكره . وقال سفيان الثوري عن المسعودي  
عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى [ نحن  
نقص عليك أحسن القصص ] قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى [ الله زل  
أحسن الحديث ] ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى ( ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع  
قلوبهم لذكر الله ) وقال قتادة ( ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) ذكر لنا أن شدا بن  
أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع »

وقوله تعالى ( ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ) نهى  
الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم  
الامد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبدوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء

فيها العجائب فنزلت ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) فأخبرهم ان القرآن احسن قصصا من غيره  
فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل ( الله نزل احسن الحديث  
كتابا متشابها ) فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ، ثم عادوا فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت  
هذه الآية فعلى هذا تأويل قوله ( ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) يعني في العلانية  
وباللسان وقال الآخرون نزلت في المؤمنين ، قال عبد الله بن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا  
الله بهذه الآية ( ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع ) رقيق وتلين وتخضع ( قلوبهم لذكر الله ) الأربع سنين . وقال  
ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ( ألم بأن )  
ألم يحسن ( للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) ( وما نزل ) قرأ نافع وحفص عن عاصم بنخفيف  
الزاي وقرأ الآخرون بتشديد ها ( من الحق ) وهو القرآن ( ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من  
قبل ) وهم اليهود والنصارى ( فطال عليهم الأمد ) الزمان بينهم وبين أنبيائهم ( فقست قلوبهم )  
قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواضع الله والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين ان  
يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر



المختلفة والاقوال المؤنفة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تائب قلوبهم بوعده ولا وعيده (وكثير منهم فاسقون) أي في الاعمال قلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى [ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ] أي فسدت قلوبهم فقست وصار من صحتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الاعمال التي أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الامور الاصلية والفرعية

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر عن الريم بن أبي عميلة الفزاري قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أعجب إلي منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبي ﷺ قال ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوت قلوبهم واستحلته استنهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم فقالوا تعالوا ندعوا بني اسرائيل الى كتابنا هذا فن تابنا عليه تركناه ومن كره أن يتابنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكتروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل في بني اسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه ان تابكم فسيتابكم بقية الناس وان أبي فاقبلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أنؤمن بما في كتابنا هذا؟ قال وما فيه؟ اعرضوه علي فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا أنؤمن بهذا؟ قال نعم آمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابا فتنة فافترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير ملهم ملة أصحاب ذي القرن. قال ابن مسعود وانكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم ان تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قبله أنه لما كاره

وروى ابو جعفر الطبري حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن ابراهيم قال جاء عن يس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وبه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بني اسرائيل لما طال عليهم

روي ان ابا موسى الاشعري بعث إلى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال لهم أنتم خيار اهل البصرة وقرأتم فأنلو ولا يعلم ان عليكم الامد فنفسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعبسى ومحمد عليها الصلاة والسلام (فسهرا ابن كثير والبغوي) (٣٠)



الامد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا  
نعرض نبي إسرائيل على هذا الكتاب فن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم  
كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين تندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال آمنت به وبوحي إلى القرن  
بين تندوتيه ، ومالي لا أومن بهذا الكتاب فمن خير ملهم اليوم مله صاحب القرن  
وقوله تعالى ( اعلّموا أن الله يحبي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ) فيه  
إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد  
شدتها فكما يحبي الارض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية  
يراهن القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الاصل ، فسبحان الهادي  
لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد العكال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل في جميع  
الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال

إن المصدقين والمتصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨)  
والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ، والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم  
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩)

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمتصدقات باموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة (وأقرضوا  
الله قرضا حسنا) أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا  
قال ( يضاعف لهم ) أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك  
( ولهم أجر كريم ) أي ثواب جليل حسن ومرجع صالح ومآب كريم  
وقوله تعالى ( والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ) هذا تمام الجملة وصف المؤمنين بالله  
ورسوله بأنهم صديقون ، قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى ( والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم  
الصديقون ) هذه مفصلة ( والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ) وقال ابو الضحى ( أولئك هم

قوله عز وجل ﴿ اعلّموا أن الله يحبي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ إن  
المصدقين والمتصدقات ﴿ قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي  
المؤمنين والمؤمنات ، وقرأ الآخرون بتشديدها أي المصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد  
﴿ وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ بالصدقة والزنقة في سبيل الله عز وجل ﴿ يضاعف لهم ﴾ ذلك القرض  
﴿ ولهم أجر كريم ﴾ ثواب حسن وهو الجنة ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ﴾  
والصديق الكثير الصديق ، قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية ، قال الضحاك



الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف يعني المصدقين والصديقين والشهداء كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» اتفق البخاري ومسلم على إخراجهم من حديث مالك به، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر عن المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد

ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «مؤمنو أمي شهداء» قال ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) هذا حديث غريب

وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) قال يجيئون يوم القيامة معاً كلاً صاعين وقوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين «ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطم عليهم

هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام، أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحزرة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال هي متصلة بما قبلها والواو والنسق وأراد بالشهداء المؤمنين المحلصين وقال الضحاك هم الذين سميناهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية، وقال قوم تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا فقال (والشهداء عند ربهم) والواو والنسق وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول



ربك املاعة فقال ماذا تريدون ؟ فقالوا نحب أن تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إني قد قضيت أمهم اليها لا يرجعون »

وقوله تعالى ( لهم أجرهم ونورهم ) أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك متفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الاعمال كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال . سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس اليه هكذا ، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ وقلنسوة عمر ، والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أمرف على نفسه إسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة » وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ) لما ذكر السعداء وما لهم عطف بذكر الاشقياء وبين حالهم

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطما وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ( ٢٠ ) سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ( ٢١ )

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها ( إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ) أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال تعالى ( زين للناس حب مقائل بن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله ) لهم أجرهم بما عملوا من العمل الصالح ( ونورهم ) على الصراط ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ) قوله عز وجل ( اعلموا أنما الحياة الدنيا ) أي ان الحياة الدنيا وما صلة أي ان الحياة في هذه الدار ( لعب ) باطل لا حاصل له ( ولهو ) فرح ثم ينفضي ( وزينة ) منظر تزينون به ( وتفاخر بينكم ) بفخر به بعضكم على بعض ( وتكاثر في الاموال والاولاد ) أي مباهاة بكثرة الاموال



الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك مناع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ) ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال ( كئل غيث ) وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى [ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ]

وقوله تعالى ( أعجب الكفار نباته ) أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس اليها ( ثم يهيج قتره مصفراً ثم يكون حطاماً ) أي يهيج ذلك الزرع قتره مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً أي يصير يابساً متحطماً هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تستكمل ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والانسان يكون كذلك في أول عمره ، وعنفوان شبابه غضا طرباً لين الاعطاف ، بهي المنظر ثم انه بشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، قبل الحركة بعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى : الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير )

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا واتقضاها و فراغها لا محالة وان الآخرة كاثرة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال ( وفي الآخرة عذاب شديد ) ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان

وقوله تعالى ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) أي هي متاع فان غار لمن ركن اليه فانه يفتر بها وتعجه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهي حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة قال ابن جرير حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا الحارثي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقربوا » ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم وقال الامام احمد حدثنا ابن غير ووكيم كلاهما عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « للجنة أقرب الى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك » انفراداً أخرجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الاعمش به

والاولاد ثم ضرب لها مثلاً فقال ( كئل غيث أعجب الكفار ) أي الزراع ( نباته ) ما نبت من ذلك الغيث ( ثم يهيج ) يابس ( قتره مصفراً ) بعد خضرته ونضرتة ( ثم يكون حطاماً ) يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويقى ( وفي الآخرة عذاب شديد ) قال متانل لاعداء الله ( ومغفرة من الله ورضوان ) لا وليائته واهل طاعته ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم



ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الانسان، واذا كان الامر كذلك فلماذا حثه الله تعالى على المبادرة الى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) والمراد جنس السماء والارض كما قال تعالى في الآية الاخرى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم واحسانه اليهم كما قدمنا في الصحيح أن قراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال «وما ذاك؟» قالوا يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا تنصديق، ويعتقون ولا نعتق قال «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم من بعدهم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتهم؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين» قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»

ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتب من قبل أن نبرأها  
 إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب  
 كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٢٤)

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) أى في الآفاق وفي نفوسكم (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النعمة وقال بعضهم من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والاحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب

يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه) (سابقوا) سارعوا (إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) لو وصل بعضها ببعض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله

قوله عز وجل (ما أصاب من مصيبة في الارض) يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا في أنفسكم) يعني الامراض وقلة الاولاد (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (من قبل أن



من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها فقال سبحانه الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض في كتاب الله من قبل أن يبرأ النسيمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة في الارض قال هي السنون يعني الجذب (ولا في أنفسكم) يقول الاوجاع والامراض، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر. وهذه الآية العظيمة من أدل دلائل على القدرية نفاة العلم السابق قبهم الله وقال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوه وابن طهيرة قالوا اخبرنا أبو هاني الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة»

ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوه بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبي هاني، به وزاد ابن وهب «وكان عرشه على الماء» ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله تعالى (ان ذلك على الله يسير) أي ان علمه تعالى الاشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى (ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعلمناكم بتقديم علمنا وشق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لانه لو قدر شيء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي جاءكم، وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسميكم ولا كدكم وانما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً. ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي يفعلون المنكر ويحضون الناس

نبرأها) من قبل أن تخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة وقال أبو العالية يعني النسيمة (ان ذلك على الله يسير) أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (ليكلا تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أي لا تبطروا (بما آتاكم) قرأ أبو عمرو بقصر الالف لقوله فاتكم فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون آتاكم بمد الالف أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً (والله لا يحب كل مختال) متكبر بما أوتي من الدنيا (فخور) يفخر به على الناس قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك نأسف على مفقود لا برده اليك الفوت ومالك تفرح بوجود لا يتركه في يدك الموت (الذين يبخلون) قيل هو في محل الخفض على نعمت المختال، وقيل هو رفع بالابتداء وخبره فيها بعده (ويأمرون



٢٤٥ ارسال الرسل بالبينات وانزال الحديد فيه بأس شديد (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

عليه (ومن يقول) أي عن أمر الله وطاعته (فإن الله هو الغني الحميد) كما قال موسى عليه السلام (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد)

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا

الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)  
يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات،  
(وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل المصدق (والميزان) وهو العدل قاله مجاهد وقنادة وغيرهما وهو  
الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة الخالصة للآراء السقيمة كما قال تعالى (أفمن كان على  
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسما  
رفعها ورضع الميزان) ولهذا قال في هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أي بالحق والعدل وهو اتباع  
الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جاؤا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال  
(ونمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا يقول  
المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات (الحمد لله الذي هدانا لهذا  
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد  
قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية  
وكلمها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للنوحيد وبيّنات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف  
شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهلم لمن خالف القرآن وكذب به وعانده  
وقد روى الامام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن  
عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «بعت بالسيف بين يدي

الناس بالبخل ومن يقول) أي يعرض عن الايمان (فإن الله هو الغني الحميد) قرأ أهل المدينة والشام  
فإن الله الغني باسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم

قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان)  
يعني العدل وقال مقاتل بن سليمان هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال (والسما رفعها ووضع  
الميزان) (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) روى عن ابن عمر  
برفعه إن الله أنزل أربع بركات من السماء الى الأرض: الحديد والنار والماء والملح. وقال أهل المعاني  
معنى قوله أنزلنا الحديد أنشأنا وأحدثنا أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعه بوحيه وقال  
قطرب هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا فعني الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم



الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعني السلاح كالسيوف والحرايب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أي في معاشهم كالسكة والفاص والقنود والمنشار والازميل والحرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز ومالا قوام للناس بدونه وغير ذلك

قال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكليتان والمبقة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي من نيته في حمل السلاح نصره الله ورسوله (إن الله قوي عزيز) أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه الى الناس وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم بعض

ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم ففسقون (٢٦) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم ففسقون (٢٧)

يخبر تعالى انه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالة كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليها ولهذا قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) وهو

ومثله قوله [ وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ] (فيه بأس شديد) قوة شديدة يعني السلاح للحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب (ومنافع للناس) مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاص والابرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة (وليعلم الله) أي أرسلنا رسلنا وأنزلناهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل ويعلم الله وليرى الله (من ينصره) أي دينه (ورسله بالغيب) أي قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما بحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب (إن الله قوي عزيز) قوي في أمره عزيز في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم ففسقون) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه



الكتاب الذي أوحاه الله إليه ( وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ) وهم الحواريون [ رافة ] أي رقة وهي الخشية [ ورحمة ] بالخلق، وقوله [ ورهبانية ابتدعوها ] أي ابتدعها أمة النصارى [ ما كتبناها عليهم ] أي ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم وقوله تعالى ( إلا ابتغاء رضوان الله ) فيه قولان ( أحدهما ) أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة ( والآخر ) ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله وقوله تعالى ( فأرعوها حق رعايتها ) أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين [ أحدهما ] الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله [ والثاني ] في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقر بهم إلى الله عز وجل

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا اسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال قال لي رسول الله ﷺ « يا ابن مسعود » قلت لبيك يا رسول الله قال « هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فعدت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمنشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلهجت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم )

وقد رواه ابن جرير بإسناد آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا داود بن المهبر حدثنا الصعق بن حزن حدثنا عقيل الجعدي عن أبي اسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجنا منهم ثلاث

الأنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ) على دينه ( رافة ) وهي أشد الرقة ( ورحمة ) كانوا متوادين بعضهم لبعض كما قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ ( رحما بينهم ) ( ورهبانية ابتدعوها ) من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله واتصافه بفعل مضمر كأنه قال وابتدعوا رهبانية أي جاؤا بها من قبل أنفسهم ( ما كتبناها ) أي ما فرضناها ( عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ) يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حلوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعب في الجبال ( فأرعوها حق رعايتها ) أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم



وهلاك سائرهم » وذكروا نحو ما تقدم وفيه قاتلنا الذين آمنوا منهم أجرهم ) هم الذين آمنوا بي وصدقوني ( وكثير منهم فاسقون ) وهم الذين كذبوني وخالفوني » ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فإنه أحد الوضاعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك قوي الحديث من هذا الوجه

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له أخبرنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام تركت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل فقبل ملوكهم مانجد شيئا أشد من شتم بشتموناه ولا أنهم يقرءون ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) هذه الآيات مع ما يعيونا به من أعمالنا في قرأناهم فادعهم فليقرأوا كما قرأوا وليؤمنوا كما آمنوا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليهم

وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرق البقول فلا نرد عليكم

وتركوا الترهيب وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوهم محمداً صلى الله عليه وسلم فأمنوا به وذلك قوله تعالى ﴿ قَاتِلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُكُمْ ﴾ وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي اسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ فقال ؟ يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلاك سائرهن فرقة وازت الملوك وقتلوه على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فأخذوه وقتلوه وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم [ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ] فقال النبي ﷺ ؟ « من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون » وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي « يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية ؟ » فقلت الله ورسوله أعلم قال « ظهرت



ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فانزل الله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فإرعوها حق رعايتها )

والآخرون قالوا تعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان وتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدبر من دبره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ( أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والانجيل وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم قال ( ويجعل لكم نوراً تمشون به ) القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال ( لتلا يعلم أهل الكتاب ) الذين يتشبهون بكم ( أن لا يقدر على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) هذا السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا والله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ان سهل بن أبي امامة حدثه انه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبدالعزيز وهو أمير وهو يصلي صلاة خفيفة وقعه كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال بركم الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنقلته ؟ قال انها المكتوبة وانها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ان رسول الله ﷺ كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من القد فقالوا تركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعاً فاذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار ؟ قال ما أعرفني

عليهم الجبابة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا ان ظهروا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه فقالوا تعالوا نفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمد ﷺ فنفر قوا في غير ان الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من أمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية [ ورهبانية ابتدعوها - الآية - فآتيناهم آمنوا منهم ] يعني من ثبتوا عليها ( أجرهم ) ثم قال النبي ﷺ « يا ابن أم عبد أندري ما رهبانية أمي ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلال »

وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال « ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله » وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى



بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكم البغي والحسد ان الحسد يطغى نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزني والكف والقدم والحسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه

وقال الامام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمي عن أبي اياس عن أنس بن مالك ان النبي ﷺ قال « لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن ابي عمير عن عبد الله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله »

وقال الامام أحمد حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياض يعني ابي عمير عن الحجاج بن هارون الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلاً جاءه فقال أوصني فقال سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء . عليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام ، عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء . وذكرك في الارض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتب ألا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ

من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢٩)

دين الله قليل للموكل لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه؟ فجمعهم ملوكم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانات ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم ، وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بأرض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دوراً في القياقي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما سيح فلان وتتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شرهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، وذلك قوله عز وجل [ ورهبانية ابتدعوها ] أي ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها (يعني الآخريين الذين جاؤا من بعدهم) فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ (يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (وكثير منهم فاسقون) هم الذين جاؤا من بعدهم

قال فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دبر من دبره وآمنوا به فقال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾



قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس انه حمل هذه الآية على مؤمنى أهل الكتاب وانهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أغنتها وتزوجها فله أجران» أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضعيف وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير

وقال سعيد بن جبير لما افتخر أهل الكتاب بانهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين) أي ضعفين (من رحمته) زادهم (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني هدي يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم فضيلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه، وهذه الآية كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على انه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل [يؤتكم كفلين من رحمته] قال سعيد والكفلان في الجملة مثل ذلك رواه ابن جرير وعما يؤيد هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا اسما عيسى حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال من

الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يقول [يا أيها الذين آمنوا] بموسى وعيسى [اتقوا الله] في محمد ﷺ (وآمنوا برسوله) محمد ﷺ (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل وبمحمد ﷺ والقرآن وقال قوم انقطع الكلام عند قوله (ورحمته) ثم قال [ورهبانية ابتدعوها] وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فأرعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور (فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم أهل الرأفة والرحمة (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين ابتدعوا الرهبانية وآله ذهب مجاهد، ومعنى قوله (الابتغاء رضوان الله) على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وما أمرناهم بالترهب

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ (يؤتكم كفلين) نصيبين من رحمته، وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أغنتها وتزوجها،



يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعلت اليهود، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر الى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعلت النصارى، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين علمتم، فضضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا لا قال فأنما هو فضلي أوتيه من أشاء. قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد باخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله. وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرنا الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقالوا أكلوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه، فقال أكلوا بقية عملكم فأنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل

ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده (وبجعل) الله (لكم نوراً تمشون به) قال ابن عباس ومقاتل يعني على الصراط كما قال (نورهم يسعى بين أيديهم) بروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النور هو القرآن، وقال مجاهد هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين نهتدون به (ويفر لكم والله غفور رحيم) وقيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عز وجل (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لا يمانه بكتابكم وبكتابنا، وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) فيجعل لهم الاجرين اذا آمنوا برسوله محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة ثم قال

(لئلا يعلم أهل الكتاب) قال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم فأنزل الله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) وقال مجاهد قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم ولا صلة (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)



الله) أي ليتحققوا أنهم لا يقدرّون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله (وإن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

قال ابن جرير [ثلاثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شيء من فضل الله] أي ليتحققوا أنهم لا يقدرّون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله وإن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، قال ابن جرير [ثلاثا يعلم أهل الكتاب] أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ لكي يعلم وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير

قال ابن جرير لأن العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله وآخره جمعد غير مصرح فالسابق كقوله (ما منعك الآن تسجد - وما يشعر كم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله [وحرّام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون]

(آخر تفسير سورة الحديد والله الحمد والمنة)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتبية بن سعيد ثنا الأيث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال «أما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وأما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الأجر مرتين، ففضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا، قال فإنه فضلي أعطيه من شئت»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل فقال لهم لا تفعلوا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا، واستأجر قوما آخرين بعدهم فقال أكلوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولكم الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكلوا بقية عملكم فأما بقي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»



## تفسير سورة المجادلة مدنية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان

الله سميع بصير (١)

قال الامام أحمد حدثنا معاوية ثنا الاعمش عن نعيم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي ﷺ تسكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل ( قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها ) الى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الاعمش عن نعيم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الاعمش به

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الاعمش عن نعيم بن سلمة عن عروة عن عائشة انها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو اليك قالت فابرح حتى نزل جبريل بهذه الآية [ قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها ] قالت وزوجها أوس بن الصامت

(سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

( قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها ) الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لم فأرادها فأبى فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والابلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق وأنت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تفلس شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت زوجي وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهرني وقد ندم ، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال رسول الله ﷺ « حرمت عليه » فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه



وقال ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرأة لم يكن  
إذا أخذه لمة واشتد به يظهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئا فأنزل رسول الله ﷺ تستغني في  
ذلك وتشتكي إلى الله فأُنزل الله [قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله] الآية  
وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لم فذكر مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم  
قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقبت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفت  
فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى فضت حاجتها وانصرفت فقال له  
رجل يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه؟ قال لا  
قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني  
إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي  
حاجتها هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة  
التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأما معاذة التي أنزل الله فيها (ولا تكثرها فتیانكم على  
البغاء إن أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم ولهن

أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال رسول الله ﷺ «حرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله فأتي  
ووجدني قد طالت محبتي ونفخت له بطني فقال رسول الله ﷺ «ما أراك إلا قد حرمت عليه  
ولم أوص في شأنك بشيء» فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ «حرمت  
عليه» هتفت وقالت أشكو إلى الله فأتي وشدة حالي وإن لي صبية صفاراً أن ضممتهم إلي ضاعوا، وإن  
ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأُنزل على  
لسان نبيك فرجي، وكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تفصل شق رأسه الآخر فقالت  
انظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك، أما تربن  
وجه رسول الله ﷺ قد تغير وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات فلما قضى الوحي  
قال لها «ادعي زوجك» فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ (قد سمع الله قول التي تجادلك) الآيات  
قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية  
البيت أسمع بعض كلامها ويخفي علي بعضه إذ أنزل الله (قد سمع الله) الآيات، ومعنى قوله قول التي  
تجادلك) تخاصمك وتحاورك وتراجلك في زوجها (وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما  
الكلام (إن الله سميع بصير) سميع لما تناجيه وتضمرع إليه بصير بمن يشكو إليه ثم ذم الظهار فقال (الذين



ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفوٌ غفور (٢) والذين يظهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماساً ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير (٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماساً فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينة ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤)

قال الامام احمد حدثنا سعد بن ابراهيم ويعقوب قالوا حدثنا أبي حدثنا محمد بن اسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوماً فراجعتني بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فوائبني فامتنعت منه فقلبتني بما تطلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقينته عني قالت ثم خرجت الى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو اليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله ﷺ يقول «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاها ثم مر بي عنه فقال لي «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً - ثم قرأ علي - (قد سمع الله قول الذي يجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع بسمع بصير -

يظهرون منكم من نساءهم) قرأ عاصم بظاهرون فيها بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء وقرأ ابن عاصم وأبو جعفر وحزمة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف (ما هن أمهاتهن) أي ما القواني يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات بأمهات وخفض التاء في أمهاتهن على خبر ما ومجمله نصب كقوله (ما هذا بشراً) المعنى ليس هن بأمهاتهن (إن أمهاتهن) أي ما أمهاتهن (إلا الآتي) ولهنهم وانهم يقولون منكراً من القول لا يعرف في شرع (وزوراً) كذباً (وإن الله لعفو غفور) عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي وكذلك لو قال أنت علي كبطن أمي أو كراس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضواً منها بعض آخر من أعضاء أمه فيكون ظهاراً، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهاراً وإن شبهها بعضو آخر



إلى قوله تعالى - وللكافر بن عذاب ألم - قالت فقال لي رسول الله ﷺ « مر به فليعتق رقبة »  
 قالت فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله انه لشبح  
 كبير ما به من صيام قال « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » قالت فقلت والله يا رسول الله ماذا  
 عنده قالت فقال رسول الله ﷺ « فانا سنعيه بفرق من تمر » قالت فقلت يا رسول الله وأنا سأعيه  
 بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسن فاذهي فتصدي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا » قالت ففعلت  
 ورواه ابو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده  
 خولة بنت ثعلبة ويقال ليها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه  
 الاقوال فالامر فيها قريب والله أعلم ، هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث  
 سلمة بن صخر فليس فيه انه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو  
 الصيام أو الامام ، كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن  
 عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت امرأ قدا وثيت من جماع  
 النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب  
 في ليأتي شيئا فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع قيديا هي تخدمني من الليل  
 اذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا  
 معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرى ، فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول  
 الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بذلك قال فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ  
 فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك فقال « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك قال « أنت  
 بذاك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « اعتق رقبة » قال ففعلت

لا يكون ظهاراً ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي واراد به الاعزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً  
 حتى يريده ، ولو شبهها بمجده فقال أنت علي كظهر جدتي يكون ظهاراً ، وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة  
 عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر اختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع  
 يكون ظهاراً على الأصح من الأقاويل (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة)  
 ثم حكم الظهار انه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر والكفارة نجب بالعود بعد الظهار  
 ( لقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة ) واختلف أهل العلم في العود فقال أهل الظاهر هو  
 إعادة لفظ الظهار وهو قول أبي العالية وقال ( ثم يعودون لما قالوا ) أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة  
 أخرى فان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه ، وذهب قوم إلى ان الكفارة نجب بنفس الظهار ، والمراد من  
 العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار وهو قول مجاهد والثوري وقال قوم  
 المراد من العود الوطء وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري وقالوا لا كفارة عليه ما لم يوطأها وقال



صفحة رقبتني يدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غير ما قال «فصم شهر بن متعبين» قلت  
 يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني الا في الصيام قال «فتصدق» فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا  
 هذه وحشي ما لتأعشا قال «اذهب إلى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها  
 وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائرهم عليك وعلى عيالك» قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت  
 عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي بصدقكم  
 فادفعوها إلي فدفعوها الي، وهكذا رواه ابو داود وابن ماجه واخضره الترمذي وحسنه وظاهر  
 السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كادل عليه سياق  
 تلك وهذه بعد التأمل

قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة  
 ابن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقا فأتت  
 رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أوسا ظاهر مني وإنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطنى منه  
 وقدمت صحبتته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التي  
 تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله — إلى قوله تعالى وللذين كفروا من عذاب أليم) فدعا رسول الله ﷺ  
 فقال «أقدر على رقة نعتقها» قال لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله ﷺ  
 حتى أعتق عتقه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والا كثيرون إلى ما قلناه والله  
 أعلم بقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية  
 كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قل لها أنت علي كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الاعضاء  
 قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الامة وجعل فيه كفارة ولم يجعله  
 طلاقا كما كانوا يعمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف

قوم هو العزم على الوطء وهو قول مالك واصحاب الرأي وذهب الشافعي إلى أن العود هو ان يسكنها  
 عقيب الظهار زمانا يمكنه ان يفارقها فلم يفعل فان طلقها عقيب الظهار في الحال او مات احدهما في  
 الوقت فلا كفارة عليه لان العود لقول هو المخالفة، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال يندمون  
 فيرجعون إلى الالفة ومعناه هذا، قال الفراء يقال عاد فلان لما قال اى فيما قال وفي نقض ما قال  
 يعني رجع عما قال وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك ان قصده بالظهار التحريم فاذا امسكها على النكاح  
 فقد خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر من امرأته الرجعية ينقذ ظهاره  
 ولا كفارة عليه حتى يراجعها فان راجعها صار عائدا ولزمته الكفارة قوله (فتحرير رقة) (من قبل  
 أن ينكحها) والمراد بالنكاح الجماع فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء اراد  
 التكفير بالاعتناق او بالصيام او بالاطعام، وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان



قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الاسلام أوس وكان تحتها ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فاسقط في يديه ، وقال ما أراك إلا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك قال فانطلقني إلى رسول الله ﷺ فأنت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة ما أمرنا في أمرك بشيء » فأزل الله علي رسوله ﷺ فقال « ياخويلة أبشري » قالت خيرا قال فقرأ عليها ( قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما - إلى قوله تعالى - والذين بظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير ربة من قبل أن يماس ) قالت وأي ربة لنا والله ما يجد ربة غيري قال ( فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ) قالت والله لولا انه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال ( فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ) قالت من أين ماهي إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشرط وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال « ليطعم ستين مسكينا وليراجعك » وهذا إسناد جيد قوي وسياق غريب ، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن المروزي حدثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الانصار وكان ضرير البصر فقيرا سييء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت علي كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعتة يوما في شيء فقال أنت علي كظهر أمي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عليها فقالت يا رسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له مبيء الخلق وأني نازعته في شيء فغضب فقال

الله تعالى قيد العنق والصوم بما قبل المسيس وقال في الاطعام ( فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ) ولم يقل ( من قبل أن يماس ) وعند الآخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العنق والصيام ، واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالتقبلة والتلذذ فذهب أكثرهم إلى انه لا يحرم سوى الوطء وهو قول الحسن وسفيان الثوري وأظهر قول الشافعي كان الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاع وذهب بعضهم إلى أنه يحرم جميعها لأن اسم التماس يتناول الكل ، ولوجامع المظاهر قبل التكفير ببعضه الله تعالى والكفارة في ذمته ولا يجوز أن يعود ما لم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة أخرى ، وقال بعض أهل العلم إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان ، وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق ربة مؤمنة فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فإن أفطر يوما متعمدا أو نسي النية يجب عليه استئذان الشهرين فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكينا ، وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين ( ذلكم نوعظون به ) تؤمرون به ( والله بما تعملون خبير ) فمن لم يجد ( يعني الرقة



أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال « ما أعلمك الا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قالت ودارت عائشة ففسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يا رسول الله زوجي ضربت البصر فقير سبيء الخلق وإن لي منه عيلاً أو عيلين واني نازعته في شيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلي رأسه وقال « ما أعلمك الا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قال ورأت عائشة وجه النبي ﷺ تثير فقالت لها وراك وراك فتنحت فكث رسول الله ﷺ في غشيانه ذلك ماشاء الله فلما انقطع الوحي قال يا عائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله ﷺ « إذهبي فائتيني بزواجك » فانطلقت تسعى فجات به فاذا هو كما قالت ضربت البصر فقير سبيء الخلق فقال النبي ﷺ « أستعيز بالله السميع العليم » بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها — إلى قوله — والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ) قال النبي ﷺ « أنجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها » قال لا قال « أفلا نستطيع أن نصوم شهرين متتابعين » قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يعضو بصري » قال أفستطيع أن تطعم ستين مسكيناً » قال لا الا أن تعينني قال فأعانه رسول الله ﷺ فقال « أطعم ستين مسكيناً » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهاراً ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه باخصر من هذا السياق ، وقال سعيد ابن جبير كان الابلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الابلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة رواء ابن أبي حاتم بنحوه

وقد استدل الامام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين

﴿ فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتامسا ﴾ فان كانت له رقبة الا انه محتاج الى خدمته او له من رقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وان كان محتاجاً اليه ، وقال ابو حنيفة ان كان واجداً لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجاً اليها فاما إذا كان واجداً لثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله ان يصوم فلو شرع المظاهر في صوم الشهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة ولكن لا يجب عليه استئصال الشهرين ، وعند ابى حنيفة يجب عليه استئصال الشهرين قوله عز وجل ﴿ فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ﴾ يعني المظاهر اذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكيناً

أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الحزقي أنا أبو الحسن علي بن عبيد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن محمد



أوجب الجمهور بان هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله ( من نسائهم ) على أن الأمة لاظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب

وقوله تعالى ( ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ) أي لانصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك لانصير أمه بذلك إنما أمه التي ولدته ولهذا قال تعالى [ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ] أي كلاماً فاحشاً باطلاً ( وإن الله لعفو غفور ) أي عما كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد اليه المتكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته يا أختي فقال « أختك هي ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى ( والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ) اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى ( ثم يعودون لما قالوا ) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود وحكامه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعي هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإمساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريراً لا برفعها إلا الكفارة واليه ذهب أصحابه واليث بن سعد

وقال ابن لميعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير ( ثم يعودون لما قالوا ) يعني يريدون أن يعودوا

ابن أبي حرمة عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت فظاهر منها وكان به لم نجأت إلى رسول الله ﷺ فقالت أن أوساً ظاهر مني وذكرت أن به لما قالت والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا راحة أن له في منافع فأنزل القرآن فيها فقال رسول الله ﷺ « مريه فليصدق رقية » قالت والذي بعثك بالحق ما عنده رقية ولا تمنها قال « مريه فليصم شهرين متتابعين » فقالت والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع قال « مريه فليطعم ستين مسكيناً » قالت والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه قال « مريه أن يذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمر صدقة فليأخذ صدقة عليه ثم لينصدق به على ستين مسكيناً »

وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال كنت امرأة أصيب من النساء ما لم يصب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها فانطلقت إلى رسول الله ﷺ



في الجماع الذي حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصري يعني القشيان في الفرج وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيأدون الفرج قبل أن يكفر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتأسا) والمس النكاح وكذا قال عطاء الزهري وقادة ومقاتل بن حيان وقال الزهري ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال : يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي ف وقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك برحمتك الله » قال رأيت خلخالها في ضوء القمر ، قال « فلا تقربها حتى نفعل ما أمرك الله عز وجل » وقال الترمذي حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا قال النسائي وهو أولى بالصواب

وقوله تعالى ( فتحرير رقبة ) أي فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتأسا فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالأيان وفي القتل مقيدة بالأيان فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلقه هنا على ما قيد هناك لانحداد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء وأن رسول الله ﷺ قال « اعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن اسماعيل بن مسلم ابن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتأسا » قال أعجبني ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا واسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة

وقوله تعالى ( ذلكم توعظون به ) أي تزجرون به ( والله بما تعملون خبير ) أي خبير بما يصلحكم عليهم بأحوالكم ، وقوله تعالى ( فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ) من قبل أن يتأسا ( فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ) قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في

أخبرته فقال « أنت بذلك ؟ » فقلت أنا بذلك قاله ثلاثاً قلت أنا بذلك وها أنا ذا فأمض في حكم الله فاني صابر لذلك قال « فاعتق رقبة » فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت لا والذي بهتك بالحق ما أملاك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » فقلت يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام قال « فإطعم ستين مسكيناً » قلت والذي بهتك بالحق لقد بقنا ليلتنا هذه وحشياً ما لنا عشياً ، قال « اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له أن يدفعها اليك فأطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً ثم استعن بسائرهم عليك وعلى عيالك » قال فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله ﷺ السمة والبركة أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي ، قال فدفعوها لي



قصة الذي جامع امرأته في رمضان (ذلك تؤمنوا بالله ورسوله) أي شرعنا هذا لهذا  
وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي محارمه فلا تنتهكوها، وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم)  
أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لانعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الامر  
كأزعموا بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة

إن الذين يحادون الله ورسوله كُتِبَ عليهم من قبلهم وقد أنزلنا آيات  
بينت ولكافرين عذاب مهين (٥) يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه  
والله على كل شيء شهيد (٦) ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من  
نجوى ثلثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو  
معهم أين ما كنوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم (٧)

يخبر تعالى عن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شره (كتبوا كما كتبت الذين من قبلهم) أي أهينوا  
ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم من قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أي واضحات لا يعاندها  
ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع  
الله والالتقاء له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد  
واحد (فينبئهم بما عملوا) أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أي ضبطه  
الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء ولا  
يخفى ولا ينسى شيئا، ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخفي وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته  
مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون

(ذلك تؤمنوا بالله ورسوله) لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل (وتلك حدود  
الله) يعني ما وصف من الكفارات في الظاهر (وللكافرين عذاب أليم) قال ابن عباس لمن جعده  
وكذب به (إن الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادون الله ورسوله ويشاقون وبخالفون أمرها  
(كتبوا) أذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كتبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا) اليك (آيات بينات  
وللكافرين عذاب مهين) يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله (حفظ الله أعمالهم) ونسوه  
والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون) قرأ أبو جعفر



من نجوى ثلاثة ( أي من سر ثلاثة ) الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ) أي مطلع عليهم ليسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى ( ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ) وقال تعالى [ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلناهم يكتبون ] ولهذا حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يقيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى ( ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ) قال الامام أحمد : افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم

ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول ، واذا جاءوك حيّوا كما لم يحييك به الله ، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ؟ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) يا أيها الذين آمنوا اذا تبايعتم فلا تناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذي اليه تحشرون (٩) انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٠)

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ( ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ) قال اليهود ، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة وكانوا اذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناحون بينهم حتى يفتن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فاذا رأى المؤمن ذلك خشىهم فترك طريقه عليهم ففهمهم النبي ﷺ عن النجوى فلم يفتنوا وعادوا الى النجوى فانزل الله تعالى ( ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه )

بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء. لاجل الحائل ( من نجوى ثلاثة ) أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة أي ما من شيء يتناجى به الرجل صاحبه ( الا هو رابعهم ) بالعلم وقيل منه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم بيلم نجواهم ( ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ) قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من ( ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ) ألم تر الى الذين نهوا



وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي ثناء ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كنا نقاوب رسول الله ﷺ نيت عنده بطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندبة نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى ؟ » قلنا تبنا إلى الله يا رسول الله أنا كنا في ذكر المسيح فرقامته فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

وقوله تعالى ( ويتناجون بالأنم والعدوان ومعصية الرسول ) أي يتحدثون فيما بينهم بالأنم وهو ما يختص بهم ( والعدوان ) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول وبخافته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى ( وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت فقال رسول الله ﷺ « يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش » قلت ألا نسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أو ما سمعت أقول وعليكم ؟ » فأنزل الله تعالى ( وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام والعنة وإن رسول الله ﷺ قال « انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا »

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بيما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله ﷺ « هل تدرؤن ما قال ؟ » قالوا سلم يا رسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله ﷺ « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم ؟ » قال نعم فقال رسول

عن النجوى ) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما بينهم فيسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من اخواننا الذين أخرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وكثر شكواهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله ( ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ) أي المناجاة ( ثم يعودون لما نهوا عنه ) أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ( ويتناجون ) قرأ الأعمش وحمزة وينتجون على وزن يفتعلون وقرأ الآخرون ويتناجون لقوله ( إذا تناجيتم فلا تناجوا ) بالأنم والعدوان ومعصية الرسول ) وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهى عن النجوى فمضوه ( وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك



الله ﷻ إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليكم «أي عليكم ماقلت» وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإنما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرّه فلو كان هذا نبياً حقلاً وشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفایتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير) وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحبك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) إسناد حسن ولم يخرجوه

وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحبك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله (ص) إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالأنثى والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجاهلة من كفر أهل الكتاب ومن ملأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزىكم بها

به الله (وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون) السام عليك والسام الموت وهم يوهونه أنهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول «عليكم» فإذا خرجوا قالوا في (في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول قال الله عز وجل (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب ثنا أبو أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا السام عليك قال «وعليكم» فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله ﷺ «مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» قالت أولم تسمع ما قالوا قال «أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» ثم إن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالأنثى والعدوان ومعصية الرسول) أي كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد بقوله آمنوا المنافقين أي آمنوا بلسانهم قال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالأنثى والعدوان ومعصية الرسول



قال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت أخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله يذني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس ويقره بذنوبه ويقول له أعترف ذنب كذا ؟ أعترف ذنب كذا ؟ أعترف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الا شاهد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أخرجه في الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى ( إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ( من الشيطان ) ( ليحزن الذين آمنوا ) يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وبزينه ( ليحزن الذين آمنوا ) أي ليسوا هم وليس ذلك بضارهم شيئا إلا باذن الله ومن أحسن من ذلك شيئا فليستعذ بالله ولينوكل على الله فإنه لا يضره شيء باذن الله

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك ناذ على مؤمن كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا حدثنا الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » أخرجه من حديث الأعمش

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ( ص ) « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فإن ذلك يحزنه » انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ،

﴿ وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ إنما النجوى من الشيطان ﴿ أي من تزوين الشيطان ﴾ ليحزن الذين آمنوا ﴿ أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين ﴾ وليس ﴿ التناجي ﴾ بضارهم شيئا ﴿ وقيل ليس الشيطان بضارهم شيئا ﴾ إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن إبراهيم الديلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فإن ذلك يحزنه »

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ﴾ الآية قال مقاتل



الله

وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت، والله

بما تعملون خير (١١)

يقول تعالى مؤذنا عباده المؤمنين وآمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) وقرئ: (في المجالس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» وفي الحديث الآخر «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا يفسح الله لكم)

قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله (ص) فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض

وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله (ص) يومئذ في الصفة وفي المكان الضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله (ص) فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي (ص) عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي (ص) إياهم فقام على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي (ص) فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم يا فلان واثت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والانصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ

ابن حيان كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله «قم يا فلان واثت يا فلان فأقام من المجلس بقدر نفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية، وقال الكلبي نزلت في ثابت بن قيس بن الشماس وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته وقال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، وقيل كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) أي أي توسعوا (في المجالس) قرأ الحسن وعاصم في المجالس لأن لكل جالس مجلساً معناه ليتفسيح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون في المجلس على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فافسحوا أووسعوا يقاله ففسح يفسح ففسحاً إذا أوسع في المجلس (يفسح الله لكم) يوسع الله لكم الخنة والمجالس فيها



الكرامة في وجوبهم فقال المنافقون ألسنم نزعون ان صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأينا  
 قبل عدل على هؤلاء . ان قوما أخذوا بحالهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه  
 فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال «رحم الله رجلا يفسح لآخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك مراعاة فيفسح  
 القوم لآخواتهم وولدت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم

وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله  
 ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في  
 الصحيحين من حديث نافع به

وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر عن عبد الله  
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا »  
 على شرط السنن ولم يخرجوه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة  
 عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم  
 يجلس فيه ولكن افسحوا افسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب  
 عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا افسح الله لكم » تفرد به أحمد  
 وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد اذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا  
 بحديث « قوموا الى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب ان يتمثل له الرجال  
 قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر ولحاحكم في محل ولايته كما  
 دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي ﷺ حاكيا في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين  
 « قوموا الى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذ ديدنا فانه من شعار العجم  
 وقد جاء في السنن أنه لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكان اذا جاء لا يقومون  
 له لما يعلمون من كراهته لذلك

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن  
 حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق  
 رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يارده ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لانهما كانا ممن يكتب الوحي

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الحلال ثنا ابو العباس الاصم أنا  
 الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا »  
 أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الحلال أنا ابو العباس الاصم أنا



وكان يأمرهم بذلك كما رواه مسلم من حديث الاعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول «ليني منكم أولو الاحلام والنهي» ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وما ذلك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدرين أو ليأخذ البدرين من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو لتعلموا بتقديم الافاضل الى الامام

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يسبح منا كبتنا في الصلاة ويقول «استموا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليني منكم أولو الاحلام والنهي» ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافاً وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الاعمش به وإذا كان هذا أمره في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الاولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال «أقيموا الصفوف» وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي اخوانكم، ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله» ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى الى الصف الاول انتزع منه رجلاً يكون من افتاد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث «ليني منكم أولو الاحلام والنهي» وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولتقتصر على هذا المقدار من الامثلة المتعلقة بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج الى غير هذا الموضع

وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس اذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وادبر الثالث ذاهباً فقال رسول الله ﷺ «ألا أنبئكم بخير الثلاثة أما الاول فأوى الى الله فأواه الله، وأما الثاني فاستجى فاستجى الله منه، وأما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه»

وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «لا يجلس لرجل أن يفرق بين اثنين إلا باذنهما» ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به وحسنه

الربيع أنا الشافعي أنا عبد الحميد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن النبي (ص) قال «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا» وقال أبو العالية والقرظي والحسن (تفسير ابن كثير والبغوي) (الجزء الثامن)



وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى ( إذا قيل لكم أنفسكم ) في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله ( وإذا قيل انشزوا فانشزوا ) أي انهضوا للقتال وقال قتادة ( وإذا قيل انشزوا فانشزوا ) أي إذا دعيت إلى خير فأجبوا وقال مقاتل إذا دعيت إلى الصلاة فارتفعوا إليها

وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فارادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده فربما يشق ذلك عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمرهم أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا كقوله تعالى ( وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ) وقوله تعالى ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ) أي لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحدكم منكم لآخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل بمجزيه بها في الدنيا والآخرة فان من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ) أي خير من يستحق ذلك ومن لا يستحقه

قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن ابري رجل من مواليها فقال عمر استخلفت

هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فإياي عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة ( وإذا قيل انشزوا فانشزوا ) قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان أي ارتفعوا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم، وقال عكرمة والضحاك كان رجال يتناقلون عن الصلاة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه إذا نودي للصلاة فانهضوا لها وقال مجاهد وأكثر المفسرين معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا ( يرفع الله الذين آمنوا منكم ) بظاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لآخوانهم ( والذين أوتوا العلم ) من المؤمنين بفضل علمهم ومسايقهم ( درجات ) فأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عملوا من الأكرام ( والله بما تعملون خبير ) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها للناس افهموا هذه الآية ولنرغبكم في العلم فان الله تعالى يقول ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا الامام ابو الطيب سهل بن محمد بن سليمان



عليهم مولى؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قاري، لكتاب الله عالم بالفرائض قاص، فقال عمر رضي الله عنه أما إن نبيكم ﷺ قد قال « أن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري والله الحمد والمنة

يأيها الذين آمنوا إذا نجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢) « أشفقتكم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقة فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون (١٣) »

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يسأله فيها بينه

ثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي أنا محمد بن يونس القرشي أنا عبد الله بن داود ثنا عاصم ابن رجاء بن حيوة حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال يا أبا الدرداء أتيتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله (ص) قال ما كانت لك حاجة غيره؟ قال لا قال ولا جئت لتجارة قال لا؟ قال ولا جئت إلا رغبة فيه؟ قال نعم قال فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة » وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن السموات والأرض والمحوت في الماء تدعوه، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دياراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج أنا الحسن بن يعقوب العدل ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء ثنا جعفر بن عون أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ صر بمجلسين في مسجده : أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخرون يتعلمون الفقه ويعلمونه قال « كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل ف هؤلاء أفضل وأما بعثت مهملات » ثم جلس فيهم

قوله عز وجل « يأيها الذين آمنوا إذا نجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم » أمام مناجاتكم ( صدقة ) قال ابن عباس وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد



وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكّيه وتؤهلّه لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فإن لم تجدوا) أي إلا من عجز عن ذلك لغفره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها

ثم قال تعالى (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون) فتنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل أنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم ينجاه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبي ﷺ فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت ب درهم فتسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ «ما ترى، دينار؟» قال لا يطيقون قال «نصف دينار» قال لا يطيقون قال «ما ترى؟» قال شعيرة فقال له النبي ﷺ «إنك لزهد» قال فنزلت (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي في خفف الله عن هذه الامة

الله أن يخفف على نبيه ويفطمهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ وقال مقاتل بن حيان نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثر من مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتبهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل اليسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت الرخصة

وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم ينجاه إلا علي رضي الله عنه تصدق بدینار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة

وروي عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال «أما ترى ديناراً؟» قلت لا بطيقونه قال «فكم؟» قلت حبة أو شعيرة قال «إنك لزهد» فنزلت (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي رضي الله عنه في قد خفف الله عن هذه الامة (ذلك



ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الاشجعي عن سفيان الثوري عن عمار بن المنيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الانباري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت [ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ] إلى آخرها قال لي النبي ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكرة بجماله مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى [ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ] إلى - فإن الله غفور رحيم [ كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [ فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ] وذلك ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من الناس وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا ( أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) فوسم الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى ( فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) نسختها الآية التي بعدها ( أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ) إلى آخرها

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسئلة فغضبهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك ( فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم )

وقال معمر عن قتادة [ إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ] أنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار ، وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي : ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

خير لكم يعني تقديم الصدقة على المناجاة وأظهر ، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم يعني للفقراء الذين لا يجدون ما يصدقون به معفو عنهم ( أشفقتم أن تقدموا ) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم ( بين يدي نجواكم صدقات ؟ فاذلم تفعلوا ) ما أسرنم به ( وتاب الله عليكم ) تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة ، وقيل الواو صلة مجازة فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم ونسخ الصدقة



ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يخلفون على الكذب  
وهم يعلمون (١٤) أعد الله لهم عذاباً شديداً منهم سوء ما كانوا يعملون (١٥) اتخذوا أيمانهم  
جُنةً فصدوا عن سبيل الله فلم يعبأهم عذاب مهين (١٦) لن تنفي عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله  
شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يخلفون  
لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (١٨) استحوز عليهم الشيطان فأنسهم  
ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخسرون (١٩)

يقول الله تعالى منكر على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا  
مع المؤمنين كما قال تعالى ( مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن بضل الله فلن يجد  
له سبيلاً ) وقال هنا ( ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ) يعني اليهود الذين كان  
المنافقون يماثلونهم ويوالونهم في الباطن

قوله تعالى ( ما هم منكم ولا منهم ) أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون  
ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى ( ويخلفون على الكذب وهم يعلمون ) يعني المنافقين  
يخلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي البمين القموس ولا سيما في مثل حالهم

قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ ، وقال الكلبي ما كانت إلا ساعة من نهار  
( فأقيموا الصلاة ) المفروضة ( وآتوا الزكاة ) الواجبة ( وأطيعوا الله ورسوله والله خير مما تعملون )  
ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ؟ نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم وتقلوا  
أمرار المؤمنين اليهم وأراد بقوله ( غضب الله عليهم ) اليهود ( ما هم منكم ولا منهم ) يعني المنافقين  
ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين كما قال ( مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء  
ولا إلى هؤلاء ) ( ويخلفون على الكذب وهم يعلمون )

قال السدي ومقاتل نزلت في عبادة بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثم يرفع حديثه إلى اليهود فيبشرونهم رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته اذ قال « يدخل عليكم الآن  
رجل قلبه جبار وينظر بعيني شيطان » فدخل عبادة بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي  
ﷺ « علام تشمني أنت وأصحابك ؟ » فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبهوه



الأمين عياداً بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاؤوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وفي ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الامر مطابقاً ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك

ثم قال ( أعد الله لهم عذاباً شديداً أنهم ساء ما كانوا يعملون ) أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الاليم على أعمالهم السيئة وهي موالاته الكافرين ونصحهم ومعاودة المؤمنين وغشهم

ولهذا قال تعالى ( اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ) أي أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاعتربهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ( فلهم عذاب مهين ) أي في مقابلة ما امتنعوا من الحالف باسم الله العظيم في الايمان الكاذبة الحائثة ثم قال تعالى ( لن تقني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ) أي لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ( أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )

ثم قال تعالى ( يوم يبعثهم الله جميعاً ) أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء أي يحلفون لله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الاحكام الظاهرة ولهذا قال ( ويحسبون أنهم على شيء ) أي حلفهم ذلك لربهم عز وجل

ثم قال منكراً عليهم حسبانهم ( الا أنهم هم الكاذبون ) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثني سعيد ابن جبير ان ابن عباس حدثه ان النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حججه وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا أناكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلّمه فقال « علام تشمني أنت وفلان وفلان ؟ » فردداهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا اليه قال فانزل الله عز وجل ( فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا أنهم هم الكاذبون )

فانزل الله عز وجل هذه الآيات فقال ( ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ) أنهم كذبة ( أعد الله لهم عذاباً شديداً أنهم ساء ما كانوا يعملون ) اتخذوا أيمانهم الكاذبة ( جنة ) يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ( فصدوا عن سبيل الله ) صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم ( فلهم عذاب مهين ) لن تقني عنهم ( يوم القيامة ) أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كاذبين ما كانوا مشركين ( كما يحلفون لكم ) في الدنيا ( ويحسبون أنهم على شيء ) من أيمانهم الكاذبة ( الا أنهم هم الكاذبون )



وهكذا رواه الامام احمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المنثري عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه اسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول ( ثم لم تسكن فستهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون )

ثم قال تعالى ( استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ) أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنسأهم أن يذكر الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه

ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من ثلاثة في قرية ولا بد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعني الصلاة في الجماعة

ثم قال تعالى ( أولئك حزب الشيطان ) يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ثم قال تعالى ( ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون )

إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين (٢٠) كتب الله لأغلبن أنا ورسلي

إن الله قوي عزيز (٢١) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله

ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم

الايماز وأيدهم بروح منه ويدخلهم جهنم تجري من تحتها الأنهر خلدن فيها رضي الله عنهم

ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاققون له هم في ناحية والهدى في ناحية ( أولئك في الآذلين ) أي في الآشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الآذلين في الدنيا والآخرة ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ) أي قد حكم وكتب في كتابه الاول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصر له ولكتابه ورسوله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ( وان العاقبة للمتقين ) كما قال تعالى ( إنا لننصر رسلنا

استحوذ ) غلب واستولى عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون \* ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين ( الأسفلين ) أي هم في جملة من يلحقهم اللذ في الدنيا والآخرة ( كتب الله ) قضى الله قضاء ثابتا ( لأغلبن أنا ورسلي



والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد \* يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ) وقال ههنا ( كتب الله لا غلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ) أي كتب القوي العزيز انه الغالب لا أعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبهر ان العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر \* يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ) أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الاقربين كاقال تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ) الآية وقال تعالى ( قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين )

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الامر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، وقيل في قوله تعالى ( ولو كانوا آباءهم ) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ( أو أبناءهم ) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ( أو إخوانهم ) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ [ أو عشيرتهم ] في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فآله أعلم

ان الله قوي عزيز ﴿ نظيره قوله ﴾ ( واقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ) قال الزجاج : غلبة الرسل على نوعين : من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة

قوله عز وجل ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الآية ، أخبر ان إيمان المؤمنين يفسد بمودة الكفار وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وان كان من عشيرته

قبل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وسيأتي في سورة المتعنة ان شاء الله عز وجل ، وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ( ولو كانوا آباءهم ) يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ( أو أبناءهم ) يعني أبابكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعدة الاولى فقال له رسول



(قلت) ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو النعم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم ، وقال عمر لأرى مارأى يارسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله انه ليست في قلوبنا مادة للمشركين القصة بكمالها

وقوله تعالى ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ) أي من انصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الايمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الايمان في بصيرته ، قال السدي ( كتب في قلوبهم الايمان ) جعل في قلوبهم الايمان وقال ابن عباس ( وأيدهم بروح منه ) أي قوام

وقوله تعالى ( ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى ( رضي الله عنهم ورضوا عنه ) سر يدع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم

وقوله تعالى ( أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ) أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته ، وقوله تعالى ( ألا ان حزب الله هم المفلحون ) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال ( ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون )

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سمع فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الذيل بن عباد قال : كتب أبو حازم الاعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان جاء بحريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وأنهم الخامل ذكروا الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الاخفاء الاتقياء الأبرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يدعوا ، قلوبهم مصايح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » هؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله ( أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون )

الله ﷻ « متعنا بنفسك يا أبا بكر » (أو اخوانهم) يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد (أو عشيرتهم) يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلياً وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة « أولئك كتب في قلوبهم الايمان » أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه ، وقيل حكم لهم بالايمان فذكر القلوب لأنها موضعه « وأيدهم بروح منه » قوام بنصر منه قال الحسن سمي نصره إياهم روحا لان أمرهم يحبى به ، وقال السدي



(١) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة فاني وجدت فيما أوحيتني إلي (لا تجدد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان . رواه أبو أحمد العسكري

﴿ آخر تفسير سورة المجادلة والله الحمد والمنة ﴾

## تفسير سورة الحشر وهي مدنية

(وكان ابن عباس يقول سورة بني النضير)

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال أنزلت في بني النضير ، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال سورة النضير

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يُخْرِبُونَ

يعني بالإيمان ، وقال الربيع يعني بالقرآن وحججه كما قال ( وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ) وقيل برحمة منه ، وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام ﴿ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾

﴿ سورة الحشر ﴾

( مدنية وهي أربع وعشرون آية )

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال قل سورة النضير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قال المفسرون نزلت هذه السورة



يُوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار (٢) ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يُشاق الله فإن الله شديد العقاب (٤) ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين (٥)

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده وبقده ويصلي له ويوحده كقوله تعالى [نسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا نفقهون نسيحهم]

في بني النضير وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقتلوا معه قبل ذلك رسول الله ﷺ منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله أنه النبي الذي وجدنا نفعه في التوراة لا نرد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين وتقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأثروا قريباً خالفوهم وعاهدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والسكبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي (ص) بما عاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي (ص) بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة ذكرناه في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم أطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية المسلمين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن فعصمه الله وأخبره بذلك ذكرناه في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وبأية على أثر بأية؟ قال «نعم» قالوا ذرنا نبكي شجوناً ثم ائتمر بأمرك فقال النبي ﷺ «أخرجوا من المدينة» فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه إليهم: أن لا يخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدرّبوا على الازقة وحصنوها، ثم أتاهم أجمعوا على القدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيستمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنّا كلنا فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون جبراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز



وقوله تعالى ( وهو العزيز ) أي منيع الجانب ( الحكيم ) في قدره وشرعه ، وقوله تعالى ( هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ) يعني يهود بني النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه ففقدوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له وأنزل عليهم قضاة الذي لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طعم فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن يباله وسبهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحسر والمسر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخرجون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى ( يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ) أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المحزى له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الاليم

(١) هذا إلى قوله  
الآتي - ولذكر -  
غير موجود بالنسخة  
المكية

(١) قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الاوثان من الاوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل رجعة بدر انكم أدنينم صاحبنا وانا نقسم بالله لنقاتله أو لنخرجكم أو لنسيرن اليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الاوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم ، يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وأخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود انكم أهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء . وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ اخرج الينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي بمكان النصف ويسمعوا منك فان صدقوك

من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف نخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله فأرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلاً ؟ اخرج في ثلاثين من أصحابك ؟ ونخرج اليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك فان آمنوا بك آمننا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي ( ص ) في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ( ص ) فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخبائها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ( ص ) فأقبل أخوها مريها حتى أدرك النبي ( ص ) فساره بخبرهم قبل أن يصل ( ص )



وآمنوا بك آمنوا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم « انكم والله لا تؤمنون عندي الا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الابل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى [ وما آفأ الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ] يقول بغير قتال فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الانصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة ولذا ذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير انه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وكانوا سبعين وألفت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « لقد قتلت رجلين لا دينهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لها فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم فعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيربحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جمحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال

اليهم فرجع النبي (ص) فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله (ص) بالكتائب فحصرهم احدى وعشرين ليلة فحذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله (ص) الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي (ص) فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بغير ما شاؤا من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك أعطى كل ثلاثة نفر بغيراً وسقاء ففعلوا وخرجوا من المدينة



ورسول الله ﷺ في نفر من أصابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عنه فقال رأيت داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ للحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبي بن سلول ووديع بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لنسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معهم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف باب فضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ فكانت لرسول الله خاصة بضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار الأسهل بن حنيف وأباد جانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فاعطاهما رسول الله ﷺ قال ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جعاش وأبوسعد بن وهب أسما على أموالهما فأحرزاهما. قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي» فجعل يامين بن عمرو لرجل جعل على أن يقتل عمرو بن جعاش فقتله فيما يزعمون. قال ابن اسحاق ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق بنحو ما تقدم فقله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير (من ديارهم) التي كانت يثرب

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال: من شك في أن أرض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذي أخرج

إلى الشام إلى أذرعات وأربحا. إلا أهل يثيب منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله عز وجل (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير (من ديارهم) التي كانت يثرب

قال ابن اسحاق كان أجلاء بني النضير بعد مرجع النبي (ص) من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب و بينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء فيما مضى وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال ابن عباس من شك أن



الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله ﷺ « اخرجوا » قالوا الى اين؟ قال « الى ارض الحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الاثر » ورواه ابن جرير عن بNDAR عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى ( ما ظننتم أن يخرجوا ) أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى ( وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأنهم الله من حيث لم يحتسبوا ) أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الاخرى ( قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأنهم العذاب من حيث لا يشعرون ) وقوله تعالى ( وقذف في قلوبهم الرعب ) أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه

وقوله ( يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ) قد تقدم تفسير ابن اسحاق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوطهم وابوابهم وتحملها على الابل وكذا قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فاذا ظهر على درب أو دار

الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال لهم النبي (ص) « اخرجوا » قالوا الى اين؟ قال « الى ارض الحشر » ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام ، وقال الكلبي انما قال لأول الحشر لانهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب ، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال مرة الحمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر ، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر

وقال قتادة كان هذا أول الحشر ، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا « ما ظننتم » أيها المؤمنون « أن يخرجوا » من المدينة لعزهم ومنعتهم ، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله » أي وظن أن حصونهم تمنعهم من من سلطان الله « فأنهم الله » أي أمر الله وعذابه « من حيث لم يحتسبوا » وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك « وقذف في قلوبهم الرعب » بقتل سيدهم كعب بن الأشرف « يخرجون » قرأ ابو عمرو بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناها واحد « بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » قال الزهري وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم ويحرب المؤمنون باقيها

قال ابن زيد كانوا يقلعون العمود وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى



هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أو دار تقبوا من أديارها ثم حصنوها ودبروها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار)

وقوله [ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا] أي لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وإن لهم ما أقلت الأبل من الأموال والامتنعة إلا الحلقة وهي السلاح فاجلهم رسول الله ﷺ قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم في آي من التوراة وكانوا من سبط لم يصيبهم الجلاء قبل ما سلب عليهم رسول الله ﷺ وأزل الله فيهم (سبح لله ما في السموات وما في الأرض - إلى قوله - وليخزي الفاسقين) وقال عكرمة الجلاء القتل وفي رواية عنه القناء وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الصحاح إجلالهم إلى الشام أعطى ثلاثة بغيراً وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعيد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاء والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى

وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم

الأوتاد يخرجونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبفضا قال قتادة كان المسلمون يخرجون ما يليهم من ظاهرها ويخرجها اليهود من داخلها قال ابن عباس رضي الله عنهما كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله يتقبون دورهم في أديارها فيخرجون إلى التي بعدهم فيتمحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ فذلك قوله عز وجل (يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا) فاعتظوا وانظروا فيما نزل بهم (يا أولي الأبصار) يا ذوي العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بي بني قريظة



في الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى [ ولهم في الآخرة عذاب النار ] أي حتم لازم لا بد لهم منه وقوله تعالى [ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ] أي إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزله الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد (ص) وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال [ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ] وقوله تعالى ( ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ) الذين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرني من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين اللينة ألوان التمر سوى العجوة

قال ابن جرير هو جميع النخل وتقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاقاً وإزعاجاً لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ انك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بأذنه ومشيتته وقدره ورضاه وفيه نكابة بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل وقالوا إنما هي مقام المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الأثم وإنما قطعه وتركه بأذنه ، وقد روي نحوه هذا مرفوعاً فقال النسائي أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ( ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ) قال يستعملونهم من حصونهم وأمرؤا بقطع النخل فيحلك في صدورهم فقال

( ولهم في الآخرة عذاب النار • ذلك ) الذي لحقهم ( بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب • ما قطعتم من لينة ) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فخرج أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الإصلاح أفن الإصلاح عقر الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً واختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما آفاه الله علينا ، وقال بعضهم بل نفيظهم بقطعها ، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الأثم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ( ما قطعتم من لينة ) ( أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ) أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعوه وما تركوه فبإذن الله ( وليخزي الفاسقين ) واختلفوا في اللينة فقال قوم النخل كلها



المسلمون: قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسلأن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا  
فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله (ما قطعتم من لينة)

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفیان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان  
ابن موسى عن جابر وعن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا  
النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله علينا ثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا؟ فأنزل الله عز وجل (ما قطعتم  
من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله)

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفیان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن  
رسول الله (ص) قطع نخل بني النضير وحرق، وأخرجه صاحبنا الصحيح من رواية موسى بن عقبة  
بنحوه ونلفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر  
قال حارب النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل  
من رجالهم وسبى وقسم نسائهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين الا بعضهم أطلقوا بالنبي (ص) فأمنهم  
وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود  
بالمدينة، ولما أبيض عن قتيلة عن الأبيث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) حرق نخل بني  
النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله عز وجل فيه [ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها  
فبإذن الله وليخزي الفاسقين]

وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله  
[ص] حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولما يقول حسان بن ثابت [رض]

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفیان بن الحارث يقول

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أي أرضينا نضير

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن اسحاق، وقال محمد بن اسحاق وقال كعب بن مالك يذكر

إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بفدرتها الجبور كذاك الدهر ذو صرف يدور

وذلك انهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير

لينة ما خلا العجوة وهو قول عكرمة وقادة ورواه زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان  
النبي ﷺ يقطع نخيلهم إلا العجوة وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وأحدها لون  
ولينة، وقال الزهري هي ألوان النخل كلها إلا العجوة والبرنية، وقال مجاهد وعطية هي النخل كلها



وقد أوتوا معاً فها وعلماً  
نذير صادق أدى كتاباً  
فقالوا ما أتيت بأمر صدق  
فقال لي لقد أدبت حقاً  
فمن يتبعه يهد لكل رشد  
فلما أشربوا غدرا وكفرا  
أرى الله النبي برأي صدق  
فأيده وسلطه عليهم  
فغودر منهمو كعب صريعاً  
على الكافرين ثم وقد علته  
بأمر محمد اذ دس ليلاً  
فساكره فأنزله بمكر  
فذلك بنو النضير بدار سوء  
غداة أتاهم في الزحف زهوا  
وغسان الحماة موازروه  
فقال لهم وبكم فصدوا  
فذاقوا غب أمرهم وبالا  
وأجلوا عامدين لقيتفاع  
وغودر منهم نخل ودور

قال وكان مما قيل من الاشعار في بني النضير قول ابن ابي عمير العباسي ويقال قالها قيس بن بحر بن

طريف، قال ابن هشام الاشجعي

أهلي فداء لا مري، غير هالك  
يقولون في جمر العضاء وبدلوا  
فان بك ظني صادقاً بمحمد  
يؤم بهما عمرو بن بهثة أنهم  
عليهن أبطال مساعير في الوغى  
أجلى اليهود بالحسي المزعم  
أهيضب عوداً بالودي المتكم  
يروا خيله بين الصلا ويرمرم  
عدو ومأحي صديق كعجرم  
يهزون أطراف الوشيج المقوم

من غير استثناء، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم هي لون من النخل وقال سفيان هي كرام النخل، وقال مقاتل هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف



وكل رقيق الشفرتين مهند  
فمن مبلغ عني قرشا رسالة  
بأن أخاكم فاعلمن محمدا  
فدينوا له بالحق نحسم أموركم  
نبي تلاقته من الله رحمة  
فقد كان في بدر لعمرى عبرة  
غداة أتى بالخرجيّة عامدا  
معانا بروح القدس ينكي عدوه  
رسولا من الرحمن يتلو كتابه  
أرى أمره يزداد في كل موطن  
تورث من أزمان عاد وجرهم  
فهل بعدهم في المجد من متكرم  
تليد الندى بين المحبون وزمزم  
وتسموا من الدنيا الى كل معظم  
ولا تسألوه أمر غيب مرجم  
لكم يا قريش والقلب الملم  
اليكم مطيعة للعظيم المكرم  
رسولا من الرحمن حقا بعلم  
فلهما أنار الحق لم يتلعم  
علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن اسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفأ بما ذكرناه والله الحمد والمآنة

قال ابن اسحاق كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط

رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير (٦) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتيم والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧)  
يقول تعالى مبينا ما النبي وما صفته وما حكمه قالني كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا  
إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ،  
أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من  
هبة رسول الله [ص] فأفاده الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فردّه على المسلمين في وجوه البر  
والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى [ وما أفاء الله على رسوله منهم ] أي من

وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يطمعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد في  
الأرض وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل فانما هو لمن غلب عليه فأخبر الله تعالى ان ذلك باذنه  
(وما أفاء الله على رسوله) أي رده على رسوله يقال فاء يعني أي رجع وأفأها الله (منهم) أي من



بني النضير ( فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ) يعني الابل [ ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير ] أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو الظاهر لكل شيء .  
ثم قال تعالى [ ما أقام الله على رسوله من أمل القرى ] أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فتحها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى [ والله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ] إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال النبي، ووجوهه  
قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أقام الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه احمد ههنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم الا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولاً

وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قال حدثنا بشر بن عمر الزهراني حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجتته فوجدته جالساً على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ؟ قال نعم ، فأذن لها فدخلوا ، ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي ؟ قال نعم ، فأذن لها فدخلوا فقال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارحهما ، قال مالك ابن أوس خيل إلي أنهما قدما أولئك نفر لذلك ، فقال عمر رضي الله عنه أنتد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ، ثم أقبل على علي والعباس فقال أنشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالا نعم فقال ان الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى ( وما أقام الله على رسوله منهم فما أوجفتم

يهود بني النضير ) فما أوجفتم ( أوضعتم ) عليه من خيل ولا ركاب ) يقال وجف الفرس والبعير يحفف وجيفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه اذا حمله على السير وأراد بالركاب الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا ربايعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم كافعل بفنائم خير فيبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيهم لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا



عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ( فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقي أسوة المال ، ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ، ثم أقبل على علي والعباس فقال أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالوا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم أنه لصديق بار راشد تابع للحق فوليتها أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر فوليتها ماشاء الله أن أليها فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فاستأنيها فقلت إن شئنا فأنا أدفعها إليكما على أن عليكما عهدا لله أن تليها بالذي كن رسول الله ﷺ يليها فأخذتها مني على ذلك ثم جئتني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لأأنفي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فرداها إلي أخرجه من حديث الزهري به

إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا ( ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ) فجعل أموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهيل بن حنيف والحارث بن الصمة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضيري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد بن مسعود؟ قال نعم فأدخلهم فلبث يرفا قليلا ثم جاء فقال هل لك في عباس وعلي بن مسعود؟ قال نعم فلما دخل قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال: انشدوا أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » يريد صلى الله عليه وسلم نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكم بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، قالوا نعم قال فاني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشيء لم يعطه أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب - إلى قوله - قدير ( وكانت هذه خالصة لرسول الله







وقوله تعالى ( كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ) أى جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الاغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) أى مما أمركم به فافعلوه ومما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيى وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى شيى وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول ، قال فما وجدت فيه ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) ؟ قالت بلى ، قال فأنى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح ( وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه )

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشيات والمستوشيات والتمنعصات والمتفاجات لحسن المغيرات خلق الله عز وجل

فيه قولان ( أحدهما ) هو للمقاتلة ( والثاني ) لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالامم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم إلى أنه يخمس خمسه لاهل خمس الغنيمة واربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ( ما أفتاه الله على رسوله من أهل القرى - حتى بلغ - للفقراء المهاجرين - والذين جاؤا من بعدهم ) ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة وقال ماعلى وجه الارض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيما نكم ( كيلا يكون دولة ) قرأ العامة بالياء دولة نصب أي كيلا يكون الفيء دولة وقرأ أبو جعفر تكون بالتاء دولة بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الامر إلى دولة وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ( بين الاغنياء منكم ) يعني بين الرؤساء والاقوياء معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الاغنياء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المربع ثم يصطفي منها بعد المربع ماشاء فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به

ثم قال ( وما آتاكم ) أعطاكم ( الرسول ) من الفيء والغنيمة ( فخذوه ) وما نهاكم عنه ( من الغلول وغيره ) فانتهوا ( وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي (ص) ونهى عنه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل



وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت ، قال مالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله تعالى ، فقالت اني لا اقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت بلى ، قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، قالت إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا ، قال لو كان كذا لم نجتمعنا . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفیان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فأتوا به ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه »

وقال النسائي أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله ﷺ ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) وقوله تعالى ( واتقوا الله إن الله شديد العقاب ) أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ماعنه زجره ونهاه

للفقراء المهجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصدوقون (٨) والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم (١٠)

ثنا سفیان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لعن الله الواشحات والمستوشحات والتمنصات والمتنلجات المحسنات المغيرات خلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله [ ص ] وهو في كتاب الله تعالى ؟ فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ( واتقوا الله إن الله شديد العقاب )



يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفي . انهم ( الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ) أي خرجوا من ديارهم وخافوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ( وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ) أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى مادحا للانصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى ( والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ) أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن سيئهم . رواه البخاري ههنا أيضا .

قوله تعالى ( يحبون من هاجر اليهم ) أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال « لا ما أنتم عليهم ودعوتهم الله لهم » لم أره في السكتب من هذا الوجه

ثم بين من له الحق في الفي . فقال ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا ) رزقا ( من الله ورضوانا ) أي خرجوا الى دار الهجرة طلبا لرضاء الله عز وجل ( وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ) في إيمانهم قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحاجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها أخبرنا محمد بن الحسن المروزي انا ابو العباس الطحان انا ابو احمد بن محمد بن قيس بن سليمان انا علي بن عبد العزيز المكي انا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي اسحاق عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي (ص) أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين قال ابو عبيد هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي [ص] قال « أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة »

قوله عز وجل ( والذين تبوءوا الدار والايمان ) وهم الانصار تبوءوا الدار توطنوا الدار أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والايمان ( من قبلهم ) أي أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي [ص] بسنتين ونظم الآية والذين تبوءوا الدار من قبلهم أي من قبل



وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي ( ص ) الانصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لآخواننا من المهاجرين مثلها قال « املا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيدكم آثرة » تفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال البخاري حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قالت الانصار اقسم بيننا وبين آخواننا النخيل قال لا فقالوا أنكفونا المؤنة ونشر ككم في التمرة؟ قالوا سمعنا وأطعنا تفرد به دون مسلم ( ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ) أي ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة . قال الحسن البصري ( ولا يجدون في صدورهم حاجة ) يعني الحسد ( مما أوتوا ) قال قتادة يعني فيما أعطى آخوانهم وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوساً مع رسول الله ( ص ) فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الفد قال رسول الله ( ص ) مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله [ ص ] مثل مقائله أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاولى ، فلما قام رسول الله [ ص ] تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت أبي فأقسمت اني لا أدخل عليه ثلاثاً فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فقلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير انه اذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول الا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت انت الثلاث المرات فأردت أن آوي اليك لا نظراً ما عملك فأقندي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال ما هو الا ما رأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق ، ورواه النسائي في اليوم واليلة عن سويد بن غفير عن ابن المبارك عن معمر به وهذا اسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس قاله أعلم

قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان تبوء . ( يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ) حزاة وغيظاً وحسداً ( مما أوتوا ) أي مما أعطى المهاجرون دونهم من الفيء . وذلك أن رسول الله [ ص ] قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منها الانصار قطابت أنفس الانصار



وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى ( ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ) يعني مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الانصار فعانهم الله في ذلك فقال تعالى ( وما آفأ الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ) قال وقال رسول الله ﷺ « ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ « أو غير ذلك » قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال « هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يا رسول الله وقوله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) يعني حاجة أي يقدمون المحاريج على حاجة أنفسهم ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى ( ويطعمون الطعام على حبه ) وقوله ( وآتى المال على حبه ) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ « ما أبقيت لاهلك ؟ » فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون الى الماء فرداه الآخر الى الثالث فما وصل الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب به أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم

وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير حدثنا ابو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا ابو حازم الاشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله [ص] فقال يا رسول الله أصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي [ص] « ألا رجل يضيف هذا القيلة رحمة الله » فقام رجل

بذلك ( ويؤثرون على أنفسهم ) أي يؤثرون اخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنزلهم على أنفسهم ( ولو كان بهم خصاصة ) فاقة وحاجة الى ما يؤثرون ، وذلك انهم قاسموهم ديارهم وأموالهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث الى نسائه هل عندكن من شيء فقلن ما معنا الا الماء فقال رسول الله ﷺ « من يضم - أب - يضيف هذا » فقال رجل من الانصار أنا يا رسول الله فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال هي طعامك وأصحبى مراحلك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيات طعامها وأصبحت مراحها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح مراحها فاطفأته فجعل يريانه انها يا كلان فبانا طاويين فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ



من الانصار فقال أنا يا رسول الله فذهب الى أهله فقال لا امرأته هذا ضيف رسول الله [ص] لا تدخره شيئا فقالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فومئهم وتعالى فاطمي السراج ونطوي بطوننا اليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله [ص] فقال « لقد عجب الله عز وجل - أو - ضحك من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بابي طلحة رضي الله عنه

وقوله تعالى ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله [ص] قال « اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ، هلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعني عن داود بن قيس به

وقال الاعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الاقر عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله [ص] « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، واياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم

فقال « ضحك الله القليلة - أو عجب - من فعالكم » فأنزل الله عز وجل ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحكم بن نافع أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال « لا » فقالوا تكفونا المؤنة ونشركم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان بن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم الانصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا ان تقطع لاهواننا من المهاجرين مثلها قال « ألا فاصبروا حتى تلقوني على الخوض فانه سيصيبكم أثره بعدي »

وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) يوم النضير للانصار « إن شئتم قسم المهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة » فقالت الانصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) والشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل ، وفرق العلماء بين الشح والبخل



بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا « ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به

وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله [ص] يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب أبدا »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع ابن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلك فقال له عبد الله وما ذاك ؟ قال سمعت الله يقول ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبؤس الشيء البخل . وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول : اللهم قمي شح نفسي . لا يزيد على ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي لم امرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن اسحاق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي

روى أن رجلا قال لعبد الله بن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلك قال وما ذاك ؟ قال أسمع الله يقول [ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ] وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبؤس الشيء البخل . وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطعم عين الرجل إلى ما ليس له ، وقال سعيد بن جبير الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقبل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم ، قال ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئا من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه

أخبرنا الإمام محمد بن أبي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو سعد خلف بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي نزار ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حراز القهنتري ثنا أبو عبد الله محمد بن اسحاق السعدي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا القعنبي ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالوا أنا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن



٢٩٦ القسم الثالث ممن يستحق من مال الفيء والاستغفار للصحابة والنهي عن سبهم (تفسير ابن كثير والبغوي

حدثنا اسماعيل بن عباد حدثنا محمد بن جارية الانصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله [ص] قال « بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النأبة » وقوله تعالى ( والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقرائهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة ( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لا ثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة ( والذين جاءوا من بعدهم يقولون أي قائلين ) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا ) أي بغضا وحسداً ( للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم [ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت: أمرنا أن نستغفروا لهم فسيبهم ثم قرأت هذه الآية [ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان ] الآية وقال اسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد [ص] فسيبتموهم سمعت نبيكم [ص] يقول « لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها » رواد البغوي وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال

ابي صالح عن صفوان بن يزيد عن القعقاع هو بن الجلاج عن ابي هريرة انه سمع رسول الله (ص) يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمن في قلب عبد أبداً » ( والذين جاءوا من بعدهم ) يعني التابعين وهم الذين يحيثون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة . ثم ذكر انهم يدعون لانفسهم ولمن سبقهم بالآيمان والمغفرة فقال ( يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا ) غشاً وحسداً وبغضاً ( للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) فكل من كان في قلبه غل على احد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناهم الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل والمهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من اقسام المؤمنين قال ابن ابي لبى الناس على ثلاثة منازل المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمن والذين جاءوا من بعدهم فاجهد ان لا تكون خارجاً من هذه المنازل



عمر رضي الله عنه [ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ] قال الزهري قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله [ ص ] خاصة وقرى عربية وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم - والذين جاؤا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق قال أيوب أو قال حظ إلا بعض من تملكون من أرقامكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع

وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب [ إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ - عليهم حكيم ] ثم قال هذه لهؤلاء . ثم قرأ ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى ) الآية ثم قال هذه لهؤلاء . ثم قرأ ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى - حتى بلغ - الفقراء - والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم - والذين جاؤا من بعدهم ) ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال لئن عشت لياتين الراعي وهو بسر د حير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن عبد الله ثنا بن عمير ثنا أبي عن اسماعيل بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسينموم سمعت نبيكم ﷺ يقول « لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها » وقال مالك بن مغول قال عامر بن شرحبيل الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حوارى عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد ﷺ أسروا بالاستغفار لهم فسينمومهم فليسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة ( كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ) بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدخالهم حجبهم أعادنا الله وإياكم من الأهواء المضلة ، قال مالك بن أنس من يبغيض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في المسلمين ، ثم تلا ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ) حتى أتى على هذه الآية ( للفقراء المهاجرين - والذين تبوءوا الدار والايمان - والذين جاؤا من بعدهم - إلى قوله - رؤف رحيم )



٩٤٨ وعد المناقين بنصر اخوانهم الكافرين واخبار الله بكذبهم ( تفسير ابن كثير والبغوي )

ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لـاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتب لئن أخرجتم  
لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتكم لننصرنكم والله يشهد لـانهم  
لكذّبون (١١) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم  
ليولن الأذبرنم لا ينصرون (١٢) لآتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم  
لا يفقهون (١٣) لا يقتلونكم جميعا الا في قرى مُحَصَّنَة أو من وراء جُدُر بأسهم بينهم شديد  
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا  
ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب أليم (١٥) كمثل الشيطان اذ قال للانسن اكفر فلما كفر قال  
إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما أنهم في النار خالدين  
فيها وذلك جزاء الظالمين (١٧)

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا الى يهود بني النضير بعدونهم  
النصر من أنفسهم فقال تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لـاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب  
لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم [ قال الله تعالى ] والله  
يشهد [ انهم لكاذبون ] أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن ينتهم أن لا يفوا لهم به  
وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى [ ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ] أي لا يقاؤون معهم  
[ ولئن نصروهم ] أي قاتلوا معهم ليولن الأذبارنم لا ينصرون هذه بشارة مستقلة بنفسها

قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين نافقوا ﴾ أي أظهروا خلاف ما أضمرنا يعني عبد الله بن أبي بن  
ساول وأصحابه ﴿ يقولون لـاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وهم اليهود من بني قريظة والنضير  
جعل المنافقين اخوانهم في الدين لانهم كفار مثلهم ﴿ لئن أخرجتم ﴾ من المدينة ﴿ لنخرجن معكم ولا  
نطيع فيكم أحداً ﴾ بـأسأنا خذلانكم وخلافكم ﴿ أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم ﴾ يعني  
المنافقين ﴿ لكاذبون ﴾ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك  
فانهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم

قوله تعالى ﴿ ولئن نصروهم ليولن الأذبار ﴾ أي لو قدر وجود نصرهم ، قال الزجاج معناه لو  
قصدا نصر اليهود لولوا الأذبار مهزمين ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا



ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خهفهم من الله كره له تعالى (إذا فربق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون). ثم قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء حدر) يعني أنهم من جنبهم وهلعهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الاسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء حدر محاصرين فيقاتلون الدافع عنهم ضروة

ثم قال تعالى (بأسهم بينهم شديد) أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضهم بأس بعض) ولهذا قال تعالى (نحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال ابراهيم النخعي يعني أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كمثل ما أصاب كفار قرش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن اسحاق وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أحلام قل هذا

وقوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) يعني مثل

أنهم ناصرهم (لأنتم) بامشعر المسلمين (أشد رهبة في صدورهم من الله) أي رهونكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أي ذلك الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) عظمة الله (لا يقاتلونكم) يعني اليهود (جميعا إلا في قرى محصنة) أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والحدود وهو قوله (أو من وراء حدر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار على الواحد، وقرأ الآخرون جدر بضم الجيم والدال على الجمع (بأسهم بينهم شديد) أي بعضهم فقط على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة، وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا لكم فهم أحسن خلق الله (نحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) متفرقة مختلفة

قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهاداتهم مختلفة أفعالهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق، وقال مجاهد أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون كمثل الذين من قبلهم) يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم (قريبا) يعني مشركي مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعني القتل بيد، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قاله مجاهد

وقال ابن عباس (كمثل الذين من قبلهم) يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم)

ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا في تخادعهم فقال (كمثل الشيطان) أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان (إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك)



هؤلاء اليهم في اغترارهم بالذين وعدوه النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لتنصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار واقتال فخلوا عنهم واسلمهم لملكهم في هذا كمثل الشيطان اذ سول للانسان والعياذ بالله الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال [إني أخاف الله رب العالمين]

وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد نبي امراة هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكاة لها، فقال ابن جرير حدثنا غلام بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت عبد الله بن نبيك قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول إن راهبا تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراد أن يعياه فعياه فعبد إلى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال

وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد لله تعالى في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وإن ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا اجد أحدا منكم يكفني أمر برصيصا؟ فقال الابطس وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ وجاءه في صدره جبرائيل ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند، فقال الابطس لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناده فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الابطس أنه لا يجبه، أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطعم من صومعته فرأى الابطس قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه، فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك؟ قال حاجتي اني أحببت أن اكون معك فأثاد بك وأقتبس من عملك وعلمك ونجتم مع على العبادة فتدعوني وأدعك، قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما ادعوا للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الابطس وأقبل الابطس يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما بعدها فلما انفتل رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك؟ قال حاجتي أن تأذن لي فأرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام معه حولا يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوما ولا يفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوما مرة ورمى بمدالي الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأهجه شأن الابطس فلما حال الحول قال الابطس لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحباً غيرك ظننت انك أشد اجتهاداً مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابطس إن عندي دعوات أعلمكمها تدعوا بهن فمن خير مما أنت فيه بشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتي والمجنون، قال برصيصا اني أكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا وإني أخاف ان علم به الناس شغلوني عن العبادة



لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها اليه فداواها وكانت عنده فيينا هو يوما عندها اذ اعجبته فانها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فقال الشيطان لراهب انا صاحبك انك اعيتني انا صنعت هذا بك فأطعني انجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال اني بري منك اني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله [ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني أخاف الله رب العالمين ]

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة بن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية [ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني أخاف الله رب العالمين ] قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأتي بالليل الى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت

فلما نزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلك الرجل قال فانطلق الابيض فعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا فأعالجه ؟ قالوا نعم فقال لهم اني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الاعظم الذي اذا دعا به أجاب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل بين ثلاثة اخوة وكان أبوهم ملكهم فأتوا واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة متطيب فقال لهم أتريدون أن أعالجهما ؟ قالوا نعم قال إن الذي عرض لما مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تلعوا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة ، قالوا ومن هو ؟ قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيئنا الى هذا وهو اعظم شأننا من ذلك ؟ قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جانب صومعته حتى تشر فوا عليه فان قبلها وإلا فضعوها في صومعته ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم به الابيض ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انقضى برصيصا من صلواته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال ف وقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم ثم أقبل في صلواته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلواته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم أقبل على صلواته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال واقعا فاستنوب بعد ذلك والله تعالى غفار للذنوب والخطايا فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد اقتضت فهل لك ان تقتلها وتنوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فندفنها إلى جانب



فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق بسم قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان آخرتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر باختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصا عليكم أم أترك؟ قالوا لا بل قصها علينا قال قصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، قالوا فوالله ما هذا الا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقبه الشيطان فقال اني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فأسجد لي سجدة واحدة وأنجيئك مما أوقعتك فيه قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل ، وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريج اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت ان حملها منه

الجيل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف ازارها فبقي طرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها وبوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا؟ قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطلقه فصدموه وانصرفوا ، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى اكبرهم في منامه فقال وبحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه خاف منكم فقتلها ودفنها في موضع كذا وكذا ، فقال الاخ في نفسه هذا حلم وهو من عمل الشيطان فان برصيصا خير وبريء من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر فأنطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر فلم يخبر به أحدا فأنطلق الى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لأكويه والله لقد رأيت كذا وكذا وقال الاوسط وأنا والله قد رأيت مثله وقال الاكبر وأنا رأيت مثله ، فانطلقوا الى برصيصا وقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا؟ قال اليس قد أعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني؟ فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه فانصرفوا ، فجاءهم الشيطان فقال وبحك انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوا في النوم فمشوا في موابهم وغلماهم ومعهم الفؤوس والمساحي فقدموا صومعته وأنزلوه ثم كنفوه فانطلقوا به الى الملك فأقر على نفسه ، وذلك ان الشيطان أتاه فقال قتلها ثم تكابر مجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أعترفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتلك الدعوات فاستجيب لك وبحك ما اتيت الله في أمانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبدت بني اسرائيل أما استحييت؟ فلم يزل يعيره ، ثم قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناصر؟ فان مات على هذه الحالة لم يقلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع؟ قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيئك



ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم؟ قالوا يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ثم قال يا غلام من أبوك ؟ قال أبي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ؟ فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى ( فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ) أي فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ( وذلك جزاء الظالمين ) أي جزاء كل ظالم

مما أنت فيه فأخذ بأعينهم فأخرجك من مكانك قال وما هي ؟ قال تسجد لي قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك أفعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي كنت أردت منك صارت عاقبة امرك إلى ان كفرت بربك أني بريء منك ﴿ أني أخاف الله رب العالمين ﴾

يقول الله تعالى ﴿ فكان عاقبتهما ﴾ يعني الشيطان وذلك الانسان ﴿ أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمناقين من أهل المدينة وذلك ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير عن المدينة فدرس المناقون فيهم وقالوا لا نجيبوا محمدا إلى مادعائكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودرّبوا على حصونهم ونحصنوا في ديارهم وجاء نصر المناقين حتى جاءهم النبي (ص) فناصروه الحرب يرجون نصر المناقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار

قال ابن عباس (رض) فكان الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يعيشون الا بالتقية والكتان وطعم أهل الفسوق والفجور في الاحبار ومروهم بالبهتان والقبیح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس. وكانت قصة جريج على ما أخبرنا اماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا يزيد بن هارون أنا جرير بن حازم ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف » وكان جريج رجلا عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أي وصلائي فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال أي رب أي وصلائي فأقبل على صلاته ، فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بني يثمل يحسنها فقالت ان شئتم لا فتنه لكم ، قال فتعرضت له فلم ياتفت اليها ، فأت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت ، فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستمزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم ؟ قالوا زينت بهذه



يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خير بما

تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩)

لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠)

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله [ص] في صدر النهار قال فجاء قوم حفاة عراة محتاجي النمار أو العباء متلذي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله [ص] لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا وقرأ الآية التي في الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع غره - حتى قال ولو بشق تمره قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كرمين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله [ص] يتهلل وجهه كأنه مذهبه فقال رسول الله [ص] « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »

البغية فولدت منك فقال ابن الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف أتى الى الصبي وطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك؟ قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج بقلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا ، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا . وبينما صبي يرضع من امه فر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة ، فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه ونظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ، ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأنني انظر الى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يحصها ، قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زينت وسرقت وهي تقول حسبني الله ونعم الوكيل ، فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلاً فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلاً ، فهناك تراجع الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زينت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلاً فقلت اللهم اجعلني مثلاً ، قال ان ذاك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زينت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلاً »

قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ) يعني يوم القيامة أي



شيء « انفرد باخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى ( ولتنظر نفس ما قدمت لقد ) أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا أخرجتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ( واتقوا الله ) تأكيد ثان ( إن الله خير بما تعملون ) أي اعملوا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير

وقوله تعالى ( ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ) أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى ( أولئك هم الفاسقون ) أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخامسون يوم معادهم كما قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك الخامسون )

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا المفيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل ، أن قوما جعلوا أجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم ( ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ) أين من تعرفون من أخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالسقوة والسعادة ؟ أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تقتني عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى [ أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ] لا خير في قول لا يراد به وجه الله ، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم . هذا اسناد جيد ورجاله كلهم ثقة ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا اثبات غير أن أبا داود والبيهقي قد حكما بأن شيوخ جرير كلهم ثقة وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه آخر والله أعلم

وقوله تعالى ( لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ) أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى [ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا

لينظر أحدكم أي شيء الذي قدم لنفسه عملا صالحا ينجي به أم سيئنا يوبقه ؟ ( واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ) ولا تكونوا كالذين نسوا الله ( تركوا أمر الله ) فأنساهم أنفسهم ( أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ) أولئك هم الفاسقون \* لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (



الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون [ وقال تعالى ] وما يستوي الا عبي والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسي . قليلا ما تذكرون ( وقال تعالى ) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ [ في آيات أخر دلالات على أن الله تعالى يكرم الابرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا [ أصحاب الجنة هم الفائزون ] أي الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال

نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذي لا إله الا هو علم الغيب والشهادة هو

الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز

الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق الباري المصور له الاسماء الحسنى

يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٢٤)

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره وانه ينبغي أن تخشع له القلوب وتصدع عند مجاءه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الاكيد ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله ) أي فاذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه خشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى ( وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ) قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً ) إلى آخرها يقول لو اني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس اذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى ( وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ) وكذا قال قتادة وابن جرير

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب تجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده ، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إبراده فأنتم أحق أن تشتاقوا

قوله عز وجل ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ قيل لو جعل في الجبل تمييز وأنزل الله القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مم صلابته ورزاقته حذراً من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن ، والكافر يعرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها بصفه بقساوة القلب ﴿ وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ هو الله الذي لا إله الا هو عالم



إلى رسول الله ﷺ من الجذع ، وهكذا هذه الآية الكريمة اذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لحشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى [ولو ان قرآنا سبرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى] الآية وقد تقدم ان معنى ذلك أي لكان هذا القرآن ، وقد قال تعالى [ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ] ثم قال تعالى ( هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ) أخبر تعالى انه الذي لا إله الا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وانه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من جليل وحقيق وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات وقوله تعالى ( هو الرحمن الرحيم ) قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن اعادته وهنا والمراد انه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى [ ورحمتي وسعت كل شيء ] وقال تعالى [ كتب ربكم على نفسه الرحمة ] وقال تعالى [ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ] ثم قال تعالى ( هو الله الذي لا إله الا هو الملك ) أي المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة

وقوله تعالى ( القدوس ) قال وهب بن منبه أي الطاهر ، وقال مجاهد وقنادة أي المبارك ، وقال ابن جريج تقدسه الملائكة ( السلام ) أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ، وقوله تعالى ( المؤمن ) قال الضحاك عن ابن عباس أي آمن خلقه من أن يظلمهم ، وقال قتادة آمن بقوله انه حق ، وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به

وقوله تعالى ( المهيمن ) قال ابن عباس وغير واحد أي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله [ والله على كل شيء شهيد ] وقوله [ ثم الله شهيد على ما يفعلون ] وقوله [ أفن هو قائم

الغيب والشهادة ] الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة ما شاهدوه وعلموه ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس ﴿ الطاهر ﴾ من كل عيب المنزه عما لا يليق به ﴿ السلام ﴾ الذي سلم من النقائص ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس هو الذي آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وهو من الامان الذي هو ضد التخويف كما قال ( وآمنهم من خوف ) وقبل معناه المصدق لرسوله باظهار المعجزات والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وللكافرين بما أوعدهم من العقاب ﴿ المهيمن ﴾ الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقنادة والسدي ومقاتل يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيباً على الشيء وقيل هو في الاصل مؤيماً قلبت الهمزة هاء كقولهم أرقق وهرقت ومعناه المؤمن وقال الحسن الامين وقال الخليل هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد المصدق وقال سعيد بن المسيب والضحاك القاضي وقال ابن كيسان هو اسم من أسماء الله



على كل نفس بما كسبت [ الآية ، وقوله تعالى ( العزيز ) أي الذي قد عز كل شيء فقهراً وغلب الأشياء فلا ينال جنابة لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى ( الجبار المتكبر ) أي الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منها عذبت » وقال قتادة الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء ، وقال ابن جرير الجبار المصلح أمور خلقه المنتصرف فيهم بما فيه صلاحهم ، وقال قتادة المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى ( سبحان الله عما يشركون )

وقوله تعالى ( هو الله الخالق البارئ المصور ) الخالق التقدير والبرء هو الغري وهو التنفيذ وبارز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل ، قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد فالخالق التقدير والغري التنفيذ ومنه يقال قدر الجلاد ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريد ، وقوله تعالى ( الخالق البارئ المصور ) أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى [ في أي صورة ما شاء ركبك ] ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد بإيجاده على الصفة التي يريد ، وقوله تعالى ( له الاسماء الحسنى ) قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف

ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « أن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله « وهو وتر يحب الوتر » واللفظ لترمذي « هو الله »

تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله « العزيز الجبار » قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات الله وقيل هو من الجبر وهو من الإصلاح يقال جبرت الكسر والامر وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر ، فهو يعني الفقير ويصلح الكبير

وقال السدي ومقاتل هو الذي يقهر الناس ويجهزهم على ما أراد وسأل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز « المتكبر » الذي تكبر عن كل سوء وقيل المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل ذو الكبرياء وهو الملك « سبحان الله عما يشركون » هو الله الخالق « المقدر والمقلب » بالتدبير إلى غيره كما قال ( يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ) « البارئ » المنشيء للآعيان من العدم إلى الوجود « المصور » الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض يقال هذه صورة الامر أي مثاله فأولا يكون خلقاً ثم برأ ثم تصوراً « له الاسماء الحسنى » يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم



الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور ، وسياق ابن ماجه بزيادة نقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن أعادته هنا

وقوله تعالى ( يسبح له مافي السموات والارض ) كقوله تعالى [ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ] وقوله تعالى ( وهو العزيز ) أي فلا يرام جنابا (الحكيم) في شرعه وقدره

وقد قال الامام أحمد حدثنا ابو أحمد الزبيري حدثنا خالد يعني ابن طهمان ابو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري به ، وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

( آخر تفسير سورة الحشر والله الحمد والمنة )

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شية ثنا ابن وهب ثنا أحمد بن أبي شريح وأحمد بن منصور الرمادي قالا أنا أبو أحمد الزبيري ثنا خالد بن طهمان حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار ان رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة » ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الاسناد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه



## تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما تقضى أهلها العهد فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزومهم وقال « اللهم عم عليهم خبرنا » فعند حاطب هذا فكتب كتابا وبهشه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزومهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فاطلم الله تعالى على ذلك رسوله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته

(سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) الآية أخبرني عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عن سفیان عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد الله بن أبي رافع يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » قال فانطلقنا تنعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجني الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال فاخرجته من



قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمر أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة ان عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا فعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجني الكتاب ، قالت مامعي كتاب ، قلنا لنخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « يا حاطب ما هذا ؟ » قال لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ « انه صدقكم » فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قد شهد بدرأ وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخاري في كتاب المغازي فانزل الله السورة ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ) وقال في كتاب التفسير قال عمرو وزلت فيه ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ) وقال لأدري الآية في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال يعني علي ابن المديني قيل لسفيان في هذا نزلت ( لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ) فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو وماترك منه حرفاً ولا أرى أحداً حفظه غيري وقد أخرجه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن

من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقاً في قريش بقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأمواهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « اما انه قد صدقكم » فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال « انه قد شهد بدرأ وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرأ فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله تعالى هذه السورة ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة - الى قوله - سواء السبيل )

قال المفسرون نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أنت المدينة من مكة ورسول الله ﷺ بتجهز لفتح مكة



السلمي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبامرئد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب؟ فقلت مامعي كتاب فأمنحناها فالتمسنا فلم نركنا فأبانا فقلنا ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأته أهدت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا ضرب عنقه فقال النبي ﷺ «ما لك على ما صنعت؟» قال حاطب والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشرين من يدفع الله به عن أهله وماله فقال «صدق لا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا ضرب عنقه فقال «أليس من أهل بدر؟» فقال - لعل الله اطلع إلي أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو - قد غفرت لكم «فدمعت عيناهم وقال الله ورسوله أعلم هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر

وقد روي من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني حدثنا عبيد ابن يعيش حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الحلبي عن أبي اسحاق البختري الطائي عن الحارث عن علي قال لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسرا إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة وأفشى في الناس أنه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فأخبر رسول الله ﷺ قال فبعثني رسول الله ﷺ وأبامرئد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال «اثنوا روضة خاخ فإنكم ستلقون

فقال لها رسول الله ﷺ «أسلمة جئت؟» قالت لا قال «أما جرة جئت؟» قالت لا قال «فاجا بك؟» قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها «وأين أنت من شبان مكة؟» وكانت مغنية نائمة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأناها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاه عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل إلى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبامرئد فرساناً فقال لهم «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين



بها امرأة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها ها أي الكتاب فقالت مامعي كتاب فوضعا متاعها وقتشناها فلم نجد في متاعها فقال أبو مرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لتعرينك ، فقالت أما تتقون الله ؟ ألسن مسلمين ؟ فقلنا لتخرجنه أو لتعرينك قال عمرو بن مرة فاخرجته من حجزنها وقال حبيب بن أبي ثابت أخرجته من قبلها فأثينا به رسول الله ﷺ فاذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة فقام عمر فقال يا رسول الله خان الله ورسوله فأنذني لي فلا ضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « ففعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم إنني بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « يا حاطب ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال يا رسول الله إنني كنت امرأة ملصقا في قريش وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من بمنع أهله وماله فكنت بذلك اليهم ووالله يا رسول الله إنني لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبني

فخذوه منها وخلصوا سبيلها وإن لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها » قال فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قاله رسول الله ﷺ فقالوا لها أين الكتاب ؟ خلفت بالله مامعها كتاب فبعثوها وقتسوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فموا بالرجوع فقال علي (رض) والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه فقال اخرجني الكتاب والا لأجردنك ولأضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأتها في شعرها فخلصوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأنه فقال « هل تعرف الكتاب ؟ » قال نعم قال « فما حملك على ما صنعت ؟ » فقال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من بمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم بدا وقد علمت



عبد المطلب وجعل لها جملاً على أن تبلغه لقريش فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به  
وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنم حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام  
فقال «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قریش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم» فخرجا  
حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدوا شيئاً فقال لها  
علي بن أبي طالب إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولنخرجن لنا هذا الكتاب أو  
لنكشفنك فلما رأت الجدة منه قالت أعرض فأعرض فخلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها  
فدفعته إليه فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال «يا حاطب ما حالك على  
هذا؟» فقال يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأة  
ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن  
الخطاب يا رسول الله دعني فلا ضرب عنقه فإن الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ «وما يدريك  
يا عمر؟» لعل الله قد اطعم إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم «فأنزل الله  
عز وجل في حاطب (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة  
— إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما  
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)  
إلى آخر القصة، وروى معمر عن الزهري عن عروة نحوه ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه  
الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم وأنه أعطاه عشرة دراهم  
وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها  
بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم، وعن السدي قريباً منه وهكذا قال العوفي عن ابن عباس  
ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فقوله تعالى (يا أيها  
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعني  
المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يفتي عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن  
الخطاب فقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ «وما يدريك يا عمر؟»  
لعل الله قد اطعم علي أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم «فأنزل الله عز وجل في شأن  
حاطب (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) (تلقون إليهم بالمودة) قبل أي المودة  
والباء زائدة كقوله (ومن برد فيه بالحد بظلم)

وقال الزجاج معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم «وقد كفروا»  
الواو المحال أي وحالهم أنهم كفروا «بما جاءكم من الحق» يعني القرآن «يخرجون الرسول وأياكم»



ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاقاً كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء، واتقوا الله أن كنتم مؤمنين). وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أريدون أن يجعلوا الله عليكم سلطاناً مبیناً؟) وقال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

(١) ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الاجلح عن قيس ابن أبي مسلم عن ربيعي بن خراش سمعت حذيفة يقول: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالا واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرهما قال «إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فآظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فاسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه

وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ما قبله من التوبيخ على عداوتهم وعدم موالائهم لانهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)

وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا تتوالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنفا عليكم وسخطا لدينكم

وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعلهم منكم فقد ضل سواء السبيل) \* أن يتفقوكم يكونوا لكم

من مكة (أن تؤمنوا) أي لأن آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم أن كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق أن كنتم خرجتم) جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة قال مقاتل بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) من المودة للكفار (وما أعلنتم) أظهرتم بالاسنتكم (ومن يفعلهم منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى (أن يتفقوكم) يظفروا بكم ويردوكم (يكونوا

(١) هذا غير موجود بالنسخة المسكية



٣١٦ التأمي إبراهيم عليه السلام في مصارمة الأقرباء الكافرين والتبري منهم (تفسير ابن كثير والبغوي)

أعداء ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ) أي لو قدروا عليكم لما اقترعوا فيكم من أذى بناؤكم به بالمقال والفعال ( وودوا لو تكفرون ) أي وبحرصون على أن لا تناولوا خير آفهم عداوتهم لكم كلمة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضا

وقوله تعالى ( لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ) أي قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم لا يصل اليكم إذا أرضيتهموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله ابن أبي؟ قال « في النار » فلما قفي دعاه فقال « إن أبي وأباك في النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم

ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا

بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لا ستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك

توكلنا واليك أنبنا واليك المصير (٤) ربنا لا تجمعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك

أنت العزيز الحكيم (٥) لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر

ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٦)

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومحاببتهم والتبري منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) أي وانباة الذين آمنوا معه ( إذ قالوا لقومهم

لكم أعداء ويسطوا اليكم أيديهم ) بالضرب والقتل « وألسنتهم بالسوء » بالشتم « وودوا لو تكفرون » كما كفروا . يقول لا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم « لن تنفعكم أرحامكم » معناه لا يدعونكم ولا يجمعلنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة الى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم « ولا أولادكم » الذين عصيتهم الله لاجلهم « يوم القيامة يفصل بينكم » فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار

قرأ عاصم ويعقوب ( يفصل ) بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً ، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الصاد مشدداً ، وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشدداً . وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد مخففاً « والله بما تعملون بصير » قد كانت لكم أسوة « قدوة » حسنة في إبراهيم والذين معه



إنا برآء منكم (أي تبرأنا منكم) (وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أي بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمت على كفركم فمنعنا أبداً تبرأ منكم وبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الاوثان والانداد

وقوله تعالى (الا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين مانوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأزل الله عز وجل (ما كان لني والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم — إلى قوله تعالى — إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أي ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد

ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله ونضرعوا إليه فقالوا (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها اليك واليك المصير أي المعاد في الدار الآخرة (ربنا لانجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم

من أهل الايمان (إذ قالوا لقومهم) من المشركين (إنا برآء منكم) جمع بريء (وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) جحدنا وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) يأمر حاطباً والمؤمنين بالافتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره الا في استغفاره لأبيه المشرك فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه لأستغفرن لك ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة (وما أملك لك من الله من شيء) يقول إبراهيم لأبيه ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله أن عصيته وأشركت به (ربنا عليك توكلنا) يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين (واليك أنبنا واليك المصير) ربنا لانجعلنا فتنة للذين كفروا (قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا

وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم



هذا وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه واختاره ابن جرير ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا وقوله تعالى ( واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ) أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ( إنك أنت العزيز ) أي الذي لا يضام من لا ذنبنا بك الحكيم في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك

ثم قال تعالى ( لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثنية هنا هي الأولى بعينها، وقوله تعالى ( لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) تنبيح إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد

وقوله تعالى ( ومن يتول ) أي عما أمر الله به فإن الله هو الغني الحميد كقوله تعالى ( إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله الغني حميد ) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا ينبغي إلا له ليس له كف ، وليس كمثل شيء . سبحانه الله الواحد القهار والحميد المستعبد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور

رحيم (٧) لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم

وتنقضوا اليهم أن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهكم الله عن الذين قاتلوك في الدين

وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٩)

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين [ عسى الله أن يجعل بينكم وبين

ذلك ( واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ) لقد كان لكم فيهم ) أي في إبراهيم ومن معه ( أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) هذا بدل من قوله ( لكم ) ويان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ( ومن يتول ) يعرض عن الإيمان وبوال الكفار ( فإن الله هو الغني ) عن خلقه ( الحميد ) إلى أوليائه وأهل طاعته

قال مقاتل : فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادي المؤمنين أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله عز وجل ( عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ) أي من كفار مكة ( مودة ) ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم



الذين عاديتهم منهم مودة [ أي محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أي على ما يشاء من الجمع بين الاشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والتساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الانصار ] واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها [ الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فأنفككم الله بي »

وقال الله تعالى [ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ] وفي الحديث « أحب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال الشاعر

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وقوله تعالى [ والله غفور رحيم ] أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنبأوا الى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب اليه من أي ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله ﷺ تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله ﷺ تزوج بأمة حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قري ، على محمد بن عزيز حدثني سلامة حدثني عقيل حدثني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقى ذا الحمار مرثدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو من أنزل الله فيه [ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة ] الآية

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطينين ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية نجعله كاتباً بين يديك قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكم الحديث وقد تقدم الكلام عليه وقوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ) ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الاحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ( ان تبرؤم ) أي تحسنوا اليهم ( وتقسطوا اليهم ) أي تعدلوا ( إن الله يحب المقسطين )

فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم ( والله قدير والله غفور رحيم ) ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم



قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأنتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلي أمك » أخرجاه

وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخّلها بيتها فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وان تدخّلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ

وقال أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابو قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين قريش وبين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله ان أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفصلها ؟ قال « نعم فصلها » ثم قال وهذا الحديث لانه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة الا من هذا الوجه قلت وهو منكر بهذا السياق لان أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الاحاديث المتقدمة والله أعلم ، وقوله تعالى ( ان الله يحب المقسطين ) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ، وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا »

وقوله تعالى ( انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ) أي انما ينهاكم عن موالات هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم

يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم ) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم ( وتقسطوا اليهم ) تعدلوا فيهم بالاحسان والبر ( ان الله يحب المقسطين ) قال ابن عباس نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أسماء بنت أبي بكر وذلك ان أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى تستأذنني رسول الله ﷺ فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخّلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها



وعاونوا على اخراجكم منهاكم الله عز وجل عن موالاتهم وبأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال ( ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم ) ان الله لا يهدي القوم الظالمين

يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بأيمنن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بهنم الكوافر واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠) وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (١١)

تقدم في سورة الفتح في ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : صلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددنه البناء وفي رواية على انه لا يأتيك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن ابي عمار ثنا قتبية ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أمماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدنهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها وروى عن ابن عيينة قال فأنزل الله فيها ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ) ثم ذكر الله الذين نهاهم عن صلتهم فقال ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ) وهم مشركو مكة ( أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )

قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ) الآية  
أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن ابي عمار ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور ابن مخزومة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما كاتب سبيل بن عمرو يومئذ كان فيها اشتراط سبيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان  
« تفسير ابن كثير والبغوي » « ٤١ » « الجزء الثامن »



منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهرى وسقائل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة لسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف نسخة فإن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن

(١) وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر ابن أبي عاصم عن محمد بن يحيى الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن يعقوب عن حنين بن أبي ابانة عن عبد الله بن أبي أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فيها أن يردوها إليهما فنقض الله العهد بينهما وبين المشركين في النساء خاصة فنعمهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الأسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بقض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت الاحباط ولرسوله، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح

على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سبيل إلا ذلك فكانت النبي ﷺ على ذلك فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سبيل بن عمرو ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بإيمانهن - إلى - ولا هم يحلون لهن)

قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات - إلى قوله - غفور رحيم)

قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد بايعتكم» كلاماً يكلمها به والله مامست يده امرأة قط في المبايعة ما يابهن إلا بقوله قال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافراً



به ، وكذا رواه البزار من طريقه ذكر فيه أن الذي كان يخلف عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن ) كان امتناعهن أن يشهدن أن لا إله الا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد ( فامتنعوهن ) فاسألوهن عما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطه أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك الا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله ( فامتنعوهن ) وقال قتادة كانت محبتهم أن يستخلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن الا حب الاسلام وأهله وحرص عليه فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى ( فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ) فيه دلالة على أن الايمان يمكن الاطلاع عليه يقينا

وقوله تعالى ( لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ) هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الاسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأما خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رقى لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الاول ولم يحدث لها صداقا ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن اسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل اسلامه بست سنين على النكاح الاول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح

فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم نجف بعد فأنزل الله عز وجل [ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن ] قال ابن عباس امتناعها أن تستخلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشق الرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا وما خرجت إلا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله قال فاستخلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فخلعت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يرد من جاءه من الرجال وبحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن « الله أعلم بإيمانهم » أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهم « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن »



لان اسلامه كان هذا تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس باسناده بأس ولا يعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن اسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن اُرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع عمر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسناداً والعمل على حديث عمرو بن شعيب

ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن اُرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الامام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لان الذي عليه الاكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه

وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هي بالخيار ان شئت أقامت على النكاح واستمرت وان شئت فسخته وذهبت فتزوجت وحلوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم

وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الاصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقنادة والزهري وغير واحد

وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن) يعني إذا أعطيتهن من أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك

وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفي الصحيح عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم ان رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا

لمن) ما أحل الله مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن الكفار (ما أنفقوا) عليهن يعني المهر الذي دفعوا اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لمن أزواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار (ولا تمسكوا) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد والآخرون بالتخفيف من الامساك (بعصم الكوافر) والعصم جمع العصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب والكوافر جمع الكافرة نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يستد بها فقد انقطع عصمة الزوجية بينهما، قال الزهري فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرينة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنة عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة



اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - الى قوله - ولا تمسكوا بهنم الكوافر ( فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية  
وقال ابو ثور عن الزهري : أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على انه من اتاه منهم رده اليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق الى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك اذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق الى أزواجهن وقال [ ولا تمسكوا بهنم الكوافر ] وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وانما حكم الله بينهم بذلك لاجل ما كان بينهم وبينهم من العهد

(١) كذا في

الاصل وفي تفسير  
البيهقي فاطمة

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري طلق عمر يومئذ قريية<sup>(١)</sup> بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية وهي ام عبد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص

وقوله تعالى ( واسألوا ما أنفقتم ) واسألوا ما أنفقوا اي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن الى الكفار ان ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن الى المسلمين  
وقوله تعالى ( ذلكم حكم الله بحكم بينكم ) اي في الصلح واستثناء النساء منه والامر بهذا كله هو حكم الله بحكم بين خلقه ( والله عليم حكيم ) أي عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك  
ثم قال تعالى ( وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبنهم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ) قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد اذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا الى زوجها شيئا فاذا جاءت منهم امرأة لا يدفع الى زوجها شيء حتى يدفع الى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها

ابن غانم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبد الله فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله ﷺ ( واسئلوا ) أيها المؤمنون ( ما أنفقتم ) أي ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم ( وليسئلوا ) يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ( ما أنفقوا ) من المهر ممن تزوجها منكم ( ذلكم حكم الله بحكم بينكم ) والله عليم حكيم قال الزهري لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمين قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل



وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب اخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي انفقوا على نسائهم وأنى المشركون ان يقرؤا بحكم الله فيما فرض عليهم من اداء نفقات المساكين فقال الله تعالى للمؤمنين به (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي أصروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقي لهم، والعقب ما كان بقي من صدق نساء الكفار حين آمن وهاجرن

وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأنى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما أمروا من اداء نفقات المسلمين على نسائهم فأنزل الله عز وجل (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) فالحقن بهم مرتدات (فعاقبتهم) قال المفسرون معناه غنم أي غزوتهم فأصبحت من الكفار عقيب وهي الغنيمة وقبل ظهرتم وكانت العاقبة لكم وقيل أصبتموه في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج فعقبتم بالشديد وقرأ الزهري فعقبتم خفيفة بغير ألف وقرأ مجاهد فعقبتم أي صنمتم بهم كما صنموا بكم وكما لفات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب وعقب وعقب وتعقب وتعقب وتعقب وتعقب اذا غنم وقيل التعقب غزوة بعد غزوة (فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم) الى الكفار منكم (مثل ما أنفقوا) عليهم من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار وقبل فعاقبتهم المرتدة بالقتل

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروغ بنت عتبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزى بن فضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل ابن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جبرول كانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهورهن من الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النساء إلى أزواجهن كان واجبا أو مندوبا؟ وأصله ان الصلح هل كان وقع على رد النساء؟ فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روينا انه لا يأتيك منا احد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله (فلانرجعهن الى الكفار) فعلى هذا كان رد المهر واجبا، والقول الآخر ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي على انه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابتها المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها



وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطى مثل ما أنفق من الغنمة ، وهكذا قال بجاهد ( فعاقبتهم ) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ( فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا ) يعني مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضاً . وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأول وإلا فن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار . وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير والله الحمد والمنة

يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولدهن ولا يأتين بهتن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ( ١٢ )

قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ( يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك - إلى قوله - غفور رحيم ) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ « قد بايعتك » كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط ما يبايعهن إلا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله ﷺ في نساء لبنايه فأخذ عليهما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً الآية وقال « فما استطعتن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يا رسول الله ألا

الردة إذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة عقلها وقلة هدايتها إلى المخرج منها باظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار الإيمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى النقية فعلى هذا كان رد المهر مندوباً ، واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاودة الكفار ؟ فقال قوم لا تجب وزعموا أن الآية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم هي غير منسوخة ويرد إليهم ما أنفقوا

قوله عز وجل « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك » الآية وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويلفهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنبية متنكرة مع النساء خوفاً من



(١) هذا الى

قوله ورواه ابن أبي حاتم غير موجود في المسخة المكية

تصانفنا ؟ قال « اني لا اصفح النساء انما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة » هذا اسناد صحيح وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائي ايضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به <sup>١</sup> وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد ايضا من حديث محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصح منا امرأة وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي عن محمد بن المنكدر حدثني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها الى في ذكره

وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني سليمان بن أبي بوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت جئت رسول الله ﷺ ببايعه في نسوة من الانصار فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزن ولا نقتل اولادنا ولا نأتي بيهتان نفترينه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال « ولا نفشش أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا ؟ قال فسأته فقال « تأخذ ماله فتحاجي به غيره »

وقال الامام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثني أبي عن أمه عائشة بنت قدامة يعني ابن مظهر قال قالت أنا مع أمي رائلة ابنة أبي سفیان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزني ولا تقتلن اولادكن ولا تأتين بيهتان نفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف — قلن نعم — فما استعطيتن » فكن يقرن وأفول معهن وأمي تقول لي أي بنية نعم فكنت أقول كما يقرن

وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سير بن عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ( ولا تشركن بالله شيئا ) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها فسا قال لها رسول الله ﷺ شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفي رواية فما روى منهن امرأة غيرها وغير أم سلم امرأة ملحان والبخاري عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا نتوحد فما وفيت منا امرأة

رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ « أبايعن » ( على أن لا يشركن بالله شيئا ) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال وباع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط قال النبي ﷺ ( ولا يسرقن ) فقالت هند ان أبا سفیان رجل شحيح



غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله ﷺ يتعاقد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون ثنا معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فزل نبي الله ﷺ فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال ( يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بيهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف ) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أتئن على ذلك » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرهما نعم يا رسول الله لا يدري حسن من هي قال فنصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح <sup>(١)</sup> والحوادث في ثوب بلال

(١) الفتح بفتح الفاء  
والناه جمع فتحة بالحاء  
المعجمة وهي خاتم  
كبير يكون في اليد  
والرجل أو حلقة من  
فضة كالخاتم

وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة الى رسول الله ﷺ تباعه على الاسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقين ولا تزني ولا تقتلين ولذلك ولا تأتي بيهتان تفتريه بين يديك ورجليك ولا تنوحين ولا تهرجين تهرج الجاهلية الاولى »

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن ابي ادريس الحولاني عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال « تباعونني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء اذا جاءك المؤمنات - فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجه في الصحيحين

وقال محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن يزيد بن عبد الله المزني عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقيقة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا تشرك

واني أصبت من ماله هنات فلا ادري يحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها « وانك لهند بنت عتبة؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال « ولا يزنين » فقالت هند أو تزني الحرة؟ فقال « ولا يقتلن



بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنّي ولا نقتل أولادنا ولا نأثني بيهتان نفتر به بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال « فان وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبي حاتم وقدرى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لمن ان رسول الله ﷺ يباحكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متكررة في النساء فقالت اني ان أتكلن بعرفتي وإن عرفتي قتلتني وانما تنكرت فرقا من رسول الله ﷺ فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلن فقالت هند وهي متكررة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال؟ فنظر اليها رسول الله ﷺ وقال لعمر « قل لمن ولا يسرقن » قالت هند والله اني لا أصيب من أبي سفیان الهنات ما أدري أبجلهن لي ام لا؟ قال ابوسفیان ما أصبت من شيء مضى او قد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل زني امرأة حرة؟ قال « لا والله ما زني الحرة - ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال « ولا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » قال « ولا يعصينك في معروف » قال منهن ان ينحن وكان اهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم ، فان ابنا سفیان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لها وكذلك كان الامر من جانبه عليه السلام لها . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح بايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقبته كما تقدم وزاد فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا نصر بن علي حدثني أم عطية بنت سليمان حدثني عمي عن جدي عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر الى يدها فقال « اذهبى فغيري يدك » فذهبت فغيرتها بخناء ثم جاءت فقال « أباعك على أن لا تشركي بالله شيئا » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول في هذين السوارين فقال « جرتين من نار جهنم »

أولادهن » فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأتمهم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفیان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال « ولا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » وهو أن تغذف ولداً على زوجها ليس منه قالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال « ولا يعصينك في معروف » قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن



وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن اولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصيننا بأولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاء النساء يبايعنه جعلن فعرض عليهن فاذا أقررن رجعن فقوله تعالى ( ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ) اي من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الا جانب ، فأما اذا كان الزوج مقصرا في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة انها قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه فقال رسول الله ﷺ « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » أخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى ( ولا يزنين ) كقوله تعالى ( ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ) وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الاليم في نار الجحيم

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت عتبة تباع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ( أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة اقري أيتها المرأة فوالله ما باعنا الا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية

(١) وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي

بالنسخة المكية

قال بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن اولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاءت النساء يبايعنه جعلن فعرض عليهن فاذا أقررن رجعن

وقوله تعالى ( ولا يقتلن اولادهن ) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون اولادهم خشية الا لاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجبهة من النساء تطرح نفسها للتلأجل اما لغرض فاسد أو ما أشبهه

قوله ( ولا يقتلن اولادهن ) أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل الجاهلية ، قوله ( ولا يأتين بيهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ) ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عن الزنا قد تقدم ذكره بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك فهو البيهتان المفتري بين أيديهن وأرجلهن لان الولد إذا وضعته الام سقط بين يديها وأرجلها

قوله [ ولا يعصينك في معروف ] أي في كل أمر وافق طاعة الله ، قال بكر بن عبد الله المزني في كل أمر فيه رشد هن . وقال مجاهد لا تخلو المرأة بالرجال



وقوله تعالى ( ولا يأتين بيهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ) قال ابن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل

ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو يعني ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبد الله بن يونس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء » ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى ( ولا يعصينك في معروف ) يعني فيما أمرن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر

قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( ولا يعصينك في معروف ) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنييه إلا في المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف

وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضا

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا يتحدثن الرجال إلا رجلا منكم محرما فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله إن لنا أضيافا وأنا نقيب عن نساءنا فقال رسول الله ﷺ « ليس أولئك عنيت ليس أولئك عنيت »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبي زائدة حدثني

وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد : هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر وتنفه الوجه ولا تحدث المرأة الرجال إلا إذا محرم ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر إلا مع ذي محرم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرا علينا [ أن لا يشركن بالله شيئا ] ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتني فلانة أريد أن اجزيها فما قال لها النبي ﷺ شيئا فانطلقت ورجعت وبايعها

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا هذبة بن خالد ثنا أبان بن



مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبي ﷺ أن لا تحدثن الرجال الا أن تكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمضي بين فخذيه

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الانصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله ﷺ من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح فقات امرأة من بني فلان ابن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزبهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فوافي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الانصارية رضي الله عنها

وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثني مصعب بن نوح الانصاري قال : أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ قالت فأنيته لا بايعه فأخذ علينا فيما أخذ ان لا ينحن فقالت عجوز يا رسول الله ان ناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابني وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئهم » فانطلقت فكافأتهم ثم انها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذي قال الله عز وجل ( ولا يعصينك في معروف )

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا الضبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجها ولا ننشر شعراً ولا نشق جيباً ولا ندعو ويلاً

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن ادريس حدثنا إسحاق بن عثمان ابو يعقوب حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ

يزيد ثناجيحي بن أبي كثير ان زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الاشعري حدثه ان رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها : الفخر في الاحساب والظعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة - وقال - النائحة إذا لم تنب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من حرب »

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن حفص ثنا أبي أنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال قال النبي ﷺ « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » قوله « فبايعهن » يعني إذا بايعنك فبايعهن « واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني محمود ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان



جمع نساء الانصار في بيت ثم أرسل اليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددنا أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنار رسول الله ﷺ اليكن قالت فقلنا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله فقال تباهن على أن تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزينن ، قالت فقلنا نعم قالت فهد يده من خارج الباب او البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد قالت وأمرنا في العيدين ان نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ومنهانا عن اتباع الجنائز قال امما عيل فسألت جدتي عن قوله تعالى ( ولا يعصينك في معروف ) قالت النياحة

وفي الصحيحين من طريق الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ليس منا من ضرب الحد ودوشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بريء من الصاقة والحالقة والاشاقة

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هبة بن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير ان زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الاشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن : الفخر في الاحساب والطعن في الانسان والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة اذا لم تنب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم في صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به ، وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة ورواه ابو داود

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيم عن يزيد مولى الصهباء عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى ( ولا يعصينك في معروف ) قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيم كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب

يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس

النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ( لا يشركن بالله شيئا ) قالت وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا محمد بن عبد الله بن حمدون أنا مكي ابن عبدان ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفیان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا « فيم استطعنن وأطقتن ؟ » فقلت رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا قلت يا رسول الله بابعنا قال سفیان يعني صالحنا فقال « إني لا اصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة »

قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم » وهم اليهود وذلك أن أناسا



### الكفار من أصحاب القبور (١٣)

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنهم واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف تولوهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد ينسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل

وقوله تعالى (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما ينس الكفار الأحياء من قربائهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجائهم منهم فيما يعتقدونه

قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد ينس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل، وقال الحسن البصري (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد ينسوا من الأموات، وقال قتادة كما ينس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواه ابن جرير، والقول الثاني معناه كما ينس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) قال كما ينس هذا الكافر إذا مات وعابن ثوابه واطلم عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والسكبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله

﴿آخر تفسير سورة الممتحنة والله الحمد والمنة﴾

من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيرون من غارم قتلهم الله عن ذلك ﴿قد ينسوا﴾ يعني هؤلاء اليهود ﴿من الآخرة﴾ بأن يكون لهم فيها ثواب وخير ﴿كما ينس الكفار من أصحاب القبور﴾ أي كما ينس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة، قال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم أبسوا من رحمة الله قال سعيد بن جبير ينسوا من الآخرة كما ينس الكفار الذين ماتوا فعابنوا الآخرة وقبل كما ينس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم



## تفسير سورة الصف وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال نذا كرنا أبكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الاعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا رواه الامام احمد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرشد البيروني قراءة قال أخبرني أبي سمعت الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن حدثني عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عن أحب الاعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله ﷺ أولئك نفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها : قال ابو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها

قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا ابو سلمة كلها قال الاوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الاوزاعي كلها ، وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فتذا كرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب إلى الله عز وجل لعملنا فأنزل الله تعالى ( سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم \* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ) قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ قال ابو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا ابو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الاوزاعي قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذي وقد خواف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الاوزاعي فروى ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام ، قلت وهكذا رواه الامام احمد عن معمر بن ابن المبارك به قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الاوزاعي نحوه رواية محمد بن كثير ، قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الاوزاعي كما رواه ابن كثير . قلت وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس احمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمران الحلبي أخبرنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي



أخبرنا الامام الحافظ ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي فذكر باسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لانه كان أميا وضاق الوقت عن تلقيتها اياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا ابو المنجا بن التي فذكره باسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها علي بكها والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم (١) يا أيها الذين آمنوا

لم تقولون مالا تفعلون؟ (٢) كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٣) ان الله يحب

الذين يتلون في سبيله صفًا كأنهم بنين مرصوص (٤)

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) انكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به ولهذا استدلل بهذه الآية السكينة من ذهب من علماء السلف الى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعد أم لا واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان»

وفي الحديث الآخر في الصحيح «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً من كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها» فذكر منهم اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين

﴿سورة الصف مدنية و قال عطاء مكية وهي اربع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم \* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون؟ قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملنا ولبلدنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله عز وجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا) فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين فانزل الله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون)

وقال محمد بن كعب لما أخبر تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده

«الجزء الثامن»

«٣»

«تفسير ابن كثير والبغوي»



الحديثين في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الانكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

وقد روى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : أنا ذا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطك فقال لهما رسول الله ﷺ «وما أردت أن تعطيه؟» قالت نعماً فقال «أما انك لو لم تفعل كذبت عليك كذبة» وذهب الامام مالك رحمه الله الى انه اذا تعلق بالوعد عزم على الموعد وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فزوج وجب عليه أن يعطيه مادام كذلك لانه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة وذهب الجمهور الى أنه لا يجب مطلقاً وحلوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم نرأى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لو لا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً \* إنما تكونوا بدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لو ددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الاعمال إيمان به لاشك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خافوا الايمان ولم يقرؤا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وهذا اختيار ابن جرير

وقال مقاتل بن حيان قال المؤمنون لو نعلم أحب الاعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الاعمال اليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) فيين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وقال أحبك

قتالا لنفرغن فيه وسعنا نفروا يوم أحد، فعبرهم الله بهذه الآية، وقال قتادة والضحاك نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم بطعن، وضربت ولم بضرب فترزت هذه الآية قال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا﴾ قوله (أن تقولوا) في موضع رفع فهو كقولك بش رجلاً أخوك ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض (عند الله) أي ان الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا ﴿مالاً تفعلون﴾ أن تعدوا من أنفسكم شيئاً لم تفوا به ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي يصفون



إلي من قاتل في سبيلي ، ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطلعت ولم بطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر

وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك ، وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفنون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم ( لم تقولون مالا تفعلون ) قال الجهاد

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ( لم تقولون مالا تفعلون — إلى قوله — كأنهم بنيان مرصوص ) فما بين ذلك في نفر من الانصار فيهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الاعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأ نزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبدالله بن رواحة لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيدا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلمي عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم ، وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بأحدى المسبحات فأنسبناها غير أني قد حفظت منها ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ) فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ، ولهذا قال تعالى ( إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفا مواجبهين لاعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الاديان

قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبدالله حدثنا هشيم قال مجاهد أخبرنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله اليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الاسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتحي لقاءه فلقيته فقلت يا أباذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتحي لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهايت فقلت كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يفيض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخواني أ كذب علي خليي ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل

أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم ( كأنهم بنيان مرصوص ) قد رص بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ، وقيل أحكم بالرماس



قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهداً فلقي العدو فقتل وأنتم تجددونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص) وذ كر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأنتم وقد أوردناه في موضع آخر والله الحمد

وعن كعب الاحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد ﷺ «عبدني المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطابة ومملكه بالشام، وأمه الحماذون يحمدون الله على كل حال ، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركنهم ولو على ظهر دابة رواه ابن أبي حاتم

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو الا أن يصفهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى [ كأنهم بنيان مرصوص ] أي ملتصق بعضهم ببعض من الصف في القتال

وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضهم الى بعض ، وقال ابن عباس ( كأنهم بنيان مرصوص ) مثبت لا يزول ملتصق بعضهم ببعض

وقال قتادة ( كأنهم بنيان مرصوص ) ألم تر الى صاحب البنيان كيف لا يحب ان يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف امره وان الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن اخذ به ، اورد ذلك كله ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن ابي بكر بن ابي مريم عن يحيى بن جابر الطائي عن ابي بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الارض لقول الله عز وجل (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان ابو بحرية يقول : اذا رأيتهموني ألغفت في الصف فجؤا في الحية

ولما قال موسى لقومه يقوم لم تؤذوني؟ وقد تعلمون أي رسول الله اليكم؟ فلما زاغوا

أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (هـ) ولما قال عيسى بن مريم لبني اسرائيل إني

﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾ من بني اسرائيل ﴿ يا قوم لم تؤذوني ﴾ وذلك حين رموه بالادرة ﴿ وقد تعلمون أي رسول الله اليكم ﴾ والرسول يعظم ويحترم ﴿ فلما زاغوا ﴾ عدلوا عن الحق



رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما

جاءهم بالبينت قالوا هذا سحر مبين (٦)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام انه قال نقومه ( لم تؤذوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ؟ ) اي لم توصلون الاذى الي وانتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة . وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر » وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا اليه اذى كما قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيباً )

وقوله تعالى ( فلما زاغوا ازأغ الله قلوبهم ) اي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ازأغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى ( ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ) وقال تعالى ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ) ولهذا قال تعالى في هذه الآية [ والله لا يهدي القوم الفاسقين ]

وقوله تعالى [ وإذا قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ) يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشراً بمن بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي احمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم الانبياء بني اسرائيل وقد اقام في ملا بني اسرائيل مبشراً بمحمد وهو احمد خاتم الانبياء والمرسلين الذي لارسله بعده ولا نبوة ، وما احسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه حدثنا ابو النيمان حدثنا شعيب عن الزهري قال اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان لي امماً انا محمد وأنا احمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب » ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أمماً منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا احمد والحاشر والمقفي ونبي

﴿ أزأغ الله قلوبهم ﴾ أما لما عن الحق يعني انهم لما تركوا الحق بايذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ قال الزجاج يعني لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق ﴿ وإذا قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ﴾ والالف فيه للمبالغة في الحمد وله وجهان أحدهما انه مبالغة من الفاعل أي



الرحمة والتوبة والملحمة » ورواه مسلم من حديث الاعمش عن عمرو بن مرة به، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الآية، وقال تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد ان يبعث محمد وهو حي ليتبعه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته ان يبعث محمد وهم أحياء ليتبعه وينصرنه

وقال محمد بن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه آخر فقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية قال قال رسول الله ﷺ « اني عند الله لحاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأبشركم بأول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يربن »

وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال « دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي انه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام »

وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخا زهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعث قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلوا على النجاشي سجدوا له ثم ابتدروا عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له ان نفرا من بني عمان نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم؟ قالوا هم في أرضك فبعث اليهم فبعث اليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا نسجد لملك؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال وما ذاك؟ قال ان الله بعث اليينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فاتهم بخالفونك في عيسى بن مريم قال ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر ولم يعترضها ولد، قال فرفع عودا

الانبياء كلهم خادون لله عز وجل وهو أكثر حمد لله من غيره والثاني انه مباينة من المفعول أي الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع لفضائل والمحسن التي



من الارض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبين جنتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجت في الانجيل وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأنته حتى أكون أنا احمل نعليه وأوضنه وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ وزعم ان النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته ، وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة . والمقصود ان الانبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته اذا بعث ، وكان ما اشتهر الامر في أهل الارض على لسان ابراهيم والد الانبياء بعده حين دعا لاهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء امرك يعني في الارض قال « دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه

وقوله تعالى [ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ] قال ابن جرير وابن جبر [ فلما جاءهم ] أي المبشرين به في الاعصار المتقدمة ، المنزه به في القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون [ هذا سحر مبين ]

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ، والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مستم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩)

يقول تعالى ( ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ) أي لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجهل له أندادا وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال تعالى ( والله لا يهدي القوم الظالمين )

ثم قال تعالى ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ) أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذلك مستحيل ولهذا قال تعالى ( والله من نوره ولو كره الكافرون \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة

بمحمد بها ﴿ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ \* ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين \* يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله من نوره ولو كره الكافرون \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون \*



يأياها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم ؟ (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنت عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣)

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الاعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جعلتها هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور التي هي محصلة المقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى ( تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) أي من تجارة الدنيا والكسب لها والتصدي لها وحدها ثم قال تعالى ( يغفر لكم ذنوبكم ) أي ان فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى ( ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم )

ثم قال تعالى ( وأخرى تحبونها ) أي وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ( نصر من الله وفتح قريب ) أي اذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى [ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ] وقال تعالى [ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ] وقوله تعالى ( وفتح قريب ) أي عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى ( وبشر المؤمنين )

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ؟ قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف ( من عذاب أليم ) نزل هذا حين قالوا لو نعلم أي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يريدون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال ( تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها ) أي ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ( نصر من الله وفتح قريب ) قال الكلبي هو النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم ( وبشر المؤمنين ) يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر



يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري

إلى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (١٤)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصاري إلى الله أي من معي في الدعوة إلى الله عز وجل ( قال الحواريون ) وهم أتباع عيسى عليه السلام ( نحن أنصار الله ) أي نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الامراتيين واليونانيين وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج « من رجل يؤدني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريباً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي » حتى قبض الله عز وجل له الاوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازره وشارطوه أن يمنعوه من الاسود والاحمر إن هو هاجر اليهم فلما هاجر اليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى ( فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ) أي لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بني اسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة واقترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم انه ابن الله ، وقائل انه ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن قائل انه الله وكل هذه الاقوال مفصلة في سورة النساء

الذين وجهاد المخالفين فقال « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله » قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو أنصاراً بالتثوين لله بلام الاضافة وقرأ الآخرون أنصار الله بالاضافة كقوله نحن أنصار الله ( كما قال عيسى بن مريم للحواريين ) أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام ( من أنصاري إلى الله ) أي من ينصرني مع الله ( قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ) قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق ، فرقة قالوا كان الله فارتفع ، وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه ، وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه اليهم المؤمنون ، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتلوا فظهرت



وقوله تعالى ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ) أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ( فأصبحوا ظاهرين ) أي عليهم وذلك ببعثة محمد ﷺ كما قال الامام أبو جعفر بن جبر بر رحمه الله حدثني ابو السائب حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال « إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي » قال ثم قال أيكم يلقي عليه شبي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي » قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا ، فقال له « اجلس » ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له « اجلس » ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال « نعم أنت ذاك » ، قال فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روضة في البيت إلى السماء قال وجاء الطالب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ففارقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ماشاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء البعويية ، وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوه فلم يزل الاسلام طامس حتى بعث الله محمدا ﷺ ( فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ) يعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن ابي كريب عن محمد بن العلاء عن أبي معاوية بمثله سواء فامة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الاحاديث الصحاح والله أعلم

( آخر تفسير سورة الصف والله الحمد والمنة )

الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة وذلك قوله تعالى ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) غالبين هالين وروى مقبرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى كلمة الله وروحه



## تفسير سورة الجمعة وهي مدنية

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم في صحيحه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض أي من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى [وإن من شيء إلا يسبح بحمده] ثم قال تعالى (الملك القدوس) أي هو مالك السموات والأرض المتصرف فيها بحكمه وهو المقدس أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال العزيز الحكيم تقدم تفسيرهما غير مرة

وقوله تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى [وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلموا لقد اعتدوا وإن تولوا فإنا علىك البلاغ والله بصير بالعباد] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله [وإنه لذكر لك ولقومك] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى [وأندر عشرتك الأقربين] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى [قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا] وقوله [لا نذكركم به ومن بلغ] وقوله تعالى اخبراً عن القرآن [ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وملائمته عليه إلى جميع الخلق أحرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الانعام بالآيات والاحاديث الصحيحة والله الحمد والمنة

(سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم \* هو الذي بعث في



وهذه الآية هي مصداق اجابة الله لخليله ابراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فيبث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموح من السبل وقد اشتدت الحاجة اليه وقد مقت الله أهل الارض عرهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أي نزرأ يسيرا بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) وذلك ان العرب كانوا قديما متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلوبه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرّفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى ، حاكم قاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الاصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن من كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الاولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وقوله تعالى ( وآخرين منهم لما يلقى بهم وهو العزيز الحكيم ) قال الامام ابو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن

الاميين ( يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ) ( رسولا منهم ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم نسبه نسبهم ( يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ) وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ( أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال بين يعبدون الاوثان ) ( وآخرين منهم ) وفي آخرين وجهان من الاعراب أحدهما الخفض على الرد إلى الاميين مجازة وفي آخرين والثاني انصب على الرد إلى الهاء والميم في قوله ويعلمهم أي ويعلم آخرين منهم أي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة واختلف العلماء فيهم فقال قوم هم العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد ، والدليل عليه ما أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي بها ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسين بن سفيان وعلي بن طيفور وابو العباس الثقفاني قالوا حدثنا قتيبة ثنا عبد العزيز عن ثور عن أبي الفيث عن أبي هريرة قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ( وآخرين منهم لما يلقى بهم ) قال رجل من هؤلاء بأمر رسول الله فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثاً قال وفيما سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء »



بلال عن ثور عن ابي الفيث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فانزلت عليه سورة الجمعة ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراهم حتى سئل ثلاثاً وفيما سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال « لو كان الايمان عند الثريا لثاله رجال أو رجل من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن زيد الدبلي عن سالم أبي الفيث عن ابي هريرة به ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس لانه فسر قوله تعالى ( وآخرين منهم ) بفارس ولهذا كتب كتبه الى فارس والروم وغيرهم من الامم يدعوهم الى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ) قال هم الاعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابو محمد عيسى بن موسى عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم قرأ ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ) يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ

وقوله تعالى ( وهو العزيز الحكيم ) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) يعني ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثته ﷺ

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، بثس مثل النوم

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البرزاني أنا محمد ابن زكريا العذافري أنا اسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن جعفر الجزري عن يزيد بن الاجم عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لو كان الدين عند الثريا لذهب اليه رجل - أو قال - رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه »

وقال عكرمة ومقاتل هم التابعون ، وقال ابن زيد هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي (ص) الى يوم القيامة ، وهي رواية بن أبي نجيح عن مجاهد

قوله « ( لما يلحقوا بهم ) أي لم يدر كرم ولكنهم يكونون بعدهم وقيل [ لما يلحقوا بهم ] أي في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدر كرون شأو الصحابة « ( وهو العزيز الحكيم » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » يعني الاسلام والمداية « ( والله ذو الفضل العظيم )

قوله عز وجل « ( مثل الذين حملوا التوراة ) أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها « ( ثم لم يحملوها )



٣٥٥ مثل اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة بل أولوها وحرفوها (تفسيرا ابن كثير والقيسي)

الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٥) قل يا أيها الذين هادوا إنا زعمنا أنكُم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إنا كنتم صادقين (٦) ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٧) قل إنا الموت الذي تفرون منه فإنه ملقاكم ثم تردون إلى علم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون (٨)

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها لعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حمل حسيب ولا يدري ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمار لأن الحمار لا يفهم له وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى [أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون] وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «من تكلم يوم الجمعة والامام بخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا» والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إنا زعمنا أنكُم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إنا كنتم صادقين) أي إنا كنتم تزعمون أنكُم على هدى وأن محمداً وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على انضال من الفتنين إنا كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى (ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم) أي بما يعملون لهم من الكفر والغلم والفجور (والله عليم بالظالمين) وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المبالغة لليهود حيث قال تعالى (قل إنا كانت لكم لدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إنا كنتم صادقين \* ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين \* ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما

لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها) كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كتباً من العلم واحدها سفر، قال الفراء هي الكتب العظام، يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرءون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الانبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم (قل يا أيها الذين هادوا إنا زعمنا أنكُم أولياء الله من دون الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) فادعوا بالموت على أنفسكم (إنا كنتم صادقين) أنكم أبناء الله وأحباءه فإن الموت



هو بمنزحته من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون ) وقد أسلفنا الكلام هناك وبيننا أن المراد أن يدعو على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران [ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ] ومباهلة المشركين في سورة صريم [ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ]

وقد قال الامام احمد حدثنا اماعيل بن يزيد الزرقى حدثنا أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم ابن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال ابو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عند الكعبة لا يتنه حتى أطأ على عنقه قال فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أم

(١) وقوله تعالى ( قل ان الموت اتيكم تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون ) كقوله تعالى في سورة النسا [ ايأنا نكونوا بدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهدلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطالبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيا وانهر دخل جحره فقالت له الارض يا ثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع

ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من

فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠)

إنما سميت الجمعة لاجتماعها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كل جميع الخلائق فانه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض

هو الذي يوصلكم اليه ( ولا يتمونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ) قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون )

قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ) أي في يوم الجمعة كقوله



وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن إلا أن فيها الله خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قريم الضبي حدثنا سلمان قال قال أبو القاسم عليه السلام « يا سلمان ما يوم الجمعة ؟ » قالت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم أو أبواكم « وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا قاله أعلم ، وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلو عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكل الله فيه الخليفة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا »

[ أروني ما ذا خلقوا من الأرض ] أي في الأرض وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا ابن ذئب أبي عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أولا إذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء قرأ الأعشى من يوم الجمعة بسكون الميم وقرأ العامة بضمها ، واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة منهم من قال لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام وقبل لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق جميع الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقبل لاجتماع الجماعات فيها وقبل لاجتماع الناس فيها للصلاة وقبل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمي الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة ، وعن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي (ص) المدينة وقبل أن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فلهم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي فيه ، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد

وروي عن عبد الله بن مالك عن أبيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقالت له اذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم البيت من حرة بني يباضة في بقيع يقال له بقيع الخضعات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا أنزل قباء على



ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلوا فيه فهدانا الله له فالتاس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد « لفظ البخاري

وفي لفظ مسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلق » وقدام الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أي اقصدا واعمدوا واعتموا في سيركم اليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرأنها (فامضوا إلى ذكر الله) فاما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجهما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم الاقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » لفظ البخاري

بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً فجمع هناك وخطب

قوله تعالى « فاسعوا إلى ذكر الله » أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الامراع إنما المراد منه العمل والفعل كما قال ( وإذا تولي سعي في الارض ) وقال [ ان سعيكم لشتى ] وكان عمر ابن الخطاب يقرأ [ فامضوا إلى ذكر الله ] وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود وقال الحسن : أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ، ولقد هو أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع

وعن قتادة في هذه الآية [ فاسعوا إلى ذكر الله ] قال قال السعي أن تسعي بقلبك وعملك وهو المشي اليها ، وكان يتأول قوله [ فلما بلغ معه السعي ] بقول فلما مشى معه

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل المدياني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اثبوتها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا »

قوله ( إلى ذكر الله ) أي الصلاة ، وقال سعيد بن المسيب [ فاسعوا إلى ذكر الله ] قال هو موعظة



وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال «ما شأنكم؟» قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال فلا تمهلوا إذا أقيم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» أخرجه

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اثبوتها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمثله قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن

الامام «وذروا البيع» يعني البيع والشراء لان اسم البيع يتناولها جميعا ، وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني ، وقال الزهري عند خروج الامام ، وقال الضعافك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) الذي ذكرت من حضور الجمعة ترك البيع (خير لكم) من المبايعه (ان كنتم تعلمون) مصالح أنفسكم واعلم ان صلاة الجمعة من فروض الاعيان فتجب على كل من جعم العقل والبلوغ والحريه والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد ، وأما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانها ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الاذان لنقصان أبدانها

ولا جمعة على النساء ، بالاتفاق ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الحلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد حدثني سلمة بن عبد الله الخطمي عن محمد ابن كعب انه سمع رجلا من بني وائل يقول قال النبي ﷺ «تجب الجمعة على كل مسلم الا امرأة أو صبيا أو مملوكا» وذهب أكثرهم انه لا جمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والارزاعي: تجب على العبد الخارج ، ولا على المسافر عند أكثرين ، وقال النخعي والزهري تجب على المسافر اذا سمع النداء ، وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة ، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا اسماعيل أخبرنا عبد المجيد صاحب الزبائدي ثنا عبد الله بن الحارث بن هر ثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: اذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حي على الصلاة قل صلوا في بيوتكم فكان الناس استنكروا فقال فطه من هو خير مني ، ان الجمعة عزيزة واني كرهت أن أخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدخض

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد



بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله ( فاسمعوا لله ) يعني أن تسمى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتناول قوله تعالى ( فلما بلغ معه السعي ) أي التثني معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحوه ذلك

ويستحب أن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه اليها لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائي وابن حبان

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن

أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السمرخسي في سنة إحدى وثمانين ثلثمائة أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ثنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي أنا يحيى بن حسان ثنا معاوية بن سلام أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعواد منبره « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الخزازي ثنا أبو العباس المصنعي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا علي ابن خنيسم أنا عيسى بن يونس عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان عن أبي الجعد يعني الضميري قال قال رسول الله ﷺ « من ترك الجمعة ثلاث مرات نهاونا بها طبع الله على قلبه »

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها . أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلا من أهل الكمال بأن يكونوا أحراراً عاقلين بالغين مقيمين لا يقطعون عنها شتاء ولا صيفاً - إلا ظعن حاجة - تجب عليهم إقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وقالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي

وقال علي لا الجمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ، ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تنعقد بأربعة والوالي شرط . وقال الاوزاعي وأبو يوسف : تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال ، وقال الحسن وأبو ثور : تنعقد باثنين كسائر الصلوات



أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلبغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق والفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجه . ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله »

وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي

وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رسلاً والدليل على جواز إقامتها في القرى ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المنشي أنا أبو عامر العقدي ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي حمزة الضبيعي عن ابن عباس قال : إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجوآني من البحرين

وإذا كان الرجل مقبلاً في قرية لا تقام فيها الجمعة أو كان مقبلاً في قرية فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة ، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق . والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهودي الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة ، فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة ، وقال سعيد بن المسيب : يجب على كل من آواه المبيت ، وقال الزهري : يجب على من كان على ستة أميال ، وقال ربيعة على أربعة أميال ، وقال مالك والبيهقي على ثلاثة أميال

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا جمعة على أهل السواد قريبة كانت القرية أو بعيدة وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ، وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقبلاً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة ، والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى ثنا أحمد بن منيع ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في مربة فوافق ذلك يوم الجمعة ففدا أصحابه وقال أنخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألقهم فلما صلى مع النبي



عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الانصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى »

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب الفخار فقال « ما على أحدكم أن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » رواه ابن ماجه

وقوله تعالى ( إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فالنداء

ﷺ رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدرت فضل غدوتهم »

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً عليه هيئة السفر يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال عمر اخرج فإن الجمعة لا تجبس أحداً عن سفره وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضلها منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحمري فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ فكان فيما حدثته أن قلت قال رسول الله ﷺ « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصبحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً الا أعطاه إياه » قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله ﷺ قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت أبة ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي فيها وذلك ساعة لا يصلي فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله ﷺ من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلها قال أبو هريرة بلى قال فهو ذاك

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك



الاول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما كان هذا السكنة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم هو ابن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو نعيم حدثنا ابراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول ان النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع اذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس وأما يومر بحضور الجمعة الرجال الاحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الاعذار كما هو مقرر في كتب الفروع

عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبد الله بن وداعة عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله ﷺ « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه او من من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا احمد بن خالد ثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي امامة يعني ابن سهل بن حنيف حدثنا عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركب ماشا الله أن يركب وانصت إذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها » وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة أيام لان الله تعالى يقول ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها )

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا ابو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن احمد بن عمر الوائلي ثنا ابو داود سليمان بن الاشعث ثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ثنا ابن المبارك عن الاوزاعي حدثني حسان بن عطية حدثني ابو الاشعث الصنعاني حدثني أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلبغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها »



(سورة الجمعة ٦٢ جز ٢٨) تحريم البيع عند أداء الجمعة وطلب الانتشار في الأرض بعدها ٣٥٩

وقوله تعالى ( واذكروا البيع ) أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم

وقوله تعالى ( ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) أي ترككم البيع وأقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون

وقوله تعالى ( فإذا قضيت الصلاة ) أي فرغ منها ( فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ) لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم اني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم

وروي عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى ( فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله )

وقوله تعالى ( واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ) أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث « من دخل سوقاً من الأسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة » وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم الجمعة وقفت على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأولى فالأولى فإذا خرج الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنه ثم الذي يليه كالمهدي بقره ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً حتى ذكر الدجاجة والبيضة قوله عز وجل ( فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ) أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض لتجارة والتصرف في حوائجكم ( وابتغوا من فضل الله ) يعني الرزق وهذا أمر بإباحة كونه ( وإذا حللتم فاصطادوا ) قال ابن عباس إن شئت فخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر ، وقيل ( فانتشروا في الأرض ) ليس لطلب الدنيا ولكن لزيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله ، وقال الحسن البصري وسعيد بن جبير ومكحول ( وابتغوا من فضل الله ) هو طلب العلم ( واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون )



وإذا رأوا تجرة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو ومن

التجرة، والله خير الرازيين (١١)

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً) أي على المنبر فخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقنادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الامام أحمد حدثنا ابن ادريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) اخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت غير إلى المدينة فابتدروا أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله

قوله عز وجل ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً ﴾ الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا خالد بن عبد الله أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فنار الناس إلا اثني عشر رجلاً فانزل الله (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) ويحتج بهذا الحديث « من يرى الجمعة باثني عشر رجلاً » وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط، وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لو تنازعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً » وقال مقاتل بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا أتمه وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وغيره فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس فيتبعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر



والذي نفسي بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا » ونزلت هذه الآية ( وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ) وقال كان في الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي قوله تعالى ( وتركوك قائماً ) دليل على ان الامام يخطب يوم الجمعة قائماً

وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : ان هذه القصة قد قيل انها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا

يخطب فخرج اليه الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي ﷺ « كم بقي في المسجد ؟ » فقالوا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي ﷺ « لولا هؤلاء اسومت لهم الحجارة من السماء » فازل الله هذه الآية ، وأراد بالهوى الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله ( انفضوا إليها ) رد الكناية الى التجارة لانها أم وقال علقمة شغل عبد الله بن عمر أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً ؟ قال أما تقرأ ( وتركوك قائماً )

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا أبو العباس الاحمدي أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما يجلس

أخبرنا اجماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو الاحوص عن ممالك عن جابر بن سمرة قال كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس . وبهذا الاسناد عن جابر بن سمرة قال كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً . والخطبة فريضة في صلاة الجمعة ويجب أن يخطب قائماً خطبتين وأقل ما يقيم عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعاً ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لانصح جمعه عند الشافعي وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى انه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزاء وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن مأمون أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة فعلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الاولى وفي الثانية ( اذا جاءك المنافقون ) فقال عبيد الله فلما انصرف مشيت الى جنبه فقلت له لقد قرأت بسورتين سمعت علي بن



معمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعني فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى [قل ما عند الله] أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته  
(آخر تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة)

أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة فقال سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة فقال كان يقرأ بهما أذاك حديث الفاشية ؟

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة ، بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك حديث الفاشية ؟ وربما اجتمعا في يوم واحد فيقرأ بهما . ولجواز الجمعة خمس شرائط : الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر ، والعدد والامام والخطبة ودار الإقامة فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها نظراً ، ولا يجوز للامام أن يتنهد . الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد الأربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة ، ولو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الامام يجب على المصلين أن يصلوها أربعاً ، وفيه قول آخر أن بقي معه اثنان أتمها الجمعة وقيل إن بقي معه واحد أتمها الجمعة ، وعند المازني إذا انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أتمها الجمعة . وإن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعاً وإن انتقص من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي يشترطه كالسبوق إذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فإذا سلم الامام أتمها الجمعة فإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعاً

قوله عز وجل ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة (والله خير الرازقين) لأنه موجد الرزاق فأياه فاستلوا ومنه فاطلبوا



## تفسير سورة المنافقين وهي مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن  
 المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساءما كانوا يعملون  
 (٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) وإذا رأيتهم  
 تتعجبك أوجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم  
 هم العدو فاحذرهم قتلهم الله أنى يؤفكون؟ (٤)

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالاسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما في باطن  
 الامر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى ( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك  
 لرسول الله ) أي اذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا  
 اعترض بجملة مخبرة انه رسول الله فقال ( والله يعلم انك لرسوله )  
 ثم قال تعالى [ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ] أي فيما أخبروا به وان كان مطابقا للخارج  
 لانهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم  
 وقوله تعالى ( اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ) أي اتقوا الناس بالآيمان الكاذبة  
 والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون ، فاعترض بهم من لا يعرف جليلة أمرهم فاعتقد أنهم مسلمون  
 فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون  
 الاسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى ( فصدوا عن

﴿ سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿ قالوا نشهد انك لرسول الله  
 والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ لانهم أضمرُوا خلاف ما أظهروا ﴿ اتخذوا  
 أيمانهم جنة ﴾ سترة ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ منعو الناس عن الجهاد والايان بمحمد ﷺ ﴿ انهم  
 ساء ما كانوا يعملون ﴾ ذلك بأنهم آمنوا ﴿ أقرؤا بالاسان إذ رأوا المؤمنين ﴾ ثم كفروا ﴿ اذ خلوا إلى



سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ولهذا كان الضحك من مزاحهم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم حنة) أي تصديقهم الظاهر حنة أي تقية يتقون به القتل، والجهود يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدلهم الضلالة بالهدى (فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص البهايم فلا تفي ولا تهتدي

وقوله تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غابة الضعف والخور والهلل والجزع والجنون ولهذا قال تعالى [يحسبون كل صيحة عليهم] أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لحسنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى (أشجته عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشجته على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟) أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟، وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمعي عن إسحاق بن بكير بن أبي الزرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن للمنافقين علامات يعرفونها : تحببهم لمنة وطعامهم نبهة وغنيبتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألون ولا يؤفون ، خشب بالليل صخب بالنهار» وقال يزيد بن مرة : صخب بالتهار

وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو أن رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم

المشركين (فطبع على قلوبهم) بالكفر (فهم لا يفقهون) الإيمان (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعني أن لهم أجساما ومناظر (وان يقولوا تسمع لقولهم) فتحسب أنه صدق قال عبد الله بن عباس كان عبد الله بن أبي جسيا فصيحا ذاق اللسان فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله (كانهم خشب مسندة) أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام ، قرأ أبو عمرو والكسائي خشب بسكون الشين ، وقرأ الباقر بضمها مسندة عمالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملتة والثقل للتكثير وأراد أنها ليست بأشجار تشرب ولكنهم خشب مسندة إلى حائط (يحسبون كل صيحة عليهم) أي لا يسمعون صوتا في العسكرية بأن نادى مناد أو انفلت دابة أو أنشد ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب ، وقيل ذلك لسكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرا يهلك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال (هم العدو) هذا ابتداء وخبره (فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون؟) يصرفون عن الحق (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر



مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، ان الله لا يهدي القوم الفاسقين (٦) هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجننا الا عز منها الاذل ، والله العزة وارسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (٨)  
يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله انهم ( إذا قبل لهم تعالى استغفر لكم رسول الله لو اراءوسهم ) أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم ولهذا قال تعالى ( ورايتهم يصدون وهم مستكبرون ) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى ( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ) كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الاحاديث المروية هناك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير العدي قال قال سفيان ( لو اراءوسهم ) قال ابن أبي عمير حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزراً ثم قال هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول كما سنورده قريباً ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان . وقد قال محمد بن اسحاق في السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفاً اذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو بخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لذلك لكم رسول الله ﷺ لو اراءوسهم ) أي عطفوا رؤسهم وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار . قرأ نافع ويعقوب لو اراءوسهم بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لانهم فعلوها مرة بعد مرة ( ورايتهم يصدون ) يعرضون عما دعوا اليه ( وهم مستكبرون ) متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم ( سواء عليهم أستغفرت لهم ) يا محمد ( أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ) ذكر محمد بن اسحاق وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ أنه بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم وقتل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفأها



بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنا قلت بحراً أن قت أشدد أمره فلقية رجال من الانصار يباب المسجد فقالوا ويلك مالك؟ قال قت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يحذوني ويصفوني لكأنا قلت بحراً أن قت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ قال والله ما ابغني أن يستغفر لي

وقال قتادة والسدي أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق الى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فاذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك واقتلت الانصار على ذلك الغلام فلاموه وعزأوه وانزل الله فيه ما سمعوا وقبل لهدهو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه أي لست فاعلا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان اذا نزل منزلاً لم ير نخل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال ليخرجن الاعز منها الاذل فانخل قل أن ينزل آخر النهار وقبل لعبد الله بن أبي أنت النبي ﷺ حتى يستغفر لك فانزل الله تعالى ( اذا جاءك المنافقون - الى قوله - واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لو اؤاؤهم ) وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن جبير، وقوله ان ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسان بن يزيد قال ابن اسحاق فحدثني

عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء فاقتلا فصرخ الجهني يامعشر الانصار وصرخ الغفاري يامعشر المهاجرين وأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جمال وكان فقيراً وغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن فقال ابن أبي أنفعلوها؟ فقد نافرنا وكأثرنا في بلادنا والله ما مثلمان ومثاهم إلا كما قال القائل سمن كلبك بأكلك أما والله ان رجعتا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ﷺ ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم أما والله لو أمسكنكم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفذوا من حول محمد



محمد بن يحيى بن حبان قال ازدها على الماء فاقتتلا فقال سنان يامعشر الانصار وقال الجهلاء يامعشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الانصار عند عبد الله بن أبي فلما سمعها قال قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلاليب قريش هذه إلا كما قال القائل سمن كليك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ثم اقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعتهم بأنفسكم أحللتهم لادكم وقاسمتهم أموالكم أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها الى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فكيف اذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن ناد يا عمر الرحيل فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله ﷺ مهجرا في ساعة كان لا يروح فيها فلقبه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحمت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال رسول الله ﷺ «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم انه اذا قدم المدينة سيخرج الاعز منها الاذل» قال فانت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وأنا لتنظم له الحرز لتتوجه فانه ليرى أن قد سلمته ملكا فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى امسوا وليلته حتى اصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس ان وجدوا من الارض فناموا ونزلت سورة المنافقين

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن اسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال

فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبعوض في قومك ومحمد ﷺ في عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين. فقال عبد الله بن أبي اسكت فانما كنت العب قال فمضى زيد بن أرقم الى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله قال «كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل» وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرمل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله ﷺ الى عبد الله بن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني ، فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب ، وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر من أصحابه من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله ، فعذره النبي



الانصاري يا الانصار وقال المهاجري يا المهاجرين فقال رسول الله ﷺ « ما بال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبي بن سلول وقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال جابر وكان الانصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ « دعاه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ورواه الامام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال فخلف عبدالله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك قال فلانني قومي وقالوا ما أردت الى هذا؟ قال فانطلقت فممت كنيشا حزينا قال فارسل إلي نبي الله ﷺ فقال « إن الله قد انزل عذرك وصدقك » قال فنزلت هذه الآية (م الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلن - لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي ﷺ ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به

(طريق أخرى عن زيد) قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا حدثنا امرئيل عن أبي اسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكر عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ فارسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته فارسل الى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فخلفوا

ﷺ وفشت الملامة في الانصار لزيد وكذبوه، وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الآن كذبك رسول الله ﷺ والناس كلهم يقولون ان عبد الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار ومفتوك، وكان زيد يسأير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحميا بعد ذلك أن يدنوا من النبي (ص) فلما استقل رسول الله (ص) وسار اقيه أسيد بن حضير فخباه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله (ص) « أو ما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أبي؟ » قال وما قال؟ قال « زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل » فقال أسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز، ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظموه له الحرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا، وبلغ



بالله ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصيني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي ما أردت الا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ؟ قال حتى انزل الله ( اذا جاءك المنافقون ) قال فبعث الي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال « إن الله قد صدقك »

ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق انه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يا رسول الله فوقع في نفسي مما قالوا فانزل الله تصديقي ( اذا جاءك المنافقون ) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فويلوا رؤوسهم

وقوله تعالى ( كأنهم خشب مسندة ) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ، ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث اسرائيل كلاهما عن أبي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به

( طريق أخرى عن زيد ) قال ابو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي سعيد الازدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقوننا اليه فسبق اعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطم عليه حتى يجي أصحابه قال فأتى رجل من الانصار الاعرابي فأرخصي زمام ناقته لتشرب فأتى أن يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبته فضرب بها رأس الانصاري فشجبه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام فقال عبد الله ﷺ لاصحابه اذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام

عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا ففرني به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » قال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى ولبثته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذنتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فوبق البقيع يقال له بقعاء فهاجت



فلما كل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعت إلى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني ، قال فجاء إلي عمي فقال ما أردت الا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون ؟ قال فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأمي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان أبا بكر لحقني وقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت ما قال شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابن بكر ، فلما ان أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انفرد باخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن مومي بهوزاد بعد قوله سورة المنافقين ( اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله - حتى بلغ - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلغ - ليخرجن الاعز منها الاذل )

وقد روى عبد الله بن لميعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر مومي ابن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق واكن جعلنا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي بن سلول انما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الابلبي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمر بن ثابت الانصاري أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيم وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك

ربح شديدة آذتهم وتخوفوا منها وضلت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليلا فقال رسول الله (ص) لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار توفي بالمدينة قبل من هو ، قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقةه ؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي ؟ فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وأخبره بمكان الناقة وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال « ما أزعجني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة » فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاءوا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم وكان من عطاء اليهود وكفنا للمنافقين ، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم جلست في



أحدهما من المهاجرين والآخري من بهز وهم حلفاء الانصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي يامعشر الانصار فنصره رجال من الانصار ، وقال المهاجري يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الانصار شيء من القتال ثم حمز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي بن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لانصر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبي عبد الله والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينقضوا ؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يزيد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله ﷺ لعمر ؟ « أوقاته أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الانصار ثم أحد بني عبد الاشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ [ص] « أوقاته أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله ﷺ « آذنوا بالرحيل » ففجر بالناس فسار يومه وليته والقدر حتى تمتع النهار<sup>(١)</sup> ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ (ص) « أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ « والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيحدث الناس اني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً »

(١) متع النهار متوعا أي ارتفع قبل الزوال

البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال يازيد « ان الله قد صدقك وأوفى بأذنتك » وكان عبد الله بن أبي أتى بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أنأخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال وراءك قال مالك ويحك ؟ قال لا والله لا تدخلها أبداً إلا بأذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات ، قالوا فلما نزلت الآية وبأن كذب عبد الله ابن أبي قيل له يا أبا خباب انه قد نزل فيك آي شدداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فأمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى ( وإذا قبل لهم نعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لوووا رؤسهم )



وأُنزل الله عز وجل ( هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ) الى قوله تعالى — يقولون لئن رجعنا الى المدينة ( الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد الا فيه )  
وقال محمد بن اسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي  
لما بلغه ما كان من أمر أبيه أنى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله  
ابن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا ففري به فأنا أهل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان  
لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله  
ابن أبي عشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترقب به  
ونحسن صحبته ما بقي معنا »

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله  
هذا على باب المدينة راستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه  
وراءك فقال مالك وبلك ؟ فقال والله لا نمجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز  
وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقفة فشكا اليه عبد الله بن أبي ابنه فقال  
ابنه عبد الله والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما اذا أذن لك  
رسول الله ﷺ فجز الآن

وقال ابو بكر عبد الله بن الزبير الحديدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابو هارون  
المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول  
رسول الله [ص] الاعز وأنا الاذل ، قال وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني  
أنك تريد ان تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت ان آتيك برأسه  
لا تبتك فاني أكره ان أرى قاتل أبي

يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك

الآية ونزل ( هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ) يتفرقوا ( والله خزائن  
السموات والارض ) فلا يعطي أحد أحدًا شيئاً الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ( ولكن المناققين  
لا يفقهون ) إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ( يقولون لئن رجعنا الى المدينة ) من  
غزوة بني المصطلق ( ليخرجن الأعز منها الاذل ، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ) فعزة الله قهره  
من دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم  
( ولكن المناققين لا يعلمون ) ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة  
قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم ) لا تشغلهم ( أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ) قال



هم الخسرون (٩) وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين؟ (١٠) ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون (١١)

يقول تعالى أمر العباد المؤمنين بكثرة ذكره وناهيكلم عن أن تشغلهم الاموال والاولاد عن ذلك ونخبركم لم بأنه من انتهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق في طاعته فقال ( وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين؟ ) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستعقب ويستدرك ما فاتته وهيئاته ، كان ما كان وأنى ما هوأت ، وكل بحسب تفریطه ، أما الكفار فكما قال تعالى ( وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبعم الرسل أولم نكونوا أقسمتم من قبل ؟ ما لكم من زوال ) وقال تعالى ( حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعوني \* لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ) .

ثم قال تعالى ( ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون ) أي لا ينظر أحدكم بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لورد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى ( والله خير بما تعملون )

وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو نجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآن ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل

المفسرون يعني الصلوات الخمس نظيره قوله ( لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) ( ومن يفعل ذلك ) أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ( فأولئك هم الخاسرون \* وأنفقوا مما رزقناكم ) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال ( من قبل أن يأتي أحدكم الموت ) فيسأل الرجعة ( فيقول رب لولا أخرتني ؟ ) هلا أخرتني أهلتني وقبل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لولا أخرتني ( إلى أجل قريب فأصدق ) فأنصدق وأزكي مالي ( وأكن من الصالحين ) أي من المؤمنين نظيره بقوله تعالى ( ومن صلح من آبائهم ) هذا قول مقاتل وجماعة وقالوا نزلت الآية في المنافقين وقيل نزلت الآية في المؤمنين والمراد بالصالح هنا الحج



ذلك فاولئك هم الخامسون \* وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خير بما تعملون / قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ، قال فما يوجب الحج ؟ قال الزاد والبعر ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حبة وهو أبو جناب السكبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح وضعف أبو جناب السكبي قلت ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهني عن عمه يعني أبا مشجعة بن ربيع عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره »

﴿ آخر تفسير سورة المنافقين والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس انه قال ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت ، وقرأ هذه الآية وقال ( وأكن من الصالحين ) أحج قرأ أبو عمرو وأكون بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فأصدق قال إنما حذف الواو من المصحف اختصاراً ، وقرأ الآخرون وأكن بالجرم عطفاً على قوله ( فأصدق ) لو لم يكن فيه الفاء لانه لو لم يكن فيه الفاء لكان جزماً يعني إن أخرتني أصدق وأكن ولانه مكتوب في المصحف بحذف الواو ﴿ وإن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون ﴾ قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء





## تفسير سورة التغابن وهي مدنية وقيل مكية

(١) قال الطبراني حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكر الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جداً بل منكر

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)

هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير (٢) خلق السموات والأرض

بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٣) يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما

تأثرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤)

﴿ سورة التغابن مدنية ﴾

قال عطاء هي مكية إلا ثلاث آيات من قوله ( يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ) إلى آخرهن وهي ثمان عشرة آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير \* هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾ قال ابن عباس إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً وروينا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً » وقال جل ذكره ( ولا يلدوا إلا فاجراً كافراً )

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد عن عبد الله بن أبي بكر بن أنس عن النبي ﷺ قال « وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يارب أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق فما الاجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه »



٣٧٦ خلق الله الخلق صنفين كافر ومؤمن ومذهب أهل السنة في خلق أفعال العباد تفسير ابن كثير والبغوي

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى ( له الملك وله الحمد ) أي هو المنصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويقدره وقوله تعالى ( وهو على كل شيء قدير ) أي مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع ومالم يشأ لم يكن وقوله تعالى ( هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ) أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بها أنتم الجزاء ولهذا قال تعالى ( والله بما تعملون بصير ) ثم قال تعالى ( خلق السموات والأرض بالحق ) أي بالعدل والحكمة ( وصوركم فأحسن صوركم ) أي أحسن أشكالكم كقول تعالى ( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ) وكقوله تعالى ( الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ) الآية وقوله تعالى ( واليه المصير ) أي المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية فقال تعالى ( يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور )

ألم يأتكم نبؤ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم؟ (٥) ذلك بأنه كانت تأتيمهم رسالهم بالبينت فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد (٦)

وقال جماعة معنى الآية أن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال ( فمنكم كافر ومنكم مؤمن ) كما قال الله تعالى ( والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من مشى على بطنه ) فالله خلقهم والمشي فعلهم ثم اختلفوا في تأويلها ، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة ، وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب ، وقيل فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية ومنكم مؤمن بأن الله خلقه ، وجملة القول فيه أن الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته ، فالؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ، وهذا طريقتان أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر ( خالق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير \* يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور \* ألم يأتكم؟ ) يخاطب كفار مكة ( نبأ الذين كفروا من قبل )



يقول تعالى مخبراً عن الامم الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالخلق فقال تعالى ( ألم بأنكم نبا الذين كفروا من قل ) أي خبرهم وما كان من أمرهم ( فذاقوا وبال أمرهم ) أي وخيم تكذيبهم ورددي أفعالهم وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والحزني ( ولهم عذاب أليم ) أي في الدار الآخرة مضاف الى هذا الدنيوي

ثم علل ذلك فقال ( ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ) أي بالحجج والدلائل والبراهين ( فقالوا أبشر يهدوننا ) أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ( فكفروا وتولوا ) أي كذبوا بالخلق ونكلكوا عن العمل ( واستغنى الله ) أي عنهم ( والله غني حميد )

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على

الله يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم

يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله

جنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (٩) والذين كفروا

وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب النار خلدين فيها وبئس المصير (١٠)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ( قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ) أي لتخبرن بجميع اعمالكم جليلها وخميرها صغيرها وكبيرها ( وذلك على الله يسير ) أي بعثكم ومجازاتكم وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالاولى في سورة يونس ( وبستنبؤنك أحق هو ؟ قل إني وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ) والثانية في سورة سبأ ( وقال الذين كفروا لا تأتي الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ) الآية والثالثة هي هذه ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير )

يعني الامم الخالية ( فذاقوا وبال أمرهم ) يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا ( ولهم عذاب أليم ) في الآخرة ( ذلك ) العذاب ( بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ) ولم يقل يهدونا لان البشر وان كان لفظاً واحداً فانه في معنى الجمع وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه وواحد انسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدبي مثلنا يهدونا ( فكفروا وتولوا واستغنى الله ) عن إيمانهم ( والله غني ) عن خلقه ( حميد ) في أفعاله

ثم أحبر عن إنكارهم للبعث فقال جل ذكره ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل ) يا محمد



٣٧٨ الإيمان بأن كل أمر يصيب الإنسان إنما هو باذن الله وقدره (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن (والله بما تعملون خبير) أي فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية

وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يقبضون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان لا غيب أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار، قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم (١١)

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسو لنا البالغ المبين (١٢) الله لا إله إلا

هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٣)

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) قال ابن عباس بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) أي ومن أصابته

(بلى وربى لتبين ثم لتنبؤ بما عملتم وذلك على الله يسير) \* فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وهو القرآن (والله بما تعملون خبير) \* يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالغبنون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) قرأ أهل المدينة والشام نكفر ندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء (خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير \* ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله (بارادته وقضائه) (ومن يؤمن بالله) فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا باذن الله (يهد قلبه) بوقفه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما



مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه وبقينا صادقا وقد يخاف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه  
قال علي بن أبي طاحه عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعني يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الامام عمن عن أبي ظبيان قال كنا عند علقمة فقرأ هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فسئل عن ذلك فقال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعني يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)

وفي الحديث المتفق عليه «عجا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سرأ شكر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن»

(١) وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أنه سمع جنادة ابن أبي أمية يقول سمعت عبادة بن الصامت يقول إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أي العمل أفضل قال «إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله» قال أريد أهون من هذا يا رسول الله قال «لا تنهم الله في شيء قضى لك به» لم يخرجوه

وقوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى زجر. ثم قال تعالى (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أي ان نكلتم عن العمل فانما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حاتم من السمع والطاعة. قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم.

ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحمد الصمد الذي لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فالاول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أي وحدوا الالهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوا كيوماً)

يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم، وان تعفوا وتصفحوا

وتغفروا فان الله غفور رحيم (١٤) انما أمو'لكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥)

أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه «والله بكل شيء عليم» وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين «الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون»

قوله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم» قال ابن عباس هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فنههم أزواجهم وأولادهم



فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ واسمعوا وأطيعوا وأتقوا خيراً لا تفسدكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) ان تَرْضُوا اللَّهَ قَرْضاً حسناً يضعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلِيم (١٧) علم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن الازواج والاولاد ان منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه ياتني به عن العمل الصالح كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم، وقال مجاهد (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم) قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خاف الصبدلاني حدثنا الفريابي حدثنا امرئيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهوؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأتى أزواجهم وأولادهم أن يدعوم فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد قهوا في الدين فبهوا أن يعاقبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث امرئيل به، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولى سواء

وقوله تعالى (انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى انما الاموال والاولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى (فاحذروهم) أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) هذا فيمن أقام على الاهل والولد ولم يهاجر فاذا هاجر رأى الذين سبقوه بالمجرة وقد قهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وإن لحقوا في دار الهجرة لم ينفع عليهم ولم يصيبهم بخير فامرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح

وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا اهل وولد وكان إذا اراد ان يزور بكوا اليه ورقوه وقالوا إلى من تدعنا؟ فيرق لهم ويقم فأنزل الله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم (يحبهم إياكم على ترك الطاعة فاحذروهم أن تقبلوا منهم) (وان تعفوا وتصفحوا) فلا تعاقبهم



وقوله تعالى ( والله عنده ) أي يوم القيامة ( أجر عظيم ) كما قال تعالى ( زين للناس حسب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ) والتي بعدها

وقال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبدالله بن بريدة سمعت ابا بريدة يقول كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قبصان أحمران بمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين بمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي حسن غريب انما نعرفه من حديثه وقال الامام احمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي حدثنا الاشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي « هل لك من ولد ؟ » قلت غلام ولدي في مخرجي اليك من ابنة جدد ووددت أن يكون سبب القوم فقال « لا تقوان ذلك فان فيهم قرعة عين وأجرا اذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذلك انهم لمحزنة محزنة » تفرد به احمد

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « الولد ثمرة القلوب وأنهم محبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد

(١) وقال الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن اعماس بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك الاشعري ان رسول الله [ ص ] قال « ليس عدوك الذي ان قتلته كان فوزا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدوك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم اعدى عدوك مالك الذي ملكك بمينك »

على خلافهم اياكم ( فان الله غفور رحيم ) ( انما أموالكم وأولادكم فتنة ) بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الانسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام ( والله عنده أجر عظيم ) قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من التبعض فقال ( ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من قوله ( انما أموالكم وأولادكم فتنة ) لانها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقوان أحدكم اللهم اني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقول اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن

اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفر في انا ابو سعيد احمد بن محمد بن الفضل الفقيه انا ابو الحسن احمد بن اسحاق الفقيه ثنا احمد بن بكر بن يوسف ثنا علي بن الحسن انا الحسن بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت ابا بريدة يقول كان رسول الله ﷺ يخطبنا فبجاء الحسن والحسين وعليهما قبصان أحمران بمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما

(١) هذا غير موجود في النسخة المسكية



٣٨٢ الامر بتقوى الله على قدر الاستطاعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ( تفسير ابن كثير والبقوي )

وقوله تعالى ( فاتقوا الله ما استطعتم ) أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله [ ص ] « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة لما في آل عمران وهي قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون )

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن طهية حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله ( اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين ( فاتقوا الله ما استطعتم ) فلنسخ الآية الأولى وروي عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك

وقوله تعالى ( واسمعوا وأطيعوا ) أي كونوا متقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تعبدوا عنه يمينا ولا بسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ، ولا تركوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى ( وانفقوا خيرا لأنفسكم ) أي وابذلوا أعماركم لله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات واحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وان لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الاحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن اعادته هنا والله الحمد والمنة

وقوله تعالى ( ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ) أي مهما أنفقتم من شيء فهو بخلافه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاءه ، ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين ان الله تعالى يقول « من يقرض غير ظلم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة ( يضاعفه له أضعافا كثيرة ) ( ويغفر لكم ) أي ويكفر عنكم السيئات ، ولهذا قال تعالى ( والله شكور ) أي يجزي على القليل بالكثير ( حلیم ) أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات ( عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ) تقدم تفسيره غير مرة ( آخر تفسير سورة التغابن والله الحمد والمنة )

بين يديه ثم قال « صدق الله [ انما أموالكم وأولادكم فتنة ] نظرت الى هذين الصبيين يشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ( فاتقوا الله ما استطعتم ) أي ألقم هذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ( واسمعوا وأطيعوا ) الله ورسوله ( وانفقوا خيرا لأنفسكم ) أي أنفقوا من أموالكم خيرا لأنفسكم ( ومن يوق شح نفسه ) حتى يعطي حق الله من ماله ( فأولئك هم المفلحون ) ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم \* عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم



## تفسير سورة الطلاق وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً (١)  
خو طب النبي ﷺ أولاً تشريفاً وتسكيراً ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)

وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن شعيب الفناري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأنت أهلها فأزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في الجنة . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسل ، وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها

سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾ نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم فخطاب الجميع معه وقيل مجازة يا أيها النبي قل لأمك إذا طلقتم النساء أي إذا أردتم تطليقهن كقول عز وجل [ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ] أي إذا أردت القراءة ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ أي لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن ( فطلقوهن في قبل عدتهن ) فنزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال (يا عمر مره فليراجعها ثم ليسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ) ورواه سالم عن ابن عمر قال فره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر



وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيط رسول الله ﷺ ثم قال « ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسيها فذلك العدة التي أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخاري وهنا قد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والمسند من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام

وأما لفظ يورد هنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمعون : كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها - فردها وقال - إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ ( يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ) في قبل عدتهن

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى ( فطلقوهن لعدتهن ) قال الطهر من غير جماع ، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك ، وهو رواية عن عكرمة والضحاك ، وقال

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الريم أنا الشافعي أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل عبد الله بن عمرو أبو الزبير يسمعون فقال كيف ترى في رجل طلق امرأة حائضا فقال ابن عمرو طلق عبد الله بن عمر امرأته حائضا فقال النبي ﷺ « مرد فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمرو قال الله عز وجل [ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن - أو - لقبل عدتهن ] الشافعي يشك ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج وقال قال ابن عمر وقرأ النبي ( ص ) [ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن ]

( فصل ) أعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر القمي جامعها فيه لقول النبي ( ص ) « وإن شاء طلق قبل أن يمسي » والطلاق - النبي أن يطلقها في طهر لم يجمعها فيه وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فالما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط أو الآية بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو في حال رؤية الدم لا يكون بدعيًا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي ( ص ) قال « ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا » والحلم في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيًا لان النبي ﷺ اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الأحوال لا شبه أن يتعرف الحال ولو طلق



علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( فطلقوهن لعدتهن ) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة

وقال عكرمة ( فطلقوهن لعدتهن ) العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا . ومن هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه الى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملًا قد استبان حملها ، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لاسنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، ونحوه الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله تعالى ( وأحصوا العدة ) أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ( واتقوا الله ربكم أي في ذلك

وقوله تعالى ( لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ) أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج

أمراته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً يصحى الله تعالى ولكن يقع الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة ولو لا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة ، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس ابن سيرين عن ابن عمر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم لم يسكنها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فاستحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعتها أياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ، ولا بدعة في الجرم بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعيًا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم الى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي

قوله عز وجل ( وأحصوا العدة ) أي عدد أقرانها فاحفظوها قبل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى ( واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ) أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز له أن يخرجها منه ( ولا يخرجن ) ما لم تنقض العدة فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أتمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدمًا أو غرقًا فلها أن تخرج إلى منزل آخر ، وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً ولا يجوز ليلًا فإن رجلاً استشهدوا بأحد فقالت نسأؤم نستوحش في بيوتنا فأذن لهم النبي ﷺ أن يتحدثن عند أحدهن فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها وأذن النبي ﷺ لحالة جابر حين طلقها زوجها أن تخرج لجزاز نخلها ، وإذا لزمتهما العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وجائية والبدوية تنبؤاً حيث يتبؤ أهلها في العدة لأن الانتقال في حقهم كالقائمة في حق المقيم



مادامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا وقوله تعالى ( إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ) أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد ابن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم ، وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى ( وتلك حدود الله ) أي شرائعه ومحارمه [ ومن يتعد حدود الله ] أي يخرج عنها ويتجاوزها إلى غير ها ولا يأتمر بها [ فقد ظلم نفسه ] أي بفعل ذلك

وقوله تعالى [ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ] أي إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أسوأ وأسهل قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى [ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ] قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للعتونة أي المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأتت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أحصى تضعين ثيابك » الحديث

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال: قدمت المدينة فأنيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ فبعثه رسول الله ﷺ في مربة قالت فقال لي أخوه أخرجني من الدار فقلت إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل

قوله عز وجل ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ قال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبدأ على أهل زوجها فيحل أخراجها ، وقال جماعة أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود ، وقال قتادة معناه إلا أن يطلقها عن نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز

وقال ابن عمر والسدي خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾



قال لاء قالت فأثبت رسول الله ﷺ فقلت : ان فلانا طلقني وان أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له « مالك ولا بنت آل قيس ؟ » قال يا رسول الله ان أخي طلقها ثلاثا جميعا قالت فقال رسول الله ﷺ « انظري يا بنت آل قيس انما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فاذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى أخرجني فانزلي على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث

وقال ابو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا اسحاق بن ابراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي انه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها ابو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت ان أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش الى اليمن بطلاقي فسألت أوليائه النفقة علي والسكنى فقالوا ما أرسل البنا في ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت الى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ان أبا عمرو ابن حفص أرسل إلي بطلاقي فسألت أوليائه السكنى والنفقة علي فقال أوليائه لم يرسل البنا في ذلك بشيء فقال رسول الله ﷺ « انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان زوجها عليها رجعة فاذا كانت لا تحمل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى »

وكذا رواه النسائي عن احمد بن يحيى الصيرفي عن ابي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الاحمسي البجلي الكوفي قال ابو حاتم الرازي هو شيخ بروى عنه

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله يبلغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا (٣)

يقول تعالى فاذا بلغت المعتدات أجلهن اي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ اما أن يعزم الزوج على امساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ( بمعروف ) أي محسنا اليها في صحبتها ، واما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أي من غير مقابحة ولا مشامة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

ويوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلاقين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنته المراجعة ( فاذا بلغن أجلهن ) أي قربن من انقضاء عدتهن ( فأمسكوهن ) أي راجعوهن ( بمعروف أو فارقوهن بمعروف ) أي اتركوهن حتى تنقضي



وقوله تعالى ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) أي على الرجعة إذا عزمتم عليها كإرواء ابوداود وابن ماجه عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تمد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر

وقوله تعالى ( ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ) أي هذا الذي أمرناكم به من الشهاد وإقامة الشهادة إنما يأمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد أقواله إلى وجوب الشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول أن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الشهاد عليها .

وقوله تعالى ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ) أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا يخطر بباله قال الامام احمد ثنا يزيد انا كهمس بن الحسن ثنا ابو السليل عن ابي ذر قال : جعل رسول الله ﷺ يتلو علي هذه الآية ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتمهم » قال فجعل يتلوها ويردها علي حتى نعتت ثم قال « يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة انطلق فأكون حمامة من حمام مكة ، قال « كيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ » قال قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام ؟ » قلت إذا والذي بعثك بالحق أضمر سيفي على عاتقي ، قال « أوخير من ذلك » قلت أوخير من ذلك ؟ قال « تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً »

عدهن فيمن منكم ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) على الرجعة أو الفراق أمر بالشهاد على الرجعة وعلى الطلاق ( وأقيموا الشهادة لله ) أيها الشهود ( ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ) ومن يتق الله يجعل له مخرجا ( قال عكرمة والشعبي والضحاك ) ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة وأكثر المفسرين قالوا نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أمر المشركون ابنه له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أمر العدو ابني وشكا إليه أيضا الفاقة فقال له النبي ﷺ « اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها إلى أبيه

وروي السكبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال : ففعل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى



وقال ابن أبي حاتم ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا علي بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير ابن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ان اجمع آية في القرآن ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان ) وان أكبر آية في القرآن فرجا ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا )

وفي المسند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب »

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ( ويرزقه من حيث لا يحتسب ) وقال الربيع بن خثيم ( يجعل له مخرجا ) أي من كل شيء ضاق على الناس ، وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا ، وكذا روي عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) يعلم أن الله ان شاء أعطى وإن شاء منع ( من حيث لا يحتسب ) أي من حيث لا يدري

وقال قتادة ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) أي من شبهات الأمور والكرب عند الموت ( ويرزقه من حيث لا يحتسب ) من حيث لا يرجو ولا يأمل ، وقال السدي ( ومن يتق الله ) يطلق للسنة ويراجع السنة ، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله [ص] فيشكو اليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله [ص] يأمره بالصبر ويقول له « ان الله سيجعل لك فرجا » فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا ان انفلت ابنه من أيدي العدو فر بغم من غنم العدو فاستاقها فجاء بها الى أبيه وجاء معه بغم قد أصابه من المغنم فنزلت فيه هذه الآية ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ) رواه ابن جرير ، وروي أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسل نحو

وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليعرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به

ايه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) في ابنه ( ويرزقه من حيث لا يحتسب ) ما ساق من الغنم

وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر وسأله أمهل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي ﷺ نعم فانزل الله هذه الآية قال ابن عباس وابن مسعود ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) هو ان يعلم أنه من قبل الله وان الله رازقه ، وقال الربيع ابن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس ، وقال ابو العالية يجعل له مخرجا من كل شدة







( قد جعل الله لكل شيء قدراً ) كقوله تعالى ( وكل شيء عنده بمقدار )

والشئ يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر والشئ لم يحضن ،  
وأولت الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً (٤) ذلك  
أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً (٥)

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضاً  
عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كدلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض  
ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى ( واللاتي لم يحضن )

وقوله تعالى [ ان ارتبتم ] فيه قولان ( أحدهما ) وهو قول طائفة من السلف كجهاهد والزهري  
وابن زيد أي إن رأين دماً وشككنتم في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه (والقول الثاني) ان ارتبتم  
في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو  
أظهر في المعنى ، واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وأبي السائب قالنا ابن ادريس انا مطرف عن  
عمرو بن سالم قال قال أبي بن كعب يارسول الله ان عدداً من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار  
والكبار وأولات الاحمال قال فأنزل الله عز وجل [ واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم  
فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللاتي لم يحضن ، وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ]

الله لكل شيء قدراً ) أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي اليه ، قال مسروق  
في هذه الآية ( ان الله بالغ أمره ) توكل عليه أو لم يتوكل غير أن المتوكل عليه يكفر عنه  
سيئاته ويعظم له أجراً

قوله عز وجل ( واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم ) فلا يرجون أن يحضن ( ان ارتبتم )  
أي شككنتم فلم تدروا ما عدتهن ( فعدتهن ثلاثة أشهر ) قال مقاتل لما نزلت ( والمطلقات يتربصن  
بأنفسهن ) ثلاثة قروء ، قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يارسول الله فسا عدة من لا تحيض  
والتي لم تحض وعدة الحبل ؟ فأنزل الله ( واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم ) يعني القواعد اللاتي  
قدن عن الحيض ( إن ارتبتم ) شككنتم في حكمهن فعدتهن ثلاثة أشهر ( واللاتي لم يحضن ) يعني  
الصغار اللاتي لم يحضن فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر ، أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل  
بلوغها سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعد بثلاثة  
أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعد بثلاثة أشهر وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن



ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبي ثنا يحيى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن أبي بن كعب قال : قلت لرسول الله ﷺ ان ناسا من اهل المدينة لما انزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء لم يذكر في القرآن الصغار والكبار الاثني قد انقطع منهم الحيض وذوات الحمل قال فانزلت التي في النساء القصوى ( والاثني يتسن من الحيض من نسائك ان ارتبتم فعدتن ثلاثة اشهر والاثني لم يحضن ) وقوله تعالى ( وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ) يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعها ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفراق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية

وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها ذهبا في المتوفى عنها زوجها انها تعتد بأبعد الاجلين من الوضع والاشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخاري ثنا سعيد بن حفص ثنا شيخان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل الى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال افتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الاجلين قلت أنا ( وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت : قتل زوج سبيعة الاسمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا ومن وجوه أخر وقال الامام احمد : ثنا حماد بن اسامة أنا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الاسمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت فلما نعلت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت

ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثني أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن

مسعود ، وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تبرص تسعة أشهر فان لم تحض اعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك

وقال الحسن تبرص سنة فان لم تحض اعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق ، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض ، وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى ( وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ) أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان أنا الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه ان سبيعة بنت الحارث



عبدالله بن عتبة ان اياه كتب الى عمر بن عبدالله بن الارقم الزهرري يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الاسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ؟ فكتب عمر بن عبدالله يخبره ان سبيعة اخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرأ فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلمت من نفاسها نجمت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بهكك فقال لها مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح انك والله ماأنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدا لي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً

ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الاول عند هذه الآية ، وقال أبو سليمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الاجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة قال فصر لي بهض أصحابه قال محمد ففطنت له فقلت اني لجري . ان أ كذب على عبدالله وهو في ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسأله فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبدالله فيها شيئاً ؟ فقال كناعند عبدالله فقال أنجعلون عليها التخليط ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ( وأولات الاحمال أجلهن أن يرضعن حملهن ) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية عن أيوب به مختصراً ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره

وقال ابن جرير حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مرجم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة الكوفي عن ابراهيم عن علقمة بن قيس أن عبدالله بن مسعود قال : من شاء لاعنته ما نزلت ( وأولات الاحمال أجلهن أن يرضعن حملهن ) الا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال واذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت بريد بآية المتوفى عنها ( والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ) وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مرجم به ثم قال ابن جرير ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عن ابن مسعود آخر الاجلين فقال من شاء قاسمته بالله ان هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الاربعة الاشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما في بطنها

وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها ابو السنابل بن بهكك فقال قد نصنعت للازواج انها أربعة أشهر وعشر فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال « كذب ابو السنابل - او - ليس كما قال ابو ( تفسير ابن كثير والبقوي ) ( ٥٠ ) ( الجزء الثامن )



وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن أبي الضحبي عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن علياً رضي الله عنه يقول آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان التي في النساء الفصرى نزلت بعد البقرة (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعمش

وقال عبدالله بن الامام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر المصدي أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها زوجها؟ فقال «هي المطلقة ثلاثاً والمتوفى عنها» هذا حديث غريب جداً بل منكر لأن في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرّة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود الساجي ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لا أدري أمشركة أم مبهمّة؟ قال رسول الله ﷺ «آية آية؟» قال (أجلهن أن يضعن حملهن) المتوفى عنها والمطلقة؟ قال «نعم» وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى ابن داود عن ابن لهيعة به

ثم رواه عن أبي كريب أيضاً عن مالك بن اسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي الحارث أنه حدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال «أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها» عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أياً وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) أي يسهل له أمره ويديره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله اليكم) أي حكمه وشرعه أنزله اليكم بواسطة رسول الله ﷺ (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

أَسْكَنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلْنَ فَلْأْتِفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِلسَتِ رَضْعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيَنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ

السنابل قد حلت فتزوجي» (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) يعني ما ذكر من الاحكام (أمر الله أنزله اليكم) ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً \* أَسْكَنُوهُنَّ يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم) من صلة أي أسكنوهن حيث سكنتم



عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)  
يقول تعالى أمر أعباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال أسكنوهن  
من حيث سكنتم أي عندكم من (وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعنكم حتى قال  
قتادة إن لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه  
وقوله تعالى ( ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ) قال مقاتل بن حيان يعني بضاجرها لتفتدي منه  
بما لها أو تخرج من مسكنه ، وقال الثوري عن منصور عن ابى الضحى ( ولا تضاروهن لتضيقوا  
عليهن ) قال يطلقها فإذا بقي يومان راجعها  
قوله تعالى ( وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ) قال كثير من العلماء منهم

﴿ من وجدكم ﴾ سعنكم وطافتكم يعني إن كان مومرا أو يوسم عليها في المسكن والنفقة وإن كان فقيرا  
فعلى قدر الطاقة ﴿ ولا تضاروهن ﴾ لا تؤذوهن ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ في مساكنهن فيخرجن ﴿ وإن كن  
أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ فيخرجن من عدتهن

﴿ فصل ﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني  
بالسكنى مؤنة السكنى ، فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها  
ويترك الدار لها مدة عدتها ، وإن كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وإن كانت عارية ورجع المعير  
فعليه أن يكثر في ما دارا تسكنها ، فأما المعتدة البائنة بالخلم أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى  
حاملًا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم ، روي ذلك عن ابن عباس أنه قال : لا سكنى لها إلا أن  
تكون حاملًا وهو قول الحسن وعطاء ، والشعبي . واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا  
أن تكون حاملًا ، روي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء ، والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد  
ومنه من أوجبها بكل حال ، روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي ، وبه قال الثوري  
وأصحاب الرأي ، وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلا أن تكون حاملًا لان الله تعالى قال ( وإن  
كن أولات حمل فأنفقوا عليهن ) والدليل عليه من جهة السنة ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد  
السرخسي أن أبا زاهر بن أحمد أن أبا اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن يزيد مولى  
الأود بن سفيان عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة  
وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيه بشعر فسخطته فقال والله مالك علينا من شيء ، فجاءت رسول  
الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال لها « ليس لك عليه نفقة » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال  
« تلك امرأة يغضبها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضمين ثيابك فإذا حلت  
فأذني » قالت فلما حلت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله



ان عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا ، وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وإنما نص على الانفاق على الحامل وإن كانت رجعية لأن الحمل تطول مدته غالبا فاحتج إلى النص على وجوب الانفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة ، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع

« أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد » قالت فكرهته ثم قال « انكحي أسامة بن زيد » فنكحته فجعل الله فيه خيرا وابتغيت به

واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة فيه لما روي عن عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش خيف على ناحيتها . وقال سعيد بن المسيب : إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على إحمائها وكان لسانها ذراية أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا . والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم ، وروي عن علي رضي الله عنه أن هذه النفقة إن كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكنائها وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان [ أحدهما ] لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه [ والثاني ] لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق

واحتج من أوجب لها السكنى بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أن أبا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريرة بنت مالك بن سنان وهي اخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن يرجم إلى أهلها في بني خديرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن يرجم إلى أهلها فإن زوجي لم يتركني في منزل بملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله ﷺ « نعم » فأنصرفت حتى إذا كنت في الحجر أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله ﷺ فدعيت فقال رسول الله ﷺ « كيف قلت؟ » قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي فقال « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا ، قالت فلما كان نعي خلافة عثمان أرسل إلي فساألني عن ذلك فأخبرته فاتبه ونفى به ، فن قال بهذا القول قال أذنه لفريرة أولا بالرجوع إلى أهلها صار منسوخا بقوله آخر « امكثي في بيتك »



وقوله تعالى ( فان أرضعن لكم ) أي اذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه بالآباء وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالباً إلا به ، فان أرضعت استحققت أجر مثلها ولها أن تعاقده أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجره ولهذا قال تعالى ( فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن )

وقوله تعالى ( واثمروا بينكم بمعروف ) أي ولكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة [ لانضار والده بولدها ولا مولود له بولده ، وقوله تعالى ( وإن تعامستم فسترضع له أخرى ) أي وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيراً ولم يجبهها الرجل إلى ذلك أو بذله الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الام بما استؤجرت به الاجنبية فهي أحق بولدها

وقوله تعالى ( لينفق ذو سعة من سعته ) أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ) كقوله تعالى ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سألت عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بألف دينار وقال الرسول انظر ما يصنع بها اذا هو أخذها ؟ فما لبث ان لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام فجاء الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية ( لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله )

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا هاشم بن زيد الطبراني ثنا محمد بن اسماعيل ابن عياش أخبرني أبي أخبرني ضميم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه الحارث قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية ، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق - فقال رسول الله ﷺ - هم في الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله » قال الله تعالى ( لينفق ذو سعة من سعته ) هذا

حتى يبلغ الكتاب أجله ، ومن لم يوجب السكنى قال : أمرها بالملك في بيتها آخرها استحباباً لا وجوباً قوله عز وجل ( فان أرضعن لكم ) أي أرضعن اولادكم ( فآتوهن أجورهن ) على ارضاعهن ( واثمروا بينكم بمعروف ) ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف ، وقال الشافعي شاوروا ، قال مقاتل : يتراضى الاب والام على اجر مسمى ، والخطاب للزوجين جميعاً يأمرهم ان يأثروا بالمعروف وبما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار ( وإن تعامستم ) في الرضاع والاجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الام ان ترضعه فليس له اكرامها على ارضاعه ولكنه يستأجر قصبي مرضعاً غير امه وذلك قوله ( فسترضع له أخرى \* لينفق ذو سعة من سعته ) على قدر غناه ( ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما



حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى ( سيجعل الله بعد عسر يسراً ) وعد منه تعالى ووعدته حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى ( فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً )

وقد روى الامام احمد حديثاً يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : قال ابو هريرة بينا رجل وامرأة له في الساف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم أبشر أنا اننا رزق الله فاستعشها فقال وبحك ابنتي إن كان عندك شيء قالت نعم هنيئة ترجو رحمة الله حتى اذا طال عليه الطول قال وبحك قومي فابنتي إن كان عندك شيء فابنتي به فاني قد بلغت وجهدت ، فقالت نعم الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكنت عنها ساعة ونجحت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت مافي تنورها من جنوب الغنم ، قال ابو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد صلى الله عليه وسلم « لو أخذت مافي رحيها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة »

وقال في موضع آخر ثنا ابو عامر ثنا ابو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البهية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرت ، ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعددي شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما انه لو لم ترفضها لم تزل تدور إلى يوم القيامة »

وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فأسبغها حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً (٨)

فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً (٩) أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي

الالْبُ الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً (١٠) رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبینة ليخرج

الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله

جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً (١١)

آناه الله من المال لا يكلف الله نفساً في النفقة إلا ما آتاها أعطاه من المال سيجعل الله

بعد عسر يسراً بعد ضيق وشدة غنى وسعة

قوله عز وجل « وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله » أي وأمر رسله



يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبراً عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكان من قربة عنت عن أمر ربها ورسله) أي تمردت وطفئت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً) أي منكرأ فظيماً [فذاقت وبال أمرها] أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم [وكان عاقبة أمرها خسراناً] أعد الله لهم عذاباً شديداً [أي في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا] ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء [فأتقوا الله يا أولي الألباب] أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله اليكم ذكراً) يعني القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم رسولا منصوب على أنه بدل اشتمال وملازمة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسير له ولهذا قال تعالى (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات) أي في حال كونها بيينة واضحة جلية (ليخرج الدين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى [كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور] وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) (١) أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمي الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما هي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى [ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله لهم رزقاً] وقد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته هنا والله الحمد والمنة

(١) هذه العبارة ليست في النسخة المكية

﴿فحاسبناها حساباً شديداً﴾ بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل حاسبناها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله ﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾ منكرأ فظيماً وهو عذاب النار لفظهما ماض ومعناها الاستقبال، وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازاً فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ جزءاً أمرها، وقيل ثقل عاقبة كفرها ﴿وكان عاقبة أمرها خسراناً﴾ خسراناً في الدنيا والآخرة  
قوله ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً﴾ يعني القرآن ﴿رسولاً﴾ بدل من الذكر، وقيل أنزل اليكم قرآننا وأرسل رسولا، وقيل مع الرسول وقيل الذكر هو الرسول، وقيل ذكرأ أي شرفاً ثم بين ما هو؟ فقال ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الدين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات



الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن ينزل الامر بينهن لتعلموا ان الله

على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً (١٢)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعنا على تعظيم ما شرع من الدين القويم [الله الذي خلق سبع سموات] كقوله تعالى إخباراً عن نوح انه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً؟) وقوله تعالى [نسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن]

وقوله تعالى (ومن الارض مثلن) أي سبعة أيضاً كما ثبت في الصحيحين «من ظلم قيد شبر من الارض طوفه من سبع أرضين»<sup>(١)</sup> وفي صحيح البخاري «خسف به الى سبع أرضين» وقد ذكرت طرقة وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الارض والله الحمد والمنة

(١) وهذه الزيادة ليست في النسخة المكية

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وخالف القرآن والحديث بلا مستند، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى [هو الاول والآخر والظاهر والباطن] ذكر الارضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الآخر «ما السموات السبع وما بينهن وما بينهن والارضون السبع وما بينهن وما بينهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»

وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (سبع سموات ومن الارض مثلن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفرتم تكذيبكم بها، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الاشعري عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبيرة قال قال رجل لابن عباس (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن) الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك ان أخبرتك بها فكفر؟

وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المنثري قالنا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن) قال عمرو قال في كل ارض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق

وقال ابن المنثري في حديثه: في كل سماء ابراهيم، وروي البيهقي في كتاب الاسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس انه قال (الله الذي

يجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً) يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن) في العدد (ينزل الامر بينهن) بالوحي من السماء السابعة إلى الارض السفلى، قال أهل المعاني هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج



خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى)

ثم روى البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام، ثم قال البيهقي إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لأعلم لأبي الضحى عليه متابعا والله أعلم

قال الامام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار حدثني اسحاق ابن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها يياضها - أو قال - يياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمن ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان ابن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك

( آخر تفسير سورة الطلاق والله الحمد والمنة )

النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء وبخلق الحيوان على اختلاف هياكلها وينقلها من حال إلى حال ، وقال قتادة في كل أرض من أرضه وسما من سمائه خلق من خلقه ، وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه ( لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ) وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً فلا يخفى عليه شيء .





## تفسير سورة التحريم وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١)  
 قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم (٢) وإذا أسر النبي إلى  
 بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما  
 نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال نبياني العليم الخبير (٣) إن تتوبا إلى الله فقد صغت  
 قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو موله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك  
 ظهير (٤) عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمت مؤمنت قنت  
 ثبتت عيدات سحت ثيبت وأبكارا (٥)

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة ف قيل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد  
 حرما فنزل قوله تعالى ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضات أزواجك ) الآية

## ﴿ سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وسبب نزولها  
 ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن  
 إسماعيل ثنا عبد الله بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب  
 الخلوة والعسل وكان إذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر  
 مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ  
 منها شربة ، فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي  
 له يا رسول الله أكلت مفاخير ؟ فانه سيقول لا فقولي له ماهذه الريح وكان رسول الله ﷺ يشد عليه  
 ان يوجد منه الريح فانه سيقول سقني حفصة شربة عسل فقولي له يا رسول الله جرت نحل العرفط  
 وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية ، فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذي لا إله الا هو لقد



قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم يزل به عائشة وحفصة حتى حرما فانزل الله عز وجل ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ) الى آخر الآية

وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراما فقالت أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فخلف لها بالله لا يصيبها فانزل الله تعالى ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ) قال زيد بن أسلم فقله أنت علي حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لما أنت علي حرام والله لا أطوك » وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله ﷺ وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة

كدت أن أناديه بالذي قلت لي وأنه لعلى الباب فرقا منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قالت يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال « لا » قالت فما بال هذه الريح؟ قال « سقني حفصة شربة عسل » قالت جرت نحر العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال « لا حاجة لي به » قالت تقول سودة سبعان الله لقد حرمناه، قالت قلت لها اسكتي

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا الحجاج عن أبي جريح قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن حمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواصبت أنا وحفصة أن آيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلنقل أني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟ فدخل على أحدهما فقالت له ذلك فقال « لا بأس شربت عسلا عند زينب بنت جحش وإن أعود له » فقزت ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ) فبتغي مرضاة أزواجك — إلى قوله — ان تنوبا إلى الله ) لعائشة وحفصة ( واذا أمر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ) لقوله بل شربت عسلا وبهذا الاسناد قال حدثنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء باسناد قال قال « لا ولكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبرني بذلك أحدا » يبتغي بذلك مرضات أزواجه

وقال المفسرون : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول



وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان؟ قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبي الله لقد جئت إلي شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت بلى فحرمها وقال لها: «لا تذكري ذلك لأحد» فذكرته لعائشة فآظمره الله عليه فانزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبغني مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه وأصاب جاريته

وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أبوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم علي حرام» فقالت أتحرّم ما أحل الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربها» قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فانزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) وهذا اسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلي يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ - إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) فكفر بيمينه فصير الحرام يميناً

[ص] في زيارة أيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله [ص] إلى جاريته ماربة القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مقلقا تجلس عند الباب فخرج رسول الله [ص] ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال «ما يبكيك؟» فقالت إنما أنا ابكي لأنك أذنت لي من أجل هذا ادخلت أمك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا؟ ما كنت تصنع هذا بامرأة منهم فقال رسول الله [ص] «اليس هي جاريتي أحلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهم» فلما خرج رسول الله [ص] قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله [ص] قد حرم عليه امته ماربة وقد أراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكناتنا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي [ص] ففضبت عائشة فلم نزل بنبي الله [ص] حتى حلف ان لا يقربها فانزل الله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) يعني العسل وماربة (تبغني مرضات أزواجك والله غفور رحيم) وأمر ان يكفر بيمينه ويراجع امته فقال (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) أي بين وأوجب ان تكفروها إذا حنثتم وهي ماذكر في



ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقالوا ابن عباس لقد كان الحكم في رسول الله أسوة حسنة (ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به

وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنه رجل فقال إني جعلت امرأتي علي حراماً قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عليك أغاظ الكفارات عتق رقبة تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ

وقال الطبراني ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ مريضته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو ثياباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما

وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الطبراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب. والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أنبتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير. قال لا ولكنني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا أخبري بذلك أحداً (بنبغي مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ

وقال في كتاب الايمان والنذور ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة زعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت

سورة المائدة (والله هو لا كم) وليكم وناصركم (وهو العليم الحكيم) واختلف أهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم ليس هو يمين فإن قال لزوجته أنت علي حرام أو حرمتك فإن نوى به طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظاهراً فظاهر وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين فإن قال لطعام حرمة على نفسي فلا شيء. عليه وهذا قول ابن مسعود وإلى ذهب الشافعي وذهب جماعة إلى



جحش وبشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على أحدهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش » ولن اعود له فتزلت ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ - الى قوله تعالى - إن تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ) لعائشة وحفصة (واذا أمر النبي الى بعض أزواجه حديثا ) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « وان اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه. ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، اغفر الرمث اذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والتمام والسلم والطلح ، قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الخض قال والعرفط شجر من العضاء ينضج المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الايمان والنذر ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المعراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من أحدهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت أما والله لنعتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ماهذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرسث نحل العرفط وسأقول ذلك وقولي له أنت ياصفية ذلك قالت ، تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقا منك ، فلما

انه يمين فان قال ذلك لزوجه او جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أن لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل كل يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة رضي الله عنه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم وهو بهلى بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام يكفر وقال ابن عباس ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) « واذا أمر النبي الى بعض أزواجه حديثا » وهو تحريم فئاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أمر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أمر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي



دنا منها قالت له سودة يارسول الله أكلت مغافير؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال « سقتني حفصة شربة عسل » قالت جرست نحلة العرفط فلما دار إلي قلت نحو ذلك فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه؟ قال « لا حاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي، هذا لفظ البخاري

وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن ابن بشر ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به، وعنده : قالت وكان رسول الله ﷺ يشد عليه أن يوجد منه الريح، يعني الريح الحبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لان ريحها فيه شيء، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرست نحلة العرفط أي رعت نحلة شجر العرفط الذي صمغه المغافير فلماذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته قال الجوهري : جرست النحل العرفط نجرس إذا أكلته، ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر \* تظل على الثمراء منها جوارس \*

وقال الجرس والجرس الصوت الخفي، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء. تأكله، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرس طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلي فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن

وقال ميمون بن مهران أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي « فلما نبأت به » أخبرت به حفصة عائشة « وأظهره الله عليه » أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها نبأت به « عرف بعضه » قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي عرف بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من افشا سره أي غضب من ذلك عليها وجازاها به من قول القائل لمن أساء إليه لا عرفن لك ما فعلت أي لا جازينك عليه وجازاها به عليه بان طلقها فلما بلغ ذلك عمر قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ فجاء جبريل وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير، وقال مقاتل بن حيان لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام وقال لا تطلقها فانها صوامع قوامه وانها من جهة نساك في الجنة فلم يطلقها، وقرأ الآخرون عرف بالشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها « وأعرض عن بعض » يعني لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط

قال الله تعالى ( عرف بعضه وأعرض عن بعض ) وذلك ان النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يرضاها فامر إليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة رضي الله عنها وأطلع الله تعالى نبيه



أبيه عن خالته عائشة ، وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وإن عائشة وحفصة توطأنا وتظاهرتا عليه فآله أعلم وقد يقال إنها واقعتان ولا بعد في ذلك إلا أن كونها سبباً لتزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم . وما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى ( ان تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما ) حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداة فبرزت ثم أتاني فسكنت على يديه فوضاً فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى ( ان تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما ) فقال عمر : وأعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هي عائشة وحفصة ، قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم . قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعمالي ، قال : فغضبت يوماً على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجلك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقالت : أراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟ قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفئدة إحداكن أن بغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لا تراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأله شيئاً وسليني من مالي ما بدا لك ولا يفرئك إن كانت جارتك هي أوسم - أي أجمل - وأحب إلى رسول الله (ص) منك ، يريد عائشة

عليه عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس ( فلما نبأها به ) أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه ( قالت ) حفصة ( من أنباك هذا ) أي من أخبرك باني أفشيت السر ( قال ) نبأني العليم الخبير ( إن تتوبا إلى الله ) أي من التعاون على النبي ﷺ بالأيذاء يخاطب عائشة وحفصة ( فقد صفت قلوبكما ) أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتا التوبة قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور أنا عبد الله بن عباس قال لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى ( إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما ) حتى حج فحججت معه وعدلت معه باداة



قال : وكان لي جار من الانصار وكنا تتناوب النزول إلى رسول الله (ص) ينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجأت غسان ؟ قال لا بل أعظم من ذلك وأطول : طلق رسول الله [ ص ] نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا ، حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ فقالت لا أدري هو هذا معزول في هذه المشربة ، فأيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلي فقال ذكرتك له فصمت فأنطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رطل جلوس يبكي بعضهم فجاست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجاست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمل حصير - قال الامام أحمد : وحدثنا يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير - قد أثر في جنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلي وقال « لا » فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قومًا تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ففضبت علي امرأتي يوما فإذا هي تراجعني فأنكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفئدة من إحدائكن أن يفض الله عليها لفض رسوله فإذا هي قد هلك ، فتبسم رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد

فبرز ثم جاء فسكبت على يديه من الاداوة فتوضأ فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما ( إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما ) فقال واعجبيا يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال اني كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا تتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت حدثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الامر أو غيره وإذا نزل فعل مثله ، وكنا معشر قريش تغلب النساء فلما قدمنا على الانصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار فصحت علي امرأتي فراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وان إحداهن تهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعلت منهن بعضهم ثم جئت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أنقاض إحدائكن النبي [ ص ] اليوم حتى الليل ؟ فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفئدة من ان يفض الله لفض رسوله فتهلكي



دخلت على حفصة فقلت لا يغيرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله ، قال «نعم» فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة مقامة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسم على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً وقال «أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر ابن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ؟ هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان قال الله تعالى (وان تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره

وقال مسلم أيضاً حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن مالك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما أنزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتفون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فنادت فقلت يارباح استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم - إلى أن قال - فقلت يا رسول الله ما بشق عليك من أمر النساء؟

لا نستكثري على النبي [ص] ولا تراجعيه في شيء ولا تهجره وسليني ما بدا لك ولا يغيرنك أن كانت جارتك هي أوساً منك وأحب إلى النبي [ص] بريد عائشة ، قال عمر وكنا نحدثنا أن غسان تبعث الخيل لتفروننا فنزل صاحبني يوم نوبته فرجم عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال أم هو؟ ففزعت فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ما هو أجاءت غسان؟ قال لا ، بل أعظم منه وأطول طلق النبي [ص] نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثياني فصليت صلاة الفجر مع النبي [ص] فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت ما يبكيك أولم أكن حذرتك أطلقكن النبي [ص]؟ قالت لا أدري هو ذا في المشربة فخرجت فخرجت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجاءت معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد فخرجت المشربة التي فيها النبي [ص] فقلت لفلان له اسود استأذن لعمر فدخل فسلم النبي [ص] ثم رجع إلي فقال قد كلمت النبي [ص] فذكرتك له فصمت ، فأنصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم



فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلمنا  
 تكلمت - وأحمد الله - بكلام الارجوت أن يكون الله يصدق قولي فزلت هذه الآية آية التخخير (عسى  
 ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن - وإن نظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح  
 المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ) فقلت أطلقتهن ؟ قال « لا » فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى  
 صوتي لم يطلق نساءه وزلت هذه الآية ( واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو رده  
 إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ) فكنت أنا استنبطت ذلك الامر ،  
 وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم ( وصالح المؤمنين ) أبو  
 بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد ( وصالح المؤمنين )  
 قال علي بن أبي طالب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة برفعه إلى علي قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ( وصالح المؤمنين ) قال « هو علي بن أبي طالب » اسناده ضعيف وهو منكر جداً

وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال : قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لمن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن فنزلت هذه الآية وقد تقدم انه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى )

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الانصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني

غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فاستأذن ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي [ص] فدخلت على رسول الله [ص] فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجانبه متكئاً على وسادة من آدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله اطلقت نسائك فرفع إلي بصره فقال « لا » فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم استأنس يا رسول الله لو رأيته وكنا معشر قريش نقرب قلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نسأؤهم فتبسم رسول الله [ص] ثم قلت يا رسول الله لو رأيته ودخلت على حنصة فقلت لها لا يغيرك إن كانت جارتك أَوْضاً منك وأحب إلي رسول الله [ص] يريد عائشة فتبسم النبي [ص] تبسمة أخرى فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيته فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى فليوسع علي امتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله تعالى فجلس



شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقر بينهما أقول لنكفن عن رسول الله ﷺ أو ليدلته الله أزواجاً خيراً منك حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن. فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك من مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري

وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصهباني ثنا اسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (واذا أمر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) قال دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو بطأمارية فقال لها رسول الله ﷺ لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت فذهبت حفصة فاخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله ﷺ من أنباك هذا؟ قال «نباي العليم الخبير» فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فخرمها فانزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) اسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (سائحات) أي صائحات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم. وتقدم فيه حديث صنفوع عند قوله (السائحات) في سورة براءة ولفظه «سباحة هذه

النبي [ص] وكان متكئاً فقال أو في هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا» فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي [ص] نساءه من أجل ذلك الحديث حين افشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان يقول «ما أنا بداخل عليهن شهراً» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة رضي الله عنها فبدأ بها فقالت له عائشة يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل عليهن شهراً فلما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدتها عدأ فقال «الشهر تسع وعشرون» وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو الهيثم أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي [ص] أخبرته أن رسول الله [ص] جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله [ص] فقال «إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بالجواب حتى تستأمرني أبويك» وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه ثم قال (يا أيها النبي قل لأزواجك) إلى تمام الآيتين فقلت أوفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة



الامة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ( سائحات ) أي مهاجرات وتلا عبد الرحمن (السائحات) أي المهاجرون والقول الاول أولى والله أعلم

وقوله تعالى ( ثيبات وأبكارا ) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى الى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال ( ثيبات وأبكارا )

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق

ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه ( ثيبات وأبكارا )

قال وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه فاثيب آسية امرأة فرعون وبالا بكار مريم بنت عمران

(١) وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن شعيب ثنا محمد بن صالح

ابن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فرت خديجة فقال

إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بهيد من الذهب لا نصب فيه ولا صخب من

لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم

اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن

سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن همار عن

ممالك بن زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل النبي [ ص ] نساءه

وذكر الحديث وقال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فان كنت طلقتهن

فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وابو بكر والمؤمنون معك ؟ ولما تكلمت وأحمد الله

تعالى بكلام الارجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزات هذه الآية ( عسى ربه ان

طلقك ان يبدله أزواجا خيرا منكن - وان نظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين

والملائكة بعد ذلك ظهير )

قوله ( وان نظاهرا عليه ) أي نظاهرا وتعاونوا على أذى النبي ﷺ قرأ أهل الكوفة بتخفيف

الظاء والآخرون بتشديدها ( فان الله هو مولاه ) أي وليه وناصره

قوله ( وجبريل وصالح المؤمنين ) روي عن ابن مسعود وإبي بن كعب وصالح المؤمنين ابو بكر

وعمر رضي الله عنهما ، وقال الكلبي هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين

قوله ( والملائكة بعد ذلك ظهير ) قال مقاتل بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أي أعوان

النبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع كقوله ( وحسن اولئك رفيقا ) ( عسى ربه ان

طلقك ) أي واجب من الله ان تطلقك رسوله ( أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات ) خاصعات

الله بالطاعة ( مؤمنات ) مصدقات بتوحيد الله ( فانتات ) طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات

( ثائبات عابدات سائحات ) صائمات ، وقال زيد بن أسلم مهاجرات وقيل بسحن معه حينما ساح



ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا بقيت ضرائرك فأقرئين مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي ؟ قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلم أخوت موسى » ضعيف أيضا وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عريرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله (ص) « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلم أخوت موسى وآسية امرأة فرعون ؟ » فقلت هنيئا لك يا رسول الله وهذا أيضا ضعيف وروى مرسل عن ابن أبي داود

يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة، عليها مثابة

غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦) يأيها الذين كفروا لا تعتذروا

اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون (٧) يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى

ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزني الله

النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر

لنا إنك على كل شيء قدير (٨)

قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ( قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) يقول أدبهم وعلومهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله واثمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وقال مجاهد ( قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنههم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية فذعهم عنها وزجرتهم عنها وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإيمانه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهىهم الله عنه

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك

( ثيبات وإبكارا ) وهذا في الاخبار عن القدرة لاعن السكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يظنهن وهذا كقوله ( وان تنولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ) وهذا إخبار عن القدرة لا أن في الوجود أمة هم خير من أمة محمد ﷺ

قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ) قال عطاء عن ابن عباس اي بالانتهاء عما نهىكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته ( وأهليكم نارا ) يعني مروجهم بالخير وأهجوم عن الشر وعلومهم وأدبهم



ابن الريم بن سبرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص) « مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله (ص) مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق

وقوله تعالى ( وقودها الناس والحجارة ) وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم ( والحجارة ) قيل المراد بها الاصنام التي تعبد لقوله تعالى ( انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي : هي حجارة من كبريت زاد مجاهد : أتت من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري ثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي داود - قال بلغني ان رسول الله (ص) تلا هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ) وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ يارسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي (ص) « والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ معشياً عليه فوضع النبي (ص) يده على فؤاده فاذا هو حي فناداه قال « يا شيخ قل لا اله الا الله » فقال لها بشره بالجنة قال فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا ؟ قال « نعم يقول الله تعالى ( ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ) » هذا حديث مرسل غريب

وقوله تعالى [ عليها ملائكة غلاظ شداد ] أي طباعهم غليظة قد نزع من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ( شداد ) أي تركيهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج كما قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا سلمة ابن شبيب ثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة انه قال : اذا وصل أول اهل النار الى النار وجدوا على الباب أربعمائة الف من خزنة جهنم سود وجوههم كلحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم منقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكب الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ثم يهونون من باب الى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا الى آخرها وقوله ( لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ) أي هما أمرهم به تعالى بيادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفه عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية عياذاً بالله منهم

تقوم بذلك نارا « وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة » يعني خزنة النار « غلاظ » فظاظ على اهل النار « شداد » اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفقة الواحدة سبعين الفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم



وقوله (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم

ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الذنابات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه، وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه

وقال أبو الأحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً. وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحا) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روي هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم المحجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) «التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه» تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم المحجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم، ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لا دمي رده إليه بطريقته

قال الإمام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي (ص) يقول «الندم توبة؟» قال نعم وقال مرة نعم سمعته يقول «الندم توبة» ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به

وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو جناب عن عبد الله بن محمد العبدي عن أبي سنان البصري عن أبي قلابة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله،

أما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴿قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم نصوحا بضم النون، وقرأ العاصم بفتحها أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، واختلفوا في معناها قال عمر وأبي ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبث إلى الضرع



ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ، وبقيت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا ، قال زر : فقلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود اليه أبدا »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو عمرو بن علي ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تفيض الذنب كما أحبته ، وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح « الاسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى المات ؟ كما تقدم في الحديث وفي الآثار « ثم لا يعود فيه أبدا » أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام « التوبة تجب ما قبلها » وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً من أحسن في الاسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر ، فإذا كانت هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى ( عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ) وعسى من الله موجبة ( يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ) أي ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ( نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ) كما تقدم في سورة الحديد ( يقولون ربنا آثم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ) قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفي .

وقال الامام احمد ثنا ابراهيم بن اسحاق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعتة يقول « اللهم لا تخزني يوم القيامة » وقال محمد بن نصر المروزي ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لميعة حدثني يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير انه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول

قال الحسن هي ان يكون العبد نادماً على ماضى مجعاً على ان لا يعود فيه ، قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن ، قال سعيد بن المسيب توبة تنصعون بها انفسكم قال القرظي يجمعها اربعة أشياء الاستغفار باللسان والافلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان ( عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ) أي لا يعذبهم الله بدخول النار ( نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ) علي الصراط ( يقولون ) إذا طفي نور المنافقين ( ربنا آثم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير )



الله ﷻ « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الامم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الامم » فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الامم ؟ قال « غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الامم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤنون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم سباجم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »

يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩) ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠)

يقول تعالى أمر أرسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالاسلح والقتال هؤلاء باقامة الحدود عليهم ( واغلق عليهم ) أي في الدنيا ( ومأواهم جهنم وبئس المصير ) أي في الآخرة ثم قال تعالى ( ضرب الله مثلا للذين كفروا ) أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الايمان حاصلًا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال ( امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ) أي نبين رسولين عندهما في محبتهما ليلا ونهاراً يؤاكلتهما وبضاجعتهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ( فخانتاهما ) أي في الايمان لم يوافقاهما على الايمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنها محذورا ولهذا قال تعالى ( فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ) أي لكفرهما ( وقيل ) أي للمرأتين ( ادخلا النار مع الداخلين ) وليس المراد بقوله ( فخانتاهما ) في فاحشة بل في الدين فان نساء الانبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمه الانبياء كما قدمنا في سورة النور

قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية ( فخانتاهما ) قال ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر انه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتها انهما كانتا على غير دينهما

﴿ يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النساء فقال جل ذكره ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ﴾ واسمها وائلة ﴿ وامرأة لوط ﴾ واسمها واهلة ، وقال مقاتل وائلة وواهة ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام ﴿ فخانتاهما ﴾ قال ابن عباس ما بعت امرأة نبي قط ،



فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرته الجبارة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرته به أهل المدينة ممن يعمل السوء . وقال الضحاك عن ابن عباس ما بشت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها في الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكني الآن أقوله

وضرب الله مثلا الذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ان لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين (١١) ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (١٢)

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين اليهم كقال تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ) قال قتادة كان فرعون اعنى اهل الارض واكفرهم فوالله ماض امرأه كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه

وقال ابن جرير ثنا اسماعيل بن حفص الابلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان التهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة ، ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن اسباط بن محمد عن سليمان التيمي به . ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم ابن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب مومي وهارون فنقول آمنت برب

إنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينها ، فكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون ، وإذا آمن به أحد أخبرته به الجبارة ، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل أو قدت النار واذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه انه نزل به ضيف

وقال السكلي أسرتا النفاق واظهرتا الايمان ( فلم يفتيا عنهما من الله شيئا ) لم يدفعا عنهما مع نبوتهما عذاب الله ( وقيل ادخلا النار مع الداخلين ) قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره ، ثم أخبر ان معصية غيره لا تضرمه إذا كان مطيعا فقال ( وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ) وهي آسية بنت مزاحم



موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد لبس فيه روح، فقولها (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجني من فرعون وعمله) أي خلصني منه فإني أبرأ إليك من عمله (ونجني من القوم الظالمين) وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء. الله فلعنتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين رباً غيري؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء. الله وإياه أعبد، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك، فألقى عليها يوماً فقال لها ما أنت منتبهة فقالت له ربي وربك ورب كل شيء. الله فقال لها إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت، ثم ألقى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً وقال لها اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوبها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فأطعم الله فرعون على إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأنشأ عليها فقال لهم إنها تعبد غيري فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لي عندك بيتا

قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، قال سلمان كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفت عنها أظلتها الملائكة) إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته، وفي القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درة وانزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لاروح فيه ولم تجد ألماً. وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب (ونجني من فرعون وعمله) قال مقاتل وعمله يعني الشرك وقال أبو صالح عن ابن عباس



في الجنة ( فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها  
وقوله تعالى ( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ) أي حفظته وصانته والاحصان هو العفاف والحربة ( فنفخنا فيه من روحنا ) أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى ( فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ) أي بقدره وشرعه ( وكانت من القانتين )

قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الارض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »

وقد ثبت في الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة المديني عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا طرق هذه الاحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا ( البداية والنهاية ) والله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من انها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله ( ثيبات وأبكارا )

( آخر تفسير سورة التحريم والله الحمد والمنة )

وعمله قال جماعة ( ونجني من القوم الظالمين ) الكافرين ( ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه ) أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية ( من روحنا وصدقت بكلمات ربها ) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المتزلة ( وكتبه ) قرأ أهل البصرة وحفص وكتبه على الجمع وقرأ الآخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة أيضا وأراد السكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام ( وكانت من القانتين ) أي من القوم القانتين المطيعين لربهم ولذلك لم يقل من القانتات وقال عطاء من القانتين أي من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فانهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله

ورويانا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون »



## تفسير سورة الملك وهي مكية

قال الامام احمد حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشعي عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » ورواه أهل السنن الاربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة احمد بن نصر بن زياد ابي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب ابي عبيد بن جريه وخلق سوام ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ان رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله الا تبارك فلما وضع في حفرة أنه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وانا اكره مساءتك واني لا أملك لك ولا له ولا نفسي ضراً ولا نفعاً فان أردت هذا به فانطلقني إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعني له فتطلق إلى الرب فنقول يارب ان فلانا عمد إلي من بين كتابك فتعلمني وتلاوني فأنحرقه أنت بالنار وتعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذاك به فامحني من كتابك فيقول ألا أراك غضبت فتقول وحق لي ان اغضب فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه - قال - فتجبي فتزجر الملك فيخرج خامف البال لم يحل منه شيء - قال - فتجبي فتضع فاهها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فرمما تلاوني ومرحبا بهذا الصدر فرمما وعاني ومرحبا بهاتين القدمين فرمما قامتاني وتؤنسني في قبره بخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ المنجية . قلت وهذا حديث منكر جداً وفرات بن السائب هذا ضعفه الامام احمد وبجيب بن معين والبخاري وابو حاتم والدارقطني وغير واحد

وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله مختصراً<sup>(١)</sup> وروى البيهقي في كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز من (الأحكام الكبرى) والله الحمد والمثنة ، وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام ابن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك »

(١) هذا إلى قوله وقال الترمذي ليس في النسخة المسكية

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب حدثنا بجيب بن عمرو بن مالك النكري عن ابيه عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ضربت



خبائي على قبر وأنا لا أحسب انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك تبارك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي الباب عن ابي هريرة، ثم روى الترمذي أيضا من طريق ليث بن ابي سليم عن ابي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة

وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الاصبهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم ابن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي » يعني تبارك الذي بيده الملك هذا حديث غريب و ابراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد في مسنده بأسبط من هذا فقال حدثنا ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به ؟ قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلاك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فأنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله ﷺ « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (١) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢) الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير (٤) ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب العسير (٥)

مجيد تعالى نفسه الكريمة ويخبر انه بيده الملك أي هو المتصرف بجميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لهزمه وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى ( وهو على كل شيء قدير ) ثم قال

﴿ سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ الذي خلق الموت والحياة ﴿ قال عطاء عن



تعالى (الذي خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال ان الموت أمر وجودي لانه مخلوق ومعنى الآية انه أوجد الخلاق من العدم (ليلوهم) اي يختبرهم (أيهم أحسن عملا) كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) فسمى الحال الاول وهو العدم مونا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم)

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن قتادة في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله ﷺ يقول «ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء» ورواه معمر عن قتادة وقوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملا) أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أي هو العزيز العظيم المنيع الجنب وهو مع ذلك غفور لمن تاب اليه وأتاب بعد ماعصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر وبرحمه ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضها على بعض أو متفاصلات بينهما خلا؟ فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الامراء وغيره، وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي بل هو مصطبب مستو ليس

ابن عباس يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقال قتادة أراد موت الانسان وحياة في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة ودار فناء وجعل الآخرة دار جزاء ودار بقاء، قيل انما قدم الموت لانه الى انقهر اقرب وقيل قدمه لانه أقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم طرأت عليها الحياة، وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش الملع لا يمر بشيء ولا يجرد ريشه شيء الامات، وخلق الحياة على صورة فرس بقاء أنثى وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجرد ريشها شيء الا حبيبي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فالتقى على العجل فحبي (ليلوكم) فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا)

روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وامرء في طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة، وقال الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها، وقال الفراء لم توفم البلوى على أي إلا وبينها اضمار كما تقول بلوتكم لا أنظر أيكم أطوع ومثله سلم أيهم بذلك زعيم أي سلم وانظر أيهم فأمرى رفع على الابتداء وأحسن خبره (وهو العزيز) في انتقامه من من عصاه (الففور) لمن تاب اليه (الذي خلق سبع سموات طباقا) طبقا على طبق بعضها فوق بعض (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو بلا ألف وقرأ



فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى ( فارجم البصر هل ترى من فطور ) أي انظر الى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى ( فارجم البصر هل ترى من فطور ؟ ) أي شقوق وقال السدي ( هل ترى من فطور ) أي من خروق ، وقال ابن عباس في رواية ( من فطور ) أي من وهاء ، وقال قتادة ( هل ترى من فطور ) أي هل ترى خللاً يا ابن آدم

وقوله تعالى ( ثم ارجع البصر كرتين ) قال قتادة مرتين ( ينقلب اليك البصر خاسئاً ) قال ابن عباس ذليلاً ، وقال مجاهد وقتادة صاغراً ( وهو حسير ) قال ابن عباس يعني وهو كليل ، وقال مجاهد وقتادة والسدي الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب اليك أي لرجع اليك البصر ( خاسئاً ) عن أن يرى عيباً أو خللاً ( وهو حسير ) أي كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً ، ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال ( ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثواب

وقوله تعالى ( وجعلناها رجوماً للشياطين ) عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لامل عينها لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى ( وأعتدنا لهم عذاب السعير ) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات [ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب \* وحفظا من كل شيطان مارد \* لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب

الآخرون بتخفيف الواو والف قبلها وهما لغتان كالتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر ومعناه ماترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضاً لقلة استوائها ( فارجم البصر ) كرر النظر معناه انظر ثم ارجع البصر ( هل ترى من فطور ) شقوق وصدوع ( ثم ارجع البصر كرتين ) قال ابن عباس مرة بعد مرة ( ينقلب ) يتصرف ويرجع ( اليك البصر خاسئاً ) صاغراً ذليلاً مبعداً لم ير ما بهوى ( وهو حسير ) كليل منقطع لم يدرك ما طلب

وروي عن كعب انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومن السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور ( ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ) أراد الأدنى من الارض وهي التي يراها الناس

وقوله ( بمصابيح الكواكب ) واحدها مصباح وهو السراج سمي الكوكب مصباحاً لاضائه ( وجعلناها رجوماً ) مرامي ( للشياطين ) إذا استرقوا السمم ( وأعتدنا لهم ) في الآخرة ( عذاب



٤٢٦ تقرير الكفار في جهنم وندمهم على تركهم التدبر في آيات الله (تفسير ابن كثير والبغوي)

واصب \* إلا من خطف الحطفة فأتبعه شهاب ثاقب [ قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للساء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير (٦) إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي

تفور (٧) تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ (٨) قالوا بلى

قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير (٩) وقالوا لو كنا

نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير (١١)

يقول تعالى وأعدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير أي بئس المال والمنقلب ( إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ) قال ابن جرير يعني الصياح وهي تفور ، قال الثوري تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير

وقوله تعالى ( تكاد تميز من الغيظ ) أي تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم [ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير ] يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى [ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ] وقال تعالى [ حتى إذا جاءوها فتمت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ] وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا [ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ] أي لو كانت لنا عقول ننفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله

السعير ( النار الموقدة ) وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير \* إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ( وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات ) وهي تفور ( تغلي بهم كغلي الرجل ) ، وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير في الجب القليل ( تكاد تميز ) تنقطع ( من الغيظ ) من تغيظها عليهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار ( كلما ألقى فيها فوج ) جماعة منهم ( سألهم خزنتها ) سؤال توبيخ ( ألم يأتكم نذير ) رسول ينذركم ( قالوا بلى قد جاءنا نذير \* فكذبنا وقلنا ) للرسول ( ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير \* وقالوا لو كنا نسمع ) من الرسل ما جاءونا به ( أو نعقل ) منهم وقال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقل فنعمل به ( ما كنا في أصحاب السعير ) قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من بهي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار



( سورة الملك ٦٧ جزء ٢٩ ) مقام الخوف من الله وما أعد المخافين من المغفرة والاجر العظيم ٤٢٧

والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم  
قال الله تعالى ( فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير )

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري الطائي  
قال أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » وفي  
حديث آخر « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة »

إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير (١٢) وأسرؤا قولكم أو

اجهروا به إنه عليم بذات الصدور (١٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ (١٤) هو  
الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور (١٥)

يقول تعالى مخبراً عن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي  
ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويمحى  
بأثواب الجزيل كاتبت في الصحيحين « سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر  
منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجهال فقال أني أخاف الله ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها  
حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا طلوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد  
عن ثابت عن أنس قال : قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره قال  
« كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا الله ربنا في السر والعانية ، قال « ليس ذلكم التفاق » لم يروه عن  
ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعله

ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر ( وأسرؤا قولكم أو اجهروا به إنه عليم  
بذات الصدور ) أي بما يخطر في القلوب ( ألا يعلم من خلق ؟ ) أي ألا يعلم الخالق ؟ وقيل معناه ألا  
يعلم الله مخلوقه والاول أولى لقوله ( وهو اللطيف الخبير )

( فاعترفوا بذنبهم فسحقاً ) بهذا ( لأصحاب السعير ) قرأ أبو جعفر والكسائي فسحقاً بضم الحاء  
وقرأ الباقر بسكونها وهما لغتان مثل الرعب والرعب والسحت والسحت ( إن الذين يخشون ربهم  
بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ) وأسرؤا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ( قال ابن عباس  
نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فقال بعضهم  
لبعض أسرؤا قولكم كي لا يسم الله محمد فقال الله جل ذكره ( ألا يعلم من خلق ) ألا يعلم ما في الصدور  
من خلقها ( وهو اللطيف الخبير ) خلقها لطيف علمه بما في القلوب الخبير بما فيها من السر والوسوسة وقيل



ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخير له الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تيمد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها) أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من رزقه) قال السعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول أنه سمع أبياسهم الحبشاني يقول أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافا وتروح بطانا» روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب (واليه النشور) أي المرجع يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: مناكبها أطرافها ونجاساتها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة أيضا: مناكبها الجبال

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأُم ولد له: إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال

أأمنتهم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ (١٦) أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا؟ فستعلمون كيف نذير (١٧) ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير؟ (١٨) أولم يروا إلى الطير فوقهم صفت ويقبضن؟ ما يمسكن إلا الرحمن أنه بكل شيء بصير (١٩)

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقته أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه

من يرجع إلى المخلوق أي ألا يعلم الله مخلوقه (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) سهلا لا يمتنع المشي فيها بالحزونة (فامشوا في مناكبها) قال ابن عباس وقتادة في جبالها وقال الضحاك في آكامها، وقال مجاهد في طرقها وفجاجها قال الحسن في سهلها وقال الكلبي في أطرافها وقال مقاتل في نواحيها قال الفراء في جوانبها، والاصل في الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنبك فلان (وكلوا من رزقه) مما خلقه رزقا لكم في الأرض (واليه النشور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف الكفار فقال (أأمنتهم من في السماء) قال ابن عباس أي عذاب من في السماء أن عصيتهموه (أن يخسف بكم



غيره وهو مع هذا يحلم ويصنع ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً] وقال ههنا [أم أنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي غور] أي تذهب وتنجي وتضطرب [أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً] أي ريحاً فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى [أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً] وهكذا توعدهم ههنا بقوله [فستعلمون كيف نذير] أي كيف يكون انذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به

ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أي فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتي لهم أي عظاماً شديداً أليماً

ثم قال تعالى [أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن] أي تارة يصفقن اجنحتهن في الهواء وتارة تجتمع جناحا وتنشر جناحا [ما يمسكن] أي في الجو [الا الرحمن] أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه [انه بكل شيء بصير] أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى [لم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون]

أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن؟ إن الكفرون إلا في غرور (٢٠)

أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه؟ بل لجوا في عتو وتفور (٢١) أفن يمشي مكباً على

وجهه أهدي أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم؟ (٢٢) قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون (٢٣) قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه

تحتشرون (٢٤) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صدقين؟ (٢٥) قل إنما العلم عند الله وإنما

أنا نذير مبين (٢٦) فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون (٢٧)

الارض فاذا هي غور) قال الحسن تتحرك بأهلها وقيل تهوي بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تلقىهم الى أسفل والارض تعلو عليهم وتغور فوقهم يقال ما يغور إذا جاء وذهب (أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ريحاً ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) في الآخرة وعند الموت (كيف نذير) أي انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية (فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم بالعذاب (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) تصف اجنحتهن في الهواء (ويقبضن) اجنحتهن بعد البسط (ما يمسكن) في حال القبض والبسط ان يسقطن (إلا الرحمن انه بكل شيء بصير) أمن هذا الذي هو جند لكم



يقول تعالى للمشر كين الذين عبدوا معه غيره ينتفون عندهم نصر أو رزقا منكراً عليهم فيما اعتقدوه وغبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى ( أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ) أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى ( إن الكافرون إلا في غرور )

ثم قال تعالى ( أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ) أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره . ولهذا قال تعالى ( بل لجوا ) أي استمعوا في طغيانهم وافتكهم وضلالهم ( في عتو ونفور ) أي في معاندة واستكبار ونفور على أديارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ثم قال تعالى ( أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ؟ أمن يمشي سويّاً على صراط مستقيم ؟ ) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه أي يمشي منعنياً لا مستويّاً على وجهه أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهدى ( أمن يمشي سويّاً ؟ ) أي منتصب القامة ( على صراط مستقيم ) أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة ، فالؤمن بمشي سويّاً على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يمضي على وجهه إلى نار جهنم ( احشروا الذين ظلموا أزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ) الآيات أزواجهم أشباههم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا اسماعيل عن نعيم قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ؟ » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق (١)

(١) هنا بياض بالاصول والحديث في صحيح البخاري في كتاب التفسير في سورة الفرقان عن أنس بن مالك أيضاً

وقوله تعالى ( قل هو الذي أنشأكم ) أي ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ( وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ) أي العقول والادراك [ قليلاً ما تشكرون ] أي قلما تستعملون هذه

استفهام انكار قال ابن عباس أي منعة لكم « ينصركم من دون الرحمن » يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم « إن الكافرون إلا في غرور » أي في غرور من الشيطان بغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم « أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟ » أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم ؟ « بل لجوا في عتو » تماد في الضلال « ونفور » تباعد من الحق قال مجاهد الكفور ثم ضرب مثلاً فقال « أفمن يمضي مكباً على وجهه » ركباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالاً وهو الكافر قال قتادة كبا على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة « أهدى ؟ أمن يمضي سويّاً ؟ » معتدلاً يبصر الطريق وهو « على صراط مستقيم » وهو مؤمن قال قتادة يمضي يوم القيامة سويّاً « قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون » قال مقاتل يعني أنهم لا يشكرون رب



القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامثال أوامره وتركزواجره [ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ] أي بشكم ونسركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم ولغاتكم وألوانكم وحلائمكم وأشكالكم وصوركم [ واليه تحشرون ] أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات بجمعكم كإفرقكم وبعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى مخبراً عن الكفار المنكرين للعاد المستبدين وقوعه [ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ] أي متى يقع هذا الذي نخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق [ قل إنما العلم عند الله ] أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه [ وإنما أنا نذير مبين ] أي وإنما علي البلاغ وقد أدبته اليكم

قال الله تعالى [ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ] أي لما قامت القيامة وشاهد الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساء لهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ( وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدأ لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ [ هذا الذي كنتم به تدعون ] أي تستعجلون

قل أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا فن ينجي الكافرين من عذاب أليم ؟ ( ٢٨ )

قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلل مبين ( ٢٩ ) قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ؟ ( ٣٠ )

يقول تعالى ( قل ) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه [ أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا ؟ فن ينجي الكافرين من عذاب أليم ؟ ] أي خلصوا أنفسكم فإنه لا منقذ لكم من الله إلا بالتوبة

هذه النعم ( قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون ) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟ \* قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين \* فلما رأوه ( يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقال مجاهد يعني العذاب بيد ) زلفة ( أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع ) سيئت وجوه الذين كفروا ( اسودت وعلتها الكآبة ، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا قبح وسيء إذا أقبح ) وقيل ( لم أي قال لهم الخزنة ( هذا ) أي هذا العذاب ( الذي كنتم به تدعون ) تفتعلون من الدعاء أي ان تدعوه وتمنوه فإنه يعجله لكم ، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون ( قل ) يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ( أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي ) من المؤمنين ( أو رحمتنا ) فأبقانا إلى منتهى آجالنا ( فن ينجي الكافرين من عذاب أليم ) فإنه واقع بهم لا محالة



والانابة والرجوع الى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الايمم الواقع بكم

ثم قال تعالى [ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ] أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا في جميع أمورنا كما قال تعالى [ فاعبدوه وتوكل عليه ] ولهذا قال تعالى [ فستعلمون من هو في ضلال مبين ] أي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى ( قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ) أي ذاهبا في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤس الحداد ولا السواعد الشداد والفائر عكس النابغ ولهذا قال تعالى ( فمن يأتيكم بماء معين ؟ ) أي نابغ سائغ جار على وجه الأرض أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنعم لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد اليه من القلة والكثرة فله الحمد والمنة

﴿ آخر تفسير سورة الملك والله الحمد ﴾

وقيل معناه أرأيتم أن أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمنا فيغفر لنا؟ فمنع مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا [ فمن يحير الكافرين ؟ ] فمن يحيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وهذا معنى قول ابن عباس ﴿ قل هو الرحمن ﴾ الذي نعبد ﴿ آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون ﴾ قرأ الكسائي بالماء وقرأ الباقر بالتاء (من هو في ضلال مبين؟) أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال أنحن أم أنتم؟ ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الايدي والدلاء قال الكلبي ومقاتل يعني ماء زمزم ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال عطاء عن ابن عباس معين أي جار

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن الفارسي ثنا أبو عبد الله محمد ابن يزيد ثنا أبو يحيى البزار ثنا محمد بن يحيى ثنا أبو داود ثنا عمران عن قتادة عن ابن عباس الجشمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك »



## تفسير سورة ن وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ن والقلم وما يسطرون (١) ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢) وإن لك لأجراً غير

ممنون (٣) وإنك لعلى خالق عظيم (٤) فستبصر ويبصرون (٥) بأيكم الفتون؟ (٦) إن ربك

هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (٧)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص - ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته هنا، وقيل المراد بقوله [ن] حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل الأرضين السبع كما قال الامام ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم قال اكتب، قال وماذا أكتب؟ قال اكتب القدر فخرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض وكذا رواه ابن أبي جاتم عن احمد بن سنان عن أبي معاوية عن الاعمش به، وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الاعمش به، وزاد شعبة في روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقدرناه شريك عن الاعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه، ورواه معمر عن الاعمش أن ابن عباس قال فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون)

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: إن أول شيء خلقه ربي عز وجل القلم ثم قال لها اكتب فكتبت ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الارض عليه

﴿سورة القلم مكية وهي اثنتان وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ن﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم فخرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال وإن (تفسير ابن كثير والبغوي) (٥٥) (الجزء الثامن)



وقد روى الطبراني ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن المهدي المروزي حدثنا سعيد ابن يعقوب الطالقاني حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال ما أكتب ؟ قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ ( ن والقلم وما يسطرون ) قالون الحوت ، والقلم القلم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

(١) حديث آخر ، في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما يكون - أو - ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله ( ن والقلم وما يسطرون ) ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلق العقل وقال وعزتي لأكننك فيمن أحببت ولا تقصنك ممن أبغضت »

وقال ابن أبي نجيح أن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال : كان يقال النون الحوت العظيم الذي تحت الأرض السابعة ، وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلاظ السموات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن والله أعلم

ومن العجيب أن بعضهم حل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأناه فسأله عن أشياء قال إني سألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال ما أول اشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه ؟ قال « أخبرني بهن جبريل آتيا » قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ،

الجبال لتفخر على الأرض ، ثم قرأ ابن عباس [ ن والقلم وما يسطرون ] واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثيا وعن علي اسمه بلهوت

وقال الرواة لما خلق الله الأرض وفتحها بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه ، إحدى يديه بالشرق والأخرى بالمغرب باسطين قابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله عليه من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماء ، فأخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة ألف عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماء . وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخرات في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وأزبد وإذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار



وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعته ، ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضاً وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا

وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسامة الرجي عن ثوبان أن جبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحفهم؟ يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة قال «زيادة كبد الحوت» قال فما غذاؤهم على أثرها؟ قال «ينحدر لهم نور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال فما شربهم عليه؟ قال «من عين فيها تسمى سلسيلاً» وقيل المراد بقوله ن لوح من نور

قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المصنف حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «( ن والقلم وما يسطرون ) لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة» وهذا مرسل غريب، وقال ابن جرير أخبرني أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله ( ن ) دواة والقلم القلم

قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا ابن ثور عن معمر بن الحسن وقتادة في قوله ( ن ) قالوا هي الدواة ، وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن خالد حدثنا الحسن بن نجيب حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «خلق الله النون وهي الدواة»

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخي عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت النخعي عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم أزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فني الرزق واقطع الأثر وانقضى الأجل أنت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم

خلق الله تعالى صخرة كغلاظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه ( فتكن في صخرة ) ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة يقل الدنيا كلها بما عليها حرفان من كتاب قال لها الجبار كوني فكانت

قال كعب الجبار إن إبليس تغفل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس له فقال له أتدري ما على ظهرك بالوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال؟ لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم لوثيان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه ففزع الحوت إلى الله منها فأذن لها فخرجت



عندنا شيئا فترجم الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس أستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون  
(إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون؟) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟

وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به كقوله (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبه لخلق على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ، ولهذا قال (وما يسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون وقال أبو الضمعي عن ابن عباس وما يسطرون أي وما يعملون

وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارضين بخمسين الف عام ، وأوردوا في ذلك الاحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالوا حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد ابن سليم السلمي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عباد بن العاصم قال دعاني ابي حين حضره الموت فقال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب؟ قال اكتب القدر وما هو كائن الى الابد» وهذا الحديث قد رواه الامام احمد من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب

ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن يحيى بن حسان عن ابن رباح عن ابراهيم بن ابي عتبة عن ابي حفصة واسمه حيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن ابي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال «ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء» غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أي يكتبون كما تقدم

قال كعب فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت الى ذلك كما كانت وقال بعضهم ان نون آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وقيل هو قسم أقسم الله به وقبل فاتحة السورة وقال عطاء افتتاح اسمه نور وناصر ، وقال محمد بن كعب أقسم الله بنصرته المؤمنين (والقلم) هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فخرى على اللوح المحفوظ بذلك (وما يسطرون)



وقوله ( ما أنت بنعمة ربك بمجنون ) أي است والله الحمد بمجنون كما يقوله الجبهة من قومك المكذبون بما جشتم به من الهدى والحق المبين فتسبوك فيه إلى الجنون ( وان لك لأجر أعير ممنون ) أي بل ان لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبديد على ابلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله ( عطاء غير مجذوذ - فلم أجر غير ممنون ) أي غير مقطوع عنهم ، وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى ( وانك لعلی خلق عظیم ) قال العوفي عن ابن عباس وانك لعلی دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وابو مالك والسدي والريبع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال عطية لعلی أدب عظیم ، وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله ( وانك لعلی خلق عظیم ) ذكر لنا ان سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت ألسنت تقرأ القرآن قال بلى قالت فان خلق رسول الله ﷺ كان القرآن وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني بأمر المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أقرأ القرآن ؟ فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن ، هذا مختصر من حديث طويل ، وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل ان شاء الله تعالى وبه الثقة

يكتبون أي ما تكتب للملائكة الحفظة من أعمال بني آدم ( ما أنت بنعمة ) بنبوة ( ربك بمجنون ) هذا جواب لقولهم ( يا أيها الذي نزل عليك الذكر انك لمجنون ) فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الاعمال فقال ( ما أنت بنعمة ربك ) بنبوة ربك ( بمجنون ) هذا جواب القسم أي انك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانه اللهم وبمحمدك أي والحمد لك ( وان لك لأجر أعير ممنون ) أي غير منقوص ولا مقطوع بصبرك على اقترائهم عليك ( وانك لعلی خلق عظیم ) قال ابن عباس ومجاهد دين عظيم لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن . قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله . والمعنى انك لعلی الخلق الذي أمرك الله به في القرآن . وقيل سمى الله خلقه عظيماً لانه امتثل تأديب الله إياه بقوله [ خذ العفو ] الآية . وروينا عن جابر ان النبي ﷺ قال « ان الله بعثني لتبطل مكارم الاخلاق وتبطل محاسن الافعال »

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل



وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن

وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت اما تقرأ القرآن؟ [وانك لعلی خلق عظيم] قال قلت حدثيني عن ذلك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجارييني اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعه قبل فاطمحي الطعام ، قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطم قالت فجمعه رسول الله ﷺ وقال « اقتصوا - أو اقصي شك أسود - ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا

وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي اياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لما اخبرني بخلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وانك لعلی خلق عظيم)

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، وهكذا

ثنا احمد بن سعيد أبو عبد الله ثنا اسحاق بن منصور ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا ابو سعيد الهيثم ابن كليب الشامي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي شيء صنعته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطرأ كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحی أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا احمد بن محمد بن عيسى البرقي ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال ان رسول الله ﷺ لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول « خياركم أحسنكم أخلاقا »

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحی أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو العباس الاصم ثنا محمد بن



رواه احمد عن عبد الرحمن بن مهدي. ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن ابن مهدي عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امثال القرآن أمراً ونهياً سجيته وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي فحما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ، وكان ﷺ احسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ

وقال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا ابراهيم بن يوسف عن ابيه عن ابي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله ﷺ احسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، والاحاديث في هذا كثيرة ولا ينبغي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمايل

هشام بن ملاس ثنا مروان الفزاري ثنا حميد الطويل عن أنس ان امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال « يا أم فلان اجلسي في أي سلك المدينة شئت اجلس اليك » قال ففعلت فقعد اليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال قال لي محمد بن عيسى ثنا هشام انا حميد الطويل ثنا أنس بن مالك قال ان كانت الامة من إمام المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فننطلق به حيث شئت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا ابو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أخبرنا عمران بن يزيد الثعلبي عن زيد العمي عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا بصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي بصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد أنا ابو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى ثناهارون ابن اسحاق الهمداني ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (رض) قالت ما ضرب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل انا اسماعيل بن عبد الله حدثني مالك بن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجهذه بردائه



وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ يده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شينين قط الا كان أحبها اليه أيسرها حتى يكون إنما كان إذا كان أبعد الناس من الأثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه إلا أن تنتهك حرمة الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل

وقال الامام احمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنا بعثت لأتمم صالح الأخلاق» تفرد به

وقوله تعالى [ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون؟ ] أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم؟ وهذه كقوله تعالى [ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر؟ ] وكقوله تعالى ( وانا أو إياكم على هدى أو في ضلال مبين ) قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم

جيدة شديدة ورجم النبي ﷺ في نحر الاعرابي حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أرت بها حاشية البردة من شدة جبدته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعهاء

اخبرنا عبيد الواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا علي المديني ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن بعل بن مملك عن ام الدرداء نحدث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال «إن أنقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وإن الله تعالى يفيض الفاحش البذيء»

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني أنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا يزيد بن داود الاودي سمعت أبي سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «فإن أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «فإن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا ابو العباس الاصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالانا ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد المطلب بن عبد الله عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن المؤمن ليذكر بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»

قوله عز وجل ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ﴿ بأيكم المفتون ﴾ قيل معناه بأيكم الجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر كما يقال ما بفلان مجلود ومفعول



ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيكم المفتون أي المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أي أولى بالشیطان ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في أقوله [ فستبصر ويصرون ] وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى [ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ] أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم الحزب الضال عن الحق

فلا تطع المكذبين (٨) ودوا لو تذهن فيدهنون (٩) ولا تطع كل حلاف مهين (١٠)

هماز مشاء بنميم (١١) مناع للخير معتد أثيم (١٢) عتلى بعد ذلك زنيم (١٣) أن كان ذامال

وبين (١٤) إذا تتلى عليه آيتنا قال أسطير الأولين (١٥) سنسمه على الخرطوم (١٦)

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين) ودوا لو تذهن فيدهنون (قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد ودوا لو تذهن) تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق

ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهافته إنما يتقى بإيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها قال ابن عباس المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب، وقال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف . وقوله تعالى

أي جلادة وعقل وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وقيل الباء بمعنى في، مجازه فستبصر ويصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم وقيل (بأيكم المفتون) وهو الشيطان الذي فتن بالجنون وهذا قول مجاهد، وقال آخرون الباء فيه زائدة معناه أيكم المفتون أي المجنون الذي فتن بالجنون وهذا قول قتادة (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فلا تطع المكذبين (يعني مشركي مكة فانهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم) ودوا لو تذهن فيدهنون (قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لم فيلينون لك. قال الحسن تصانهم في دينك فيصانهم في دينهم . قال زيد بن أسلم لو تنافق وتراثي فيناقون. قال ابن قتبية أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة) (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف بالباطل. قال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة وقيل الاسود ابن عبد يغوث وقال عطاء الاخنس بن شريق

قوله (مهين) ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز . وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه (هماز) مفتاب يأكل لحوم



( هماز ) قال ابن عباس وقتادة يعني الاغتياب ( مشاء بنميم ) يعني الذي يمشي بين الناس وبحرث بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالة

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن ابراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن ابراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعني تماماً وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الاحول عن الاعمش حدثني ابراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن حريث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات »

وقال احمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الاحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل انه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله ﷺ قال « لا يدخل الجنة تمام »

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي ﷺ قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قل « الذين اذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ « خيار عباد الله الذين اذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت »

وقوله تعالى ( منع للخير معتد أثيم ) أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ( معتد ) في تناول ما أحل

الناس بالطعن والغبية . وقال الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجلس كقوله همزة ( مشاء بنميم ) قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم ( منع للخير ) بخيل بالمال قال ابن عباس منع للخير أي للاسلام يمنم ولده وعشيرته عن الاسلام يقول ابن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدأ ( معتد ) ظلم يتعدى الحق ( أثيم ) فاجر ( عتل ) العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيء الخلق قال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل . وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف . قال عبيد بن عمير العتل الاكول الشراب القوي الشديد



الله له يتجاوز فيها الحد المشروع ( أنيم ) أي يتناول المحرمات . وقوله تعالى ( عتل بعد ذلك زنيم )  
أما العتل فهو الغلط الغليظ الصحيح الجموع المنوع

وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب  
قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا  
أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظري مستكبر » أخرجه في  
الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به  
وقال الامام احمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن  
عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال عند ذكر أهل النار « كل جعظري جواظ مستكبر  
جامع مناع » تفرد به احمد قال أهل اللغة الجعظري الغلط الغليظ والجواظ الجموع المنوع

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم  
قال سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الا كول الشروب الواحد  
للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الاسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل  
الجنة الجواظ الجعظري العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين

(١) في تفسير ابن

جرير مفضا

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول  
الله ﷺ « تبكي السماء من عبس الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضبا<sup>(١)</sup> فكان  
للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه  
غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد  
القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك

وأما الزنيم فقال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن امراة عن أبي حصين عن مجاهد  
عن ابن عباس ( عتل بعد ذلك زنيم ) قال رجل من قريش له زنة مثل زنة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان  
مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنة من بين أخوانها ، وأما الزنيم في لغة العرب هو الذي في القول  
قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم بعض كفار قريش

لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين الفا دفعة واحدة ( بعد ذلك ) أي مع ذلك  
يريد مع ما وصفناه به ( زنيم ) وهو الذي الملصق بالقوم وليس منهم . قال عطاء عن ابن عباس  
يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم . قال مرة الحمداني إنما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة  
وقيل الزنيم الذي له زنة كزنة الشاة

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف .  
وكانت له زنة في عنقه يعرف بها ، وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة



وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدر الفرد  
وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الام ذو حسب لثيم  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا اسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن  
عباس في قوله ( زنيم ) قال الدعي الفاحش اللثيم ، ثم قال ابن عباس :  
زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع  
وقال العوفي عن ابن عباس الزنيم الدعي ويقال الزنيم رجل كانت به زمة يعرف بها ويقال هو  
الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الاسود بن عبد يقوث  
الزهري وليس به ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق بالنسب  
وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن  
حرملة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية ( عتل بعد ذلك زنيم ) قال سعيد هو  
الملصق باقوم ليس منهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبة بن خالد عن : امر بن قدامة قال سئل  
عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى ' عتل بعد ذلك  
زنيم ) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هتان معلقتان  
في حلقها ، وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما  
تعرف الشاة بزنتها والزنيم الملصق . رواه ابن جرير ، وروى أيضاً عن طريق داود بن أبي هند عن  
عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعمت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زمة في عنقه  
يعرف بها قال وقال آخرون كان دعياً

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن ادريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي  
نكون له زمة مثل زمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زمة في أصل أذنه ويقال هو اللثيم الملصق في  
النسب ، وقال أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر ، وقال  
مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة

بزنتها ، قال ابن قتيبة لانعلم ان الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة  
فالحق به عاراً لا يقارقه في الدنيا والآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ حدثني أبو محمد بن  
زنجويه بن محمد ثنا علي بن الحسين الهمداني ثنا عبد الله بن الوليد العوفي عن سفيان حدثني معبد بن  
خالد القيسي عن حارث بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل



الزنيـم الذي يعرف بالـلؤم كما تعرف الشاة بزنيـتها. والاقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيـم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا ولد زنا فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه »

وقوله تعالى ( أن كان ذا مال وبنين اذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الاولين كقوله تعالى [ ذرني ومن خلقت وحيداً \* وجعلت له مالا ممدوداً \* وبنين شهوداً \* ومهدت له نميـداً \* ثم بطمع أن أزيد كلا انه كان لا ياتنا عنيداً \* سارحمه صعوداً \* انه فكر وقدر \* فقتل كيف قدر \* ثم قتل كيف قدر \* ثم نظر \* ثم عبس وبسر \* ثم أدبر واستكبر \* فقال إن هذا إلا سحر يؤثر \* إن هذا إلا قول البشر \* سأصليه سقر \* وما أدراك ما سقر \* لا بقي ولا تذر \* لواحة للبشر \* عليها تسعة عشر ]

وقال تعالى ههنا ( سنسمه على الخرطوم ) قال ابن جرير سنين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا يخفى عليهم السمة على الخراطيم، وهكذا قال قتادة ( سنسمه على الخرطوم ) شين لا يفارقه آخر ما عليه، وفي رواية عنه سنسمه سيما على أنفه، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس ( سنسمه على الخرطوم ) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال، وقال آخرون ( سنسمه ) سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة عم يتسألون حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ

ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر» ( أن كان ذا مال وبنين ) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزرة وأبو بكر ويعقوب ( أن ) بالاستفهام، ثم حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا مد ويمد الهمزة الاولى أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ويلينون الثانية وقرأ الآخرون بلا استفهام على الخبر فن قرأ بالاستفهام فمعناه لأن كان ذا مال وبنين ( اذا تلى عليه آياتنا ) قال أساطير الاولين ( أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا، وقيل معناه لأن كان ذا مال وبنين تطعه ومن قرأ على الخبر فمعناه لا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين أي لا تطعه لماله وبنيه إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ثم أوعده فقال ( سنسمه على الخرطوم ) والخرطوم الأنف قال أبو العالية ويجاهد أي نسود وجهه فنجعل له علما في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه قال الفراء خصي الخرطوم بالسمة وانه في مذهب الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن كله وقال ابن



انه قال « ان العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم يموت والله عليه راض ، ومن مات هماً زاً لما زاً ملقياً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

إنا بلونهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين (١٧) ولا يستثنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين (٢١) أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صرمين (٢٢) فانطلقوا وهم يتخفئون (٢٣) أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤) وغدوا على حرد قدرين (٢٥) فلما رأوها قالوا إنا لضالون (٢٦) بل نحن محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون (٢٨) قالوا سبحن ربنا إنا كنا ظالمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلومون (٣٠) قالوا يويلنا إنا كنا طغين (٣١) عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون (٣٢) كذلك العذاب وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٣٣

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قرش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالكذب والرد والمعاربة ولهذا قال تعالى ( إنا بلوناهم )

عباس سنخطمه بالسيف وقد فعل ذلك يوم بدر، وقال قتادة سنلحق به شيلاً يفارقه، قال القتيبي نقول العرب لرجل سب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريد ألصق به عاراً لا يفارقه كما أن السمة لا ينمحي ولا يغفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عبوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم، وقال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه ﴿ إنا بلوناهم ﴾ يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿ كما بلونا ﴾ ابتلينا ﴿ أصحاب الجنة ﴾

روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل ( إنا بلوناهم ) كما بلونا أصحاب الجنة قال كان بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين بطوئه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل الصاوة، وكان لرجل، فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون لله ساكن إذا صرماً نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجده وإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضاً للمساكين وإذا حصداً زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضاً فلما مات الأب وورثه هؤلاء الأخوة عن أبيهم فقالوا والله إن المال لقليل وإن العيال



أي اختبرناهم ( كما بلونا أصحاب الجنة ) وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ( إذ أقسموا ليصر منها مصبحين ) أي حلفوا فيما بينهم ليجزن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ( ولا يستثنون ) أي فيما حلفوا به ، ولهذا حثهم الله في أيمانهم فقال تعالى ( فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ) أي أصابتها آفة سماوية ( فأصبحت كالصريم ) قال ابن عباس أي كالليل الأسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد أي هشيما يسبا

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس ان العبد ليدنس الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ ( فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ) قد حرموا خير جنتهم بذنبيهم ( فتنادوا مصبحين ) أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ أي القطع ( أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ) أي تريدون الصرام ، قال مجاهد : كان حرثهم عنيا ( فانطلقوا وهم يتخافتون ) أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم

ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى ( فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ) أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم. قال الله تعالى ( وغدوا على حرد ) أي قوة وشدة ، وقال مجاهد ( وغدوا على حرد ) أي جد

لكثير وانما كان هذا الامر يفعل إذا كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما إذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحلفوا بينهم يوما ليفدون غدوة قبل خروج الناس فليصر من نخلمهم ولم يستثنوا يعني لم يقولوا ان شاء الله فقد القوم بسدفة من الليل الى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين فرأوها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله عز وجل ( إذ أقسموا ) حلفوا ( ليصر منها مصبحين ) ليجزنها وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ( ولا يستثنون ) لا يقولون ان شاء الله ( فطاف عليها طائف ) عذاب ( من ربك ) ليلا ولا يكون الطائف الا بالليل وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقها ( وهم نائمون ) فأصبحت كالصريم ( كالليل المظلم الأسود ، وقال الحسن أي صرم منها الخير فليس فيها شيء ، وقال الاخفش كالصبح الصريم من الليل وأصل الصريم المصروم مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم لأن كل واحد منها ينصرم عن صاحبه ، وقال ابن عباس كالرماد الأسود بالغة خزيمة ( فتنادوا مصبحين ) نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا ( أن اغدوا على حرثكم ) يعني الثمار والزرع والاعناب ( ان كنتم صارمين ) قاطعين لا تدخل ( فانطلقوا ) مشوا إليها ( وهم يتخافتون ) يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ( أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ) وغدوا على حرد ( الحرد في اللغة يكون معنى القصد والمنع والغضب



وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبي ( على حرد ) على المساكين ، وقال السدي [ على حرد ] أي كان امرؤ قريبهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا [ قادرين ] أي عليها فيما يزعمون ويرومون [ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ] أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي الحالة التي قال الله عز وجل قد استعالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا ( إنا لضالون ) أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها ، قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا ( بل نحن محرومون ) أي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ( قال أوسطهم ) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والريعي بن انس والضحاك وقتادة أي أعد لهم وخيرهم [ ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟ ] قال مجاهد والسدي وابن جريج [ لولا تسبحون ] أي لولا تستثنون . قال السدي وكان استثناءهم في ذلك الزمان تسبيحا ، وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟ أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ( قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ) أتوا بالطاعة حيث لا تنفعهم وندموا واعترفوا حيث لا ينجم ولهذا قالوا [ إنا كنا ظالمين ] فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون [ أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض الاعتراف بالخطيئة والذنب ] قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين [ أي اعتدينا وبقينا طغينا وجاوزنا الحد حتى

قال الحسن وقتادة وأبو العالية على جد وجهه ، وقال القرظي ومجاهد وعكرمة على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر ، وقال أبو عبيدة والقتبي غدوا من بينهم على منع المساكين يقال حاردت السنة إذا لم يكن لها مطر وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن ، وقال الشعبي وسفيان على حنق وغضب من المساكين ، وعن ابن عباس على قدرة [ قادرين ] عند أنفسهم على جنتهم ومآرهم لا يحول بينها وبينهم أحد ( فلما رأوها قالوا إنا لضالون ) أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا إنا لمخطئون الطريق أضلانا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا فقال بعضهم ( بل نحن محرومون ) حرمتنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء ( قال أوسطهم ) أعد لهم وأعظم وأفضلهم [ ألم أقل لكم لولا تسبحون ] هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ( ليهر منها مصبحين ) وسمى الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته ، وقال أبو صالح كان استثناءهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم ( قالوا سبحان ربنا ) زهوه عن أن يكون ظلما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا [ إنا كنا ظالمين ] بمنعنا المساكين [ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ] يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل ( قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ) في منعنا حق الفقراء ، وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم



أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم  
ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضرعان على ستة أميال من صنعاء ، وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كن أبونا أحق اذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ولو انا منكم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آناه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفراً (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق

ان للمعتقين عند ربهم جنات النعيم (٣٤) أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ (٣٥) مالكم كيف تحكمون؟ (٣٦) أم لكم كتب فيه تدرسون؟ (٣٧) ان لكم فيه لما تخيرون (٣٨) أم لكم أيمن علينا بالنغة الى يوم القيمة؟ ان لكم لما تحكمون (٣٩) سألهم أيهم بذلك زعيم؟ (٤٠) أم لهم شركاء؟ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صديقين (٤١)  
لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين ان لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبديد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟) أي أفساوى بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الارض والسماء ولهذا قال (مالكم كيف تحكمون؟) أي كيف تظنون ذلك؟

نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) قال عبداً بن مسعود بلغني ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها غناب يحمل البغل منها عنقوداً واحداً ، قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي كعملنا بهم فنعمل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)  
ثم أخبر بما عنده للمعتقين فقال (ان للمعتقين عند ربهم جنات النعيم) فقال المشركون إنا نعطى في الآخرة أفضل مما نعطون فقال الله تكذيباً لهم (أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ مالكم كيف تحكمون؟)



(١) هذه الزيادة ليست في المكية

(١) وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن العجاذ بالليل والحصاد بالليل ثم قال تعالى ( أم لكم كتاب؟ فيه تدرسون \* إن لكم فيه لما تخيرون ) يقول تعالى أفبايديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كما تدعونه؟ ( إن لكم فيه لما تخيرون \* أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة أن لكم لما تحكون؟ ) أي أمعكم عهد منا ومواثيق مؤكدة؟ ( أن لكم لما تحكون ) أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ( سلمهم أيهم بذلك زعيم؟ ) أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل؟ ( أم لهم شركاء ) أي من الأصنام والانداد ( فليأتوا بشر كأنهم ان كانوا صادقين )

يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون (٤٢) خشعة أبصرهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون (٤٣) فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (٤٤) وأملني لهم أن كيدي متين (٤٥) أم

تسلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون (٤٦) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون (٤٧) لما ذكر تعالى أن المتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى ( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والامور العظام

وقد قال البخاري هنا حدثنا آدم حدثنا القيث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أم لكم كتاب؟ ( نزل من عند الله ) فيه في هذا الكتاب ( تدرسون ) تقرأون ( أن لكم فيه ) في ذلك الكتاب ( لما تخيرون ) تختارون وتشتهون ( أم لكم إيمان ) عهد ومواثيق ( علينا بالغة ) مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع ( إلى يوم القيامة أن لكم ) كسر ان لدخول اللام في الخبر في ذلك العهد ( لما تحكون ) لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله

ثم قال لنبيه ﷺ ( سلمهم أيهم بذلك زعيم ) كفيل أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين ( أم لهم شركاء ) أي عندهم شركاء. فله أرباب تفعل هذا ، وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه ( فليأتوا بشر كأنهم ان كانوا صادقين \* يوم يكشف عن ساق ) قيل يوم ظرف لقوله فليأتوا بشر كأنهم أي فليأتوا بها في ذلك اليوم لتنفهم وتنفع لهم يوم يكشف عن ساق قيل عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة في القيمة قال سعيد بن جبير ( يوم يكشف عن ساق ) عن شدة الأمر وقال ابن قتبية : تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى العجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه ، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق



زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسوسة فيذهب ليسجد في عود ظهره طبقاً واحداً، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر \* شالت الحرب عن ساق \* وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الامر، وقال ابن عباس هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الامر وجده

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد القاهر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد بن سعيد حدثني حفص بن ميسرة عن زيد بن سالم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟» قالوا لا يا رسول الله قال «ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والانصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل السكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فإذا تبغون؟ فقالوا عطشنا ياربنا فاقننا فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها مراب يحطم بعضها بعضها فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاقننا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها مراب يحطم بعضها بعضها فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أنام رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوها فيها قال فماذا تفتشرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا ياربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينفلت فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء



وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ( يوم يكشف عن ساق ) هو الامر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( يوم يكشف عن ساق ) يقول حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه ، وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر ابن جرير

ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شعبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرجون له سجداً » ورواه أبو يعلى عن القاسم ابن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم

وربما . الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها اول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم « قبل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال « دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق والريح كالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلس المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا أقدم أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ، ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا فيه خير ممن أمرتنا به » وكان أبو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم ( ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة بضاعفها ويؤت من لذه أجر عظيم ) فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا رحما فيلقهم في نهر في أفواء الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كالقواظ في رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا



وقوله تعالى ( خاشعة أبصار ترهقهم ذلة ) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فیسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أحدهم أن يسجد فخر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى ( فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ) يعني القرآن وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمد في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال تعالى ( سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر اهانة كما قال تعالى [ أبجسون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون ] وقال تعالى [ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ] ولهذا قال «هنا» ( وأمل لهم إن كيدي متين ) أي وأؤخرهم

أعطيتنا ما لم نعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ياربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم بهذا المعنى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً »

قوله عز وجل ( ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ) يعني الكفار والمنافقين نصير أصلاهم كصيامي البقر فلا يستطيعون السجود ( خاشعة أبصارهم ) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وتود وجوه الكافرين والمنافقين ( ترهقهم ذلة ) يغشاهم ذل الندامة والحسرة ( وقد كانوا يدعون إلى السجود ) قال إبراهيم التيمي يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والاقامة، وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون ( وهم سالمون ) أصحاء فلا يأتونه قال كعب الأحبار والله ما زلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات ( فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ) أي فدعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم قال الزجاج معناه لا تشغل قلبك به وكله إلي فاني أ كفيك أمره ( سنستدرجهم ) سنأخذهم بالعذاب ( من حيث لا يعلمون ) فعذبوا يوم بدر ( وأمل لهم إن كيدي متين ) أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب



وأناظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى ( إن كيدي متين ) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملئ ظلم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ ( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ) وقوله تعالى ( أم تسألهم أجراً فهم من مغموم مثقلون ؟ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ ) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جنتهم به بمجرد الجبل والكفر والعناد

فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم (٤٨) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبتذ بالعراء وهو مذموم (٤٩) فاجتنبه ربه فجعله من الصالحين (٥٠) وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر وية قولون إنه لمجنون (٥١) وما هو إلا ذكر للعالمين (٥٢)

يقول تعالى ( فاصبر ) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فإن الله سبحانه سيحكم لك عليهم ويجعل في الدنيا والآخرة العاقبة لك ولا تباعك ( ولا تكن كصاحب الحوت ) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والنقام الحوت له وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للهالي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات [ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ] قال الله تعالى [ فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ]

وقال تعالى ( فلولا أنه كان من المسبحين \* لبث في بطنه إلى يوم يبعثون ) وقال ههنا ( إذ نادى وهو مكظوم ) قال ابن عباس ومجاهد والسدي وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك مكروب وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) خرجت الكلمة فحن حول العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى أما تعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هذا يونس ، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة

فهم يكتبون ؟ فاصبر لحكم ربك ) اصبر على أذاهم لقضاء ربك ( ولا تكن ) في الضجر والعجلة ( كصاحب الحوت ) وهو يونس بن متى ( إذ نادى ) ربه وهو في بطن الحوت ( وهو مكظوم ) يملؤ غماً ( لولا أن تداركه ) أدركه ( نعمة من ربه ) حين رحمه وناب عليه ( لنبتذ بالعراء ) لطرح



مجابة قال نعم ، قالوا أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخا فتنجيه من البلا . فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى ( فاجتنباه ربه فجعله من الصالحين )

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة

وقوله تعالى ( وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ( ليزلقونك ) لينفذونك ( بأبصارهم ) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك ليقضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم ، وفي هذه الآية دليل على أن العين أصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة

« حديث أنس بن مالك رضي الله عنه » قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتيكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا برقا » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

« حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه » قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله ابن نمير حدثنا اسحاق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة ، قال الترمذي وروى هذا الحديث الامام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان ابن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر عن الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا « لا رقية إلا من عين أو حمة » « حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضى » قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعة عن ابن البزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دني عن ابن حرب عن

بالفضاء من بطن الحوت « وهو مذموم » يذم ويلام بالذنب « فاجتنباه ربه » اصطفاه « فجعله من الصالحين » وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم « وذلك ان الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعانيها ثم يقول يا جارية خذي المسكول والدرهم فأتينا بشي من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحمر ، وقال الكلبي كان رجل من العرب



عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن العين لتولم الرجل باذن الله فيتصاعد حافها ثم يتردى منه » أسناده غريب ولم يخرجوه

(حديث حابس التميمي) قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حبة بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى ابن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب

قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حبة بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام احمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد بن شيان بن أبي حبة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا بأس في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

(حديث بن عباس رضي الله عنه) قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني اسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق العين حق تستنزل الخالق » غريب

(طريق أخرى) قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن ابراهيم حدثنا وهيب عن ابن طامس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري

وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المهاج بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول هكذا كان ابراهيم يعوذ اسحاق واسماعيل عليهما السلام أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المهاج به

(حديث أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه) قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث أن لبط به فأتى به رسول الله ﷺ فقيل له

محجن بمك لا يأكل يومين أو ثلاثاً ثم برقع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنا أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة وعدة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه وأزل (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) أي ويكاد ودخلت اللام في ليزلقونك لمكان ان ، وقرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح اليا ، والآخرون بضمها وهما لغتان يقال زلقه وأزلقه وإزلاقا قال ابن عباس معناه ينفذونك يقال زلق



أدرك سهلاً صريعاً قال « من تنهمون به ؟ » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلته إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر عن الزهري عن أبي امامة ويكفأ الاناء من خلفه، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي امامة بن سهل عن أبيه به

« حديث أبي سعيد الخدري » قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك، ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي إياد عن أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي حسن

« حديث آخر عنه » قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال اشتكت يا محمد ؟ قال « نعم » قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنك والله يشفيك ، بسم الله أرقيك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى فأتاه جبريل فقال : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك . ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود بن أبي نضرة عن أبي سعيد به، قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح

« حديث أبي هريرة رضي الله عنه » قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجاه من حديث

السهم إذا نفذ ، قال السدي يصيبونك بعيونهم قال النضر بن شميل يعينونك وقيل يزولونك، وقال الكلبي يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة ، قال ابن قتيبة ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون ينظرونك نظر البغضاء أن يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر إلي نظراً يكاد يصرعني ونظراً



عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن علي عن الجريري عن مضارب بن عون عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق » تفرد به ، ورواه أحمد عن اسماعيل بن علي عن سعيد الجريري به

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد بن آدم »

وقال احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال قلت اذا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الغال والعين حق »

﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاع الزرقى قال قالت أسماء يا رسول الله ان بني جعفر نصيبهم العين أفأسترقى لهم قال « نعم فلو كان شي . يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عروة بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاع عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ حديث عائشة رضي الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقى من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسر كلاهما عن معبد به

ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابو هشام المخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعينوا بالله فان النفس حق » تفرد به

وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويفسل منه الميعين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا الهام والعين حق وأصدق الطيرة الغال »

يكاد يأكلني ، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماح القرآن وهو قوله ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون اليه النظر بالبغضاء ﴿ ويقولون انه الجنون ﴾ أي ينسبونه إلى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى ﴿ وما هو ﴾ يعني القرآن ﴿ إلا ذكر للعالمين ﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين ، قال الحسن دواء إصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية







والجل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الرجل القدر » وهذا اسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه

(حديث عبد الله بن عمرو) قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن ابن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به احمد

(حديث عن علي) روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد ابن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتما فقال يا محمد ما هذا القم الذي أراه في وجهك؟ قال « الحسن والحسين أصابتهم عين » قال صدق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال « وما هن يا جبريل ؟ » قال قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الانس فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي (ص) « عوذوا أنفسكم ونساءكم واولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطلي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه وقوله تعالى « ويقولون إنه لمجنون » أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون أي لمجيبه بالقرآن قال الله تعالى ( وما هو إلا ذكر للعالمين )

(آخر تفسير سورة ن وفيه الحمد والمنة)

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو نصر بن محمد بن محمد بن سهل المروزي ثنا محمود بن آدم المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقني أن أمما بنت حميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر نصيبهم العين أفأستترقي لهم ؟ « قال نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين »



## تفسير سورة الحاقة وهي مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة (١) ما الحاقة؟ (٢) وما أدراك ما الحاقة؟ (٣) كذبت ثمود وعاد بالقارعة (٤)

فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (٥) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم

سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل

ترى لهم من باقية؟ (٨) وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكت بالخاطئة (٩) فعصوا رسول

ربهم فأخذهم أخذة رابية (١٠) أنا لما طغى الماء حملنكم في الجارية (١١) لنجعلها لكم تذكرة

وتعيها أذن واعية (١٢)

الحاقة من أسماء يوم القيامة لان فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله امرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي اسكتهم والزلزلة التي اسكتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد كذبت

(سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) يعني القيامة سميت حاقة لانها حقت فلا كاذبة لها وقيل لان فيها حواق الامور وحقائقها ولان فيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب يقال حق عليه الشيء اذا وجب بحق حقوقا، قال الله تعالى (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين، قال الكسائي الحاقة يوم الحق) (ما الحاقة؟) هذا استفهام معناه التفتيح لسانها كما يقال زيد ما زيد؟ على التعظيم لسانه (وما أدراك ما الحاقة؟) أي انك لا تعلمها اذا لم تعانها ولم تر ما فيها من الاهوال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس وقتادة بالقيامة سميت قارعة لانها تفرع قلوب العباد وبالحاقة، وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم قيل هي مصدر وقيل نعت أي بأفعالهم الطاغية وهذا معنى قول مجاهد كما قال كذبت ثمود بطغواها، وقال قتادة بالصيحة الطاغية



ثمود بطفواها ) وقال السدي فاهلكوا بالطاغية قال يعني عاقرة الناقة (وأما عاد فاهلكوا بریح صرصر) أي باردة قال قتادة والسدي والريبع بن أنس والثوري (عاتية) أي شديدة الهبوب قال قتادة عنت عليهم حتى نقيت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي وغيره عنت على الخزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والريبع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الريبع وكان أولها الجمعة وقال غيره الاربعاء. ويقال إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء. ويقال أيام العجوز لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرّاً فقتلها الريح في اليوم الثامن. حكاه البقوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدم الأرض فيخرميناً على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بالأغصان. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الربيع القتيبي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض عطر نفاقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة»

وهي التي جاوزت مقادير الصباح فأهلكتهم، وقيل طفت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح (وأما عاد فاهلكوا بریح صرصر عاتية) عنت على خزائنها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها؟ (سخرها عليهم) أرسلها عليهم وقال مقاتل سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة قبل سميت عجوزاً لأنها في عجز الشتاء وقبل سميت بذلك لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرّاً فتبعها الريح فقتلنها في اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها فترة فعل هذا هو من حسم الكي وهو أن يتابع على موضع الداء بالمسكوة حتى يبرأ ثم قيل لكل شيء توبع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل حسوما دائمة، وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء، قال الزجاج أي تحسمهم حسوما تغنيهم وتذهبهم وقال عطية حسوما شؤماً كأنها حسمت الخير عن أهلها (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والأيام (صرعى) هلكى جمع صرعى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) سائطة وقيل خالية الأجواف



وقال الثوري عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب ( فهل ترى لهم من باقية؟ ) أي هل تحسن منهم من أحد من بقاءهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفاً ثم قال تعالى ( وجاء فرعون ومن قبله ) قرى بكسر القاف أي ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أي ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى ( والمؤفكات ) وهم الأمم المكذبون بالرسول ( بالخطئة ) وهي التكذيب بما أنزل الله ، قال الربيع ( بالخطئة ) أي بالمعصية ، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى ( فعصوا رسول ربهم ) وهذا جنس أي كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى ( إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد ) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى ( كذبت قوم نوح المرسلين - كذبت عاد المرسلين - كذبت ثمود المرسلين ) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا ( فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذ عزيزة ) أي عظيمة شديدة ألجأ ، قال مجاهد راية شديدة وقال السدي مهلكة ثم قال تعالى ( إنا لما طغى الماء ) أي زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة ، فأناس كلهم من سلالة نوح وذريته

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبي سنان عن سعيد بن سنان عن غير واحد عن علي بن أبي طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى ( إنا لما طغى الماء ) أي زاد على الحد باذن الله [ حملناكم في الجارية ] ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى ( بريح صرصر عاتية ) أي عنت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس ( إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ) وهي السفينة الجارية على وجه الماء ( لنجعلها لكم

﴿ فهل ترى لهم من باقية؟ ﴾ أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الأمم الكافرة ﴿ والمؤفكات ﴾ أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤفكات وقيل يريد الأمم الذين اتفكوا بخطيئتهم ﴿ بالخطئة والمعصية وهي الشرك ﴾ فعصوا رسول ربهم ﴿ يعني لوطاً وموسى ﴾ فأخذهم أخذة راية ﴿ نامية ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام ﴿ حملناكم ﴾ أي حملنا آبائكم وأنتم في أصلاهم ﴿ في الجارية ﴾ في السفينة التي تجري في الماء ﴿ لنجعلها ﴾ لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم



تذكرة ) عاد الضمير على الجنس للدلالة المعنى عليه أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركون على تيار الماء في البحار كما قال ( وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركون لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ) وقال تعالى ( وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون \* وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة ، والاول أظهر ولهذا قال تعالى ( وتعيها أذن واعية ) أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة [ أذن واعية ] عقلت عن الله فاتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك [ وتعيها أذن واعية ] سمعتها أذن ووعت أي من لسمع صحيح ، عقل وجيح وهذا عام في كل من فهم ووعي وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى حدثنا علي بن حوشب سمعت مكحولاً يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ ( وتعيها أذن واعية ) قال رسول الله ﷺ « سألت ربي أن يجعلها أذن علي » قال مكحول فكان علي يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فأنسيته . وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل

وقد قال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعني والد أبي أحمد الزبيري حدثني صالح بن ميمم سمعت بن مرة الأسلمي يقول قال رسول الله ﷺ لعلني « اني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن نبي وحق لك أن نبي » قال فنزلت هذه الآية ( وتعيها أذن واعية ) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الاعمى عن بريدة به ولا يصح أيضاً

فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة (١٣) وحملت الارض والجبال فدكها واحدة (١٤)

فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) والملك على أرجائها

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث

نوح ونجاة من حملنا (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة باختلاس العين وقرأ الآخرون بكسرها أي تحفظها (أذن واعية) أي حافظة لما جاء من عند الله ، قال قتادة أذن سمعت وعقلت ما سمعت . قال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وهي النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) رفعت عن أماكنها



والنشور وهي هذه النفخة وقد أ كدها ههنا بأنها واحدة لان أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع هي النفخة الاخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا ( وحملت الارض والجبال فدكتنا دكة واحدة ) أي فدت مد الاديم المكافى وتبدلت الارض غير الارض ( فيومئذ وقعت الواقعة ) أي قامت القيامة ( وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ) قال ممالك عن شيخ من بني أسد عن علي قال : تنشق السماء من الهجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج شي كقوله ( وفتحت السماء فكانت أبوابا ) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بجذائها ( والملاك على أرجائها ) الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم به منها أي حافاتها وكذا قال سعيد بن جبیر والاوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها ، وقال الحسن البصري أبوابها ، وقال الربيع بن أنس في قوله ( والملاك على أرجائها ) يقول على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الارض

وقوله تعالى ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الارض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب ، وفي حديث عبدالله بن حميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب في ذكر حملة العرش انهم ثمانية أو عال

وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابوسعيد عن ابن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثني ابو السمع البصري حدثنا ابو قيل حيي بن هاني ، انه سمع عبدالله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية مابين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام

وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى قال كتب إلي احمد بن حفص بن عبدالله النيسابوري حدثني ابى

( فدكتنا ) كسرتنا ( دكة ) كسرة ( واحدة ) فصارنا هباء منثوراً ( فيومئذ وقعت الواقعة ) قامت القيامة ( وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ) ضعيفة ، قال الفراء وهما تشققها ( والملاك ) يعني الملائكة ( على أرجائها ) نواحيها وأقطارها ما لم ينشق منها واحدا رجاء مقصوراً وتنتيته رجوان ، قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ( ويحمل عرش ربك فوقهم ) أي فوق رؤسهم يعني الحلة ( يومئذ ) يوم القيامة ( ثمانية ) أي ثمانية أملاك ، جاء في الحديث « انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة أبدى الله باربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلالهم إلى ربهم كما بين سماء إلى سماء » وجاء في الحديث « لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر »

أخبرنا أبو بكر بن الميثم الترابي أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يحيى الخالدي أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلاء الراعي عن عمه شعيب بن خالد ثنا



حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقة

وقد رواه ابو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا احمد بن حفص بن عبد الله حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ ابي داود

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال ، وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الانس والجن والشیاطين والملائكة

وقوله تعالى ( يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ) أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى ( لا تخفى منكم خافية ) وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا اسحاق بن اسماعيل أخبرنا سفیان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا

معاك بن حرب عن عبد الله بن عمر عن العباس بن عبد المطلب قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبي ﷺ « أتدرون ما هذا » قلنا السحاب قال « والمزن » قلنا والمزن قال « والعنان » قلنا والعنان فسكتنا ، فقال « هل تدرون كم بين السماء والارض » قلنا الله ورسوله أعلم قال « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكذلك غلط كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والارض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعله كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء » وروى هذا عن عبد الله بن عمر عن الاحنف بن قيس عن العباس

وروي عن ابن عباس انه قال ( فوقهم يومئذ ثمانية ) أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عندهم إلا الله ( يومئذ تعرضون ) على الله ( لا تخفى ) قرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ( منكم خافية ) أي فعلة خافية ، قال الكلبي لا يخفى على الله منكم شيء قال أبو موسى يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فأخذ يمينه



أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر ( يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية )

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن رفاعه عن الحسن بن عمار عن ابي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ شماله » ورواه ابن ماجه عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن ابي كريب عن وكيع عن علي بن علي بن الحسين عن ابي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد بن سليم بن حيان عن مروان الاصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ شماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسل مثله

فأما من أوتي كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابه (١٩) إني ظننت أني سألق

حسابه (٢٠) فهو في عيشة راضية (٢١) في جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا

هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية (٢٤)

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة يمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه ( هاؤم اقرءوا كتابه ) أي خذوا اقرءوا كتابه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لانه ممن بدل الله سيئاته حسنات ، قال عبد الرحمن بن زيد معنى ( هاؤم اقرءوا كتابه ) أي ها اقرءوا كتابه وأم زائدة كذا قال والظاهر انها بمعنى هاكم

وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الاحول عن ابي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه يمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فكلها قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول هاؤم اقرءوا كتابه

وحدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عباد حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فييدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا ، فيقول نعم أي رب ، فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد

أخذ بشماله وذلك قوله عز وجل ( فأما من أوتي كتابه يمينه فيقول هاؤم ) فقالوا ( اقرءوا كتابه )



غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إني ظننت أني ملاق حساييه) حين نجا من فضيحتة يوم القيامة

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته يمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»

وقوله تعالى (إني ظننت أني ملاق حساييه) أي قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال الله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية (في جنة عالية) أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها،

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال: سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة، قال «نعم أنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الاعلين تقصر بهم أعمالهم» وقد ثبت في الصحيح «أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» وقوله تعالى (قطوفها دانية) قال البراء بن عازب أي قريبة يتناولها أحدكم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد

قال الطبراني عن الدبري عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل أحد الجنة إلا ببجواز: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية». وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سلمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول الله ﷺ قال «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»

وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم

الها. في كتابيه ها. الوقف (إني ظننت) علمت وأيقنت (أنى ملاق حساييه) أي أحاسب في الآخرة (فهو في عيشة) يعني حالته من العيش (راضية) مرضية كقوله (ما. دافق) يريد برضاها بأن بقي الثواب وأمن العقاب (في جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من يتناولها فلانها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاؤوا ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم) قدمتم لا خرتكم من الأعمال الصالحة



وامتنانا وانعاما واحسانا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وشددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »

وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يئسيتي لم أوت كتابه (٢٥) ولم أدر ما حسايته (٢٦) يئسيتها كانت القاضية (٢٧) ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) خذوه فقلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه (٣٢) انه كان لا يؤمن بالله العظيم (٣٣) ولا يحض على طعام المسكين (٣٤) فليس له اليوم ههنا حميم (٣٥) ولا طعام الا من غسلين (٣٦) لا يأكله الا الخيطون (٣٧)

وهذا اخبار عن حال الاشقياء اذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم ( فيقول يا ليتني لم أوت كتابه \* ولم أدر ما حسايه \* يا ليتها كانت القاضية ) قال الضحاك يعني مودة لاحياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شي في الدنيا أكره اليه منه ( ما أغنى عني ماليه \* هلك عني سلطانيه ) أى لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خاص الامر إلي وحدي فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل ( خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه ) أى يأمر الزبانية أن تأخذ عفا من المحشر فتغله أى تضع الاغلال في عنقه ثم تورده الى جهنم فتصليه إياها أى تغمره فيها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو

(في الايام الخالية) الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) قال ابن السائب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ، وقبل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ( فيقول يا ليتني لم أوت كتابه ) يتمنى انه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله ( ولم أدر ما حسايه \* يا ليتها كانت القاضية ) يقول ياليت المودة التي منها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها والقاطعة للحياة فلم أحي بعدها والقاضية موت لا حياة بعده يتمنى انه لم يبعث لحساب قال قتادة يتمنى الموت وان لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت ( ما أغنى عني ماليه ) لم يدفع عني من عذاب الله شيئا ( هلك عني سلطانيه ) ضلت عني حجتي عن أكثر المفسرين وقال ابن زيد زال عني ملكي وقوتي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك

يقول الله لحزنة جهنم ( خذوه فقلوه ) اجمعوا يده الى عنقه ( ثم الجحيم صلوه ) أى ادخلوه



قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك أن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفا في النار. وروى ابن أبي الدنيا في الاحوال انه يبتدره أربعائة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه فيقول مالي ولك فيقول ان الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك، وقال المضيل بن عياض : إذا قال الرب عز وجل خذوه فقلوه ابتدره سبعون ألف ملك أبهم يجعل الفل في عنقه (ثم الجحيم صلوه) أي اغروه فيها وقوله تعالى ( ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه ) قال كعب الاحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا . وقال العوفي عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك . وقال ابن جريج قال ابن عباس [ فاسلكوه ] تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظفون فيها كما ينظف الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك في دبره حتى يخرج من منخره حتى لا يقوم على رجله

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « لو أن روضة مثل هذه - وأشار الى جحمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا ليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها » وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن

وقوله تعالى ( انه كان لا يؤمن بالله العظيم \* ولا يحض على طعام المسكين ) أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم ، فان لله على العباد ان يوحده ولا يشركوا به

الجميم ( ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه ) فادخلوه فيها ، قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره ، وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة ، وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا ، وقال الحسن الله أعلم أي ذراع

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله ﷺ « لو أن روضة مثل هذه وأشار الى مثل الجحمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة التي ذكرها الله في القرآن لسارت أربعين خريفا ليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها ، وعن كعب قال : لو جهم حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ( إنه كان لا يؤمن بالله العظيم \* ولا يحض على طعام المسكين )



شيئا ، ولعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وقبض النبي ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم »  
وقوله تعالى [ فليس له اليوم ههنا حميم \* ولا طعام إلا من غسلين \* لا يأكله إلا الخاطئون ] أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين . قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع والضحاك هو شجرة في جهنم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم  
وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار

فلا أقسم بما تبصرون ( ٣٨ ) وما لا تبصرون ( ٣٩ ) إنه لقول رسول كريم ( ٤٠ ) وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ( ٤١ ) ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ( ٤٢ ) تنزيل من رب العالمين ( ٤٣ )

يقول تعالى مقسما لخلق بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أمثاله وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم ان القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفا لتبليغ الرسالة وأداء الامانة فقال تعالى ( فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون \* انه لقول رسول كريم ) يعني محمدا ﷺ أضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوين الى الرسول الملكي [ انه لقول رسول كريم \* ذي قوة عند ذي العرش مكين \* مطاع ثم أمين ] وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى [ وما صاحبكم بمجنون ] يعني محمدا ﷺ [ ولقد رآه بالأفق المبين ] يعني ان محمدا رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها [ وما هو

لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك \* فليس له اليوم ههنا حميم \* قريب ينفعه ويشفع له \* ولا طعام إلا من غسلين \* وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسله جروحهم وقروحهم ، قال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل النار \* لا يأكله إلا الخاطئون \* أي الكافرون \* فلا أقسم \* لارد لكلام المشركين كأنه قال ليس كما يقول المشركون أقسم \* بما تبصرون وما لا تبصرون \* أي بما ترون وما لا ترون قال قتادة أقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل ما تبصرون ما على وجه الارض وما لا تبصرون ما في بطنها ، وقيل ما تبصرون من الاجسام وما لا تبصرون من الارواح وقيل ما تبصرون الانس وما لا تبصرون الملائكة والجن وقيل نعم الظاهرة والباطنة وقيل ما تبصرون ما أظهر الله للملائكة والالواح والقلم وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحد \* إنه \* يعني القرآن \* لقول رسول كريم \* أي



على الغيب بضنين [ أي بمتهم ] وما هو بقول شيطان رجيم [ وهكذا قال ههنا ] وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون \* ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون [ فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى ] تنزيل من رب العالمين [

قال الامام أحمد حدثنا ابو المقيرة حدثنا صفوان حدثنا شرح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أنعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرا [ انه لقول رسول كريم \* وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون ] قال فقلت كاهن ، قال فقرا [ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون \* تنزيل من رب العالمين \* ولو تقول علينا بعض الاقاويل \* لاخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين ] الى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ، فهذا من جملة الاسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب [ رض ] كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة والله الحمد والمنة

ولو تقول علينا بعض الاقاويل (٤٤) لاخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦)

فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرة للمتقين (٤٨) وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩)

وإنه لحسرة على الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسيح باسم ربك العظيم (٥٢)

يقول تعالى ( ولو تقول علينا ) أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مقتربا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من عنده فنسبه اليه وليس كذلك لهاجلنا بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى ( لاخذنا منه باليمين ) قيل معناه لا نتقننا منه باليمين لأنها أشد في البطش ، وقيل لاخذنا بيمينه ثم

تلاوة رسول كريم يعني محمدا ﷺ وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون \* ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون \* قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يؤمنون ويذكرون بالياء فيها وقرأ الآخرون بالتاء وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا [ تنزيل من رب العالمين \* ولو تقول ] تخرص واختلق [ علينا ] محمد [ بعض الاقاويل ] وآتى بشي من عند نفسه [ لاخذنا منه باليمين ] قيل من صلة مجازة لاخذناه وانتقننا منه باليمين أي بالحق كقوله تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق ، وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة ، قال الشياخ بمدح عرابية ملك اليمن

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمين



لقطعنا منه الوتين ) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وابو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد ابن كعب هو القلب ومراقبه وما يليه

وقوله تعالى ( فما منكم من أحد عنه حاجزين ) أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه اذا أردنا به شيئاً من ذلك ، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله عز وجل مقرر له ما يلقه عنه . ويؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات

ثم قال تعالى ( وانه لتذكرة للمتقين ) يعني القرآن كما قال تعالى ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم همى ) ثم قال تعالى ( وانا لنعلم أن منكم مكذبين ) أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى ( وانه لحسرة على الكافرين ) قال ابن جرير وان التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة ، وحكاة عن قتادة بمثله

وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك ( وانه لحسرة على الكافرين ) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أي وإن القرآن والايمان به لحسرة في نفس الامر على الكافرين كما قال تعالى ( كذلك ساكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به )

وقال تعالى ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) ولهذا قال ههنا ( وانه لحق اليقين ) أي الخبر الصدق الحق الذي لا مريبة فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى ( فسبح باسم ربك العظيم ) أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم

### ﴿ آخر تفسير سورة الحاقة والله الخلد والمنة ﴾

أي بالقوة عبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه وقيل معناه لاخذناه بيده اليمنى وهو مثل معناه لاذلناه وأهاناه كالسلطان إذا اراد الاستخفاف ببعض من بين يديه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فألقه ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ قال ابن عباس أي نياط القلب وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد الحبل الذي في الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ مانعين يحجزوننا عن عقوبته ، والمعنى ان محمداً لا يتكلف الكذب لاجلكم مع علمه بانه لو تكلف لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه ، وانما قال حاجزين بالجمع وهو فعل واحد رداً على معناه كقوله ( لا نفرق بين أحد من رسله ) وانه ﴿ يعني القرآن ﴾ تذكرة للمتقين أي لعظة لمن اتقى عقاب الله ﴿ وانا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ وانه لحسرة على الكافرين ﴿ يوم القيامة يندمون على ترك الايمان ﴾ وإنه لحق اليقين ﴿ أضافه الى نفسه لاختلاف الغفيلين ﴾ فسبح باسم ربك العظيم



## تفسير سورة سأل سائل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من الله ذي المعارج (٣)

تخرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (٤) فاصبر صبراً

جيلاً (٥) انهم يرونه بعيداً (٦) ونزله قريباً (٧)

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أي وعذابه واقع لا محالة

قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم (الهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سأل سائل بعذاب واقع) أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه وقوله تعالى (واقع للكافرين) أي مرصد معد للكافرين ، وقال ابن عباس واقع جائئ ليس له

﴿سورة المعارج مكية أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سأل سائل﴾ قرأ أهل المدينة والشام سأل بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز فن همز فهو من السؤال ومن قرأ بغير همز قيل هو لغة في السؤال يقال سأل يسأل مثل خاف يخاف يعني سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها الفا وقيل هو من السيل وسائل واد من أودية جهنم يروى ذلك عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم والأول أصح، واختلفوا في الباء في قوله ﴿بعذاب﴾ قيل هي بمعنى عن قوله (فاستل به خيراً) أي عنه خيراً، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب ﴿واقع﴾ نازل كائن على من ينزل ولن ذلك العذاب فقال الله مبيناً مجيباً لذلك السائل ﴿الكافرين﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ



دافع) أي لا دفع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذي المعارج) قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ذي المعارج) قال ذو الدرجات، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد ذي المعارج معارج السماء، وقال قتادة ذي الفواضل والنعم

وقوله تعالى (تخرج الملائكة والروح إليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تخرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا نساء قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهاج عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله والله أعلم بصحته» (١) فقد تكلم في بعض رواه وسكته مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء]

وقوله تعالى [في يوم كان مقداره خمسين الف سنة] فيه أربعة أقوال [أحدها] ان المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين الف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين الف سنة وأنه من باقوتة حراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش

بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمد فأنزل الله (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) أي هو لكافرين، هذا قول الحسن وقتادة وقيل الباء صلة، ومعنى الآية دعا داع وسأل سائل عذابا واقعاً للكافرين أي على الكافرين اللام بمعنى على وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فتزل به مسائل يوم يدر فقنل صبرا وهذا قول ابن عباس ومجاهد (ليس له دافع من الله) أي بعذاب من الله (ذي المعارج) قال ابن عباس أي ذي السموات مماها معارج لان الملائكة تخرج فيها، وقال سعيد ابن جبير ذي الدرجات وقال قتادة ذي الفواضل والنعم ومعارج الملائكة (تخرج الملائكة) قرأ الكسائي يعرج بالياء وهي قراءة ابن مسعود وقرأ الآخرون تعرج بالياء (والروح) يعني جبريل عليه السلام (إليه) أي إلى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) من سني الدنيا

(١) هذه الزيادة ليست في النسخة المكية



وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا  
حكاه عن عمر بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ( في يوم كان  
مقداره خمسين ألف سنة ) قال انتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق السموات  
خمسین ألف سنة ( في يوم كان مقداره ألف سنة ) يعني بذلك حين ينزل الأمر من السماء الى الارض  
ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مقدار  
مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكاه بن سالم عن عمر بن معروف عن  
مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابراهيم بن منصور حدثنا نوح  
المضروب عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلط كل ارض خمسمائة عام وبين كل  
أرض الى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلط كل سماء خمسمائة عام وبين السماء الى  
الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة  
وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) ( القول الثاني ) أن المراد  
بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج  
عن مجاهد في قوله تعالى ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال الدنيا عمرها خمسون ألف  
سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما يوما تعرج الملائكة والروح اليه في يوم ) قال اليوم الدنيا  
وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة ( في  
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال الدنيا من أولها الى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري  
أحد كم مضى ؟ ولا كم بقي ؟ إلا الله عز وجل ( القول الثالث ) انه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة  
وهو قول غريب جداً

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا

لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله  
تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة  
وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسين ألف سنة ، وقال محمد بن اسحاق لو صار بنو آدم  
من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة ، وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة ، وقال الحسن  
أيضا هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني  
الدنيا ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم محدود  
ولو كان له آخر لكان منقطعا



موسى بن عبيدة أخبرني محمد بن كعب ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ( القول الرابع ) أن المراد بذلك يوم القيامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن امرئيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال يوم القيامة واسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( نخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك

قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه إلي فردوه فقال نبئت أنك ذو مال كثير فقال العامري أي والله إن لي مائة حمراء أو مائة أدماء حتى عد من ألوان الابل واثنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك واخفاف الابل واظلاف العنم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذا يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له ابل لا يعطي حقها في نجلتها ورسلا - قلنا يا رسول الله ما نجلتها ورسلا ؟ قال - في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغد ما كانت وأكثره وأسمنه وآثره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتعأوه »

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التيمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله ﷺ ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) فما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده أنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله



باخفافها فاذا جاوزته آخرها أعيدت عليه أولها (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له بقرة لا يعطى حقها في نجبتها ورسلا فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمه وأشهره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته آخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجبتها ورسلا فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمه وأشهره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته آخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله قال العامري وما حق الابل يا أبا هريرة؟ قال أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الابل وتطرق الفحل. وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به

﴿طريق أخرى لهذا الحديث﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا جاهد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» وذكر بقية الحديث في الغنم والابل كما تقدم وفيه الخيل الثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر إلى آخره» ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقة وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الاحكام، والفرض من إيراد ههنا قوله (حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عيينة وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فأنهم، فقال إنما سألتك لتحدثني، قال هما يومان ذكرهما الله الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم

لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل وقال عطاء، ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا

وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منها في ساعة من النهار، وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير كأنه قال ليس له دافع من الله



وقوله تعالى ( فاصبر صبراً جميلاً ) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ) ولهذا قال ( انهم يرونه بعيداً ) أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ( وزاه قريباً ) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

يوم تكون السماء كاللؤلؤ (٨) وتكون الجبال كالعهن (٩) ولا يسأل حميم حميماً (١٠)  
يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بئنيه (١١) وصحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعاً ثم يُنجيه (١٤) كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى

(١٦) تدعو من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨)

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين ( يوم تكون السماء كاللؤلؤ ) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت ( وتكون الجبال كالعهن ) أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية كقوله تعالى ( وتكون الجبال كالعهن المنفوش ) وقوله تعالى ( ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم ) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، قال العوفي عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى ( لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق ) وكقوله تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل ذي المارج - في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تخرج الملائكة والروح إليه ) فاصبر صبراً جميلاً ) يا محمد على تكذيبهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ( إنهم يرونه بعيداً ) يعني العذاب ( ونراه قريباً ) لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة ( يوم تكون السماء كاللؤلؤ ) كعكر الزيت

وقال الحسن كالفضة إذا اذيت ( وتكون الجبال كالعهن ) كالصوف المصبوغ ولا يقال عهن إلا للمصبوغ وقال مقاتل كالصوف المنفوش وقال الحسن كالصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تغير الجبال نصير رملاً مهلاً ثم عنها منفوشاً ثم نصير هباءً منثوراً ( ولا يسأل حميم حميماً ) قرأ البرقي عن ابن كثير لا يسأل بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم أي لا يقال له ابن حميمك ؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء أي لا يسأل قريب قريباً لشغله بشأن نفسه ( يبصرونهم ) برونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرائنه فلا يسأله ويبصر



منه شيء ولو كان ذا قرني) وكقوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه \* وأمّه وأبيه \* وصاحبه وبنيه \* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)

وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بينيه \* وصاحبه وأخيه \* وفصيلته التي تؤويه \* ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه \* كلا) أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو عمل الأرض ذهباً أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه ، قال مجاهد والسدي (فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذ الذي هو منهم ، وقال أشهب عن مالك فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظي) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس ، وقال العوفي عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام ، وقال مجاهد مادون العظم من اللحم ، وقال سعيد بن جبير والعقب ، وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعني أطراف اليدين والرجلين وقال أيضاً (نزاعة للشوى) لحم الساقين ، وقال الحسن البصري وثابت البناني (نزاعة للشوى) أي مكارم وجهه ، وقال الحسن أيضاً تحرق كل شيء فيه ويقتى فؤاده يصبح ، وقال قتادة (نزاعة للشوى) أي نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه

وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً ، وقال ابن زيد الشوى الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم

جميعه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه قال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده ، وقيل يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم جميعه حتى يعرفه ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه ، وقال السدي يعرفونهم أما المؤمن فيبياض وجهه وأما الكافر فبسواد وجهه (يود المجرم) يتمنى المشرک (لو يفتدي من عذاب يومئذ بينيه وصاحبه) زوجته (وأخيه وفصيلته) عشيرته التي فصل منهم وقال مجاهد قبيلته وقال غيره أقربائه الأقربين (التي تؤويه) أي تضمه ويأوى إليها (ومن في الأرض جميعاً) يود لو يفتدي بهم جميعاً (ثم ينجيه) ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتداء فقال (إنها لظي) وهي اسم من أسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية سميت بذلك لأنها تنلظي أي تلهب (نزاعة للشوى) قرأ حفص عن عاصم نزاعة نصب على الحال واقطع وقرأ الآخرون بالرفع أي هي نزاعة للشوى وهي الأطراف البدان والرجلان والأطراف وقال مجاهد الجلود الرأس وروى إبراهيم بن المهاجر عنه اللحم دون العظام قال مقاتل تنزع النار الأطراف فلا تترك لها ولا جلداً وقال الضحاك تنزع الجلد واللحم عن العظام قال سعيد بن جبير عن ابن عباس للعصب والعقب وقال السكبي لام الرأس تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تعود لا كله فتأكله فذلك دأبها



وقوله تعالى ( تدعو من أدبر وتولى \* وجمع فأوعى ) أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ( وجمع فأوعى ) أي جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة

وقد ورد في الحديث « ولا نوعي فيوعي الله عليك » وكان عبد الله بن عكيم لا يربطه كيسا ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى ، وقال الحسن البصري يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا وقال قتادة في قوله وجمع فأوعى قال كان جموعا نموما للحديث

ان الانسان خلق هلوعا (١٩) اذا مسه الشر جزوعا (٢٠) واذا مسه الخير منوعا (٢١)

الا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين في أموالهم حق

معلوم (٢٤) للسائل والمحروم (٢٥) والذين يصدقون بيوم الدين (٢٦) والذين هم من

عذاب ربهم مشفقون (٢٧) ان عذاب ربهم غير مأمون (٢٨) والذين هم لفروجهم

حفظون (٢٩) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين (٣٠) فمن ابتغى

وراء ذلك فأولئك هم العادون (٣١) والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم

بشهادتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤) أولئك في جنات مكرمون (٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن الانسان وما هو مجبول عليه من الاخلاق الدينية ( ان الانسان خلق

وقال قتادة لمكارم خلقه واطرافه وقال أبو العالية لمحاسن وجهه وقال ابن جرير الشوى جوارح الانسان ما لم يكن مقتلاً يقال رمى فاشوى اذا أصاب الاطراف ولم يصب المقتل ( تدعو ) النار الى نفسها ( من أدبر ) عن الايمان ( وتولى ) عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين بامنائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب حكى عن الخليل أنه قال تدعو أي تعذب وقال قال اعرابي لا آخر دعاك الله أي عذبك الله ( وجمع ) أي جمع المال ( فأوعى ) أمسكه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ( ان الانسان خلق خلوعا ) روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال الملوغ الحريص على ما لا يحل له وقال سعيد بن جبير شحيحا وقال عكرمة



هلوعا) ثم فسر بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أي إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلم قلبه من شدة الرعب وايس أن يحصل له بعد ذلك خير (وإذا مسه الخير منوعا) أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها

وقال الامام احمد حدثنا ابو الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبدالعزيز ابن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «شر ما في رجل شح هالم وجبن خالم» ورواه ابو داود عن عبدالله بن الجراح عن أبي عبدالرحمن المقرئ به وليس لعبدالعزيز عنده سواه. ثم قال تعالى (إلا المصلين) أي الانسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير وبسر له أسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي، وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الزاكن، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال «أحب الاعمال إلى الله أدومها وإن قل، وفي لفظ - ما داوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه وفي لفظ أثبتته، وقال قتادة في قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو نود ما أخذتهم الصبيحة فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن

ضجورا وقال الضحاك والحسن بخيلا وقال مقاتل جزوعا وقال قتادة ضيق القلب والملع شدة الحرص وقلة الصبر وقال عطية عن ابن عباس تفسيره ما بعد وهو قوله «إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا» يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبد بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره ثم استثنى فقال «إلا المصلين استثنى الجمع من الواحد لأن الانسان في معنى الجمع» (الذين هم على صلاتهم دائمون) يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله ابن المبارك عن أبي لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره قال سألتنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) أم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنهم إذا صلوا لم



وقوله تعالى [ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ] أي في أموالهم نصيب مقرر لدوي الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات ،

وقوله تعالى [ والذين يصدقون بيوم الدين ] أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ، ولهذا قال تعالى [ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ] أي خائفون وجلون [ ان عذاب ربهم غير مأمون ] أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره الا بأمان من الله تبارك وتعالى . وقوله تعالى [ والذين هم لفروجهم حافظون ] أي يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى [ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ] أي من الاماء [ فأنهم غير ملومين ] فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون [ وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة ] قد أفلح المؤمنون [ بما أغني عن اعادته ههنا

وقوله تعالى [ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ] أي إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » ، وفي رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غادر ، وإذا خاصم فجر »

وقوله تعالى ( والذين هم بشهادتهم قائلون ) أي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها ( ومن يكتُمها فإنه آثم قلبه )

ثم قال تعالى [ والذين هم على صلاتهم محافظون ] أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة قد أفلح المؤمنون سواء . ولهذا قال هناك ( أولئك هم الوارثون \* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ) وقال ههنا [ أولئك في جنات مكرمون ] أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار

فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ؟ (٣٦) عن اليمين وعن الشمال عزين (٣٧) أيطمع كل

يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمالهم ولا عن خلفهم \* والذين في أموالهم حق معلوم \* للسائل والمحروم \* والذين يصدقون بيوم الدين \* والذين هم من عذاب ربهم مشفقون \* إن عذاب ربهم غير مأمون \* والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون \* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون \* والذين هم بشهادتهم قائلون \* قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بشهادتهم على الجمع وقرأ الآخرون بشهادتهم على التوحيد (قائلون) أي يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها ولا يغيرونها \* والذين هم على صلاتهم محافظون \* أولئك في جنات مكرمون \* قوله عز وجل ( فمال الذين كفروا ) أي فمال الذين كفروا كفؤا [ فأنهم عن التذكرة معرضين ]



امريء منهم أن يدخل جنة نعيم؟ (٣٨) كلا إنا خلقناهم مما يملكون (٣٩) فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقدرون (٤٠) على أن نبذل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين (٤١) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلَاقُوا يومهم الذي يوعدون (٤٢) يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم إلى

نُصَب يوفضون (٤٣) خُشْعة أبصرهم ترهقهم ذلة ، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون (٤٤)  
يقول تعالى منكرأ على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله قارون منه متفرقون عنه ، شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً كما قال تعالى [ فما لهم عن التذكرة معرضين ؟ كأنهم هم مستغفرون \* فرت من قسورة ] الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى [ فما الذين كفروا قبلك مهطعين ] أي فاهولاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أي مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصري مهطعين أي منطلقين [ عن اليمين وعن الشمال عزين ] واحداها عزة أي متفرقين وهو حال من مهطعين أي في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الامام أحمد في أهل الاهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب

وقال العوفي عن ابن عباس [ فما الذين كفروا قبلك مهطعين ] قال قبلك ينظرون [ عن اليمين وعن الشمال عزين ] قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به  
وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله [ عن اليمين وعن الشمال عزين ] أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون ما قال هذا الرجل . وقال قتادة [ مهطعين ] عامدين [ عن اليمين وعن الشمال عزين ] أي فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه ﷺ .  
وقال الثوري وشعبة وعثرب بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيم ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الاعمش عن المسيب بن رافع عن عليم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير عن حديث الاعمش به  
وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

﴿ قبلك مهطعين ﴾ مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومدببي النظر إليك متطلعين نحوك . زلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون ﴿ عن اليمين وعن الشمال



وقوله تعالى (أبطع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم \* كلا) أي أبطع هؤلاء. والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلابل مآرهم جهنم. ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداة التي الاعداء أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى [إنا خلقناهم مما يعلمون] أي من المني الضعيف كما قال تعالى [ألم نخلقكم من ماء مهين؟] وقال [فلينظر الانسان مم خلق \* خلق من ماء دافق \* يخرج من بين الصلب والترائب \* انه على رجعه لقادر \* يوم تبلى السرائر \* فانه من قوة ولا ناصر] ثم قال تعالى [فلا أقسم رب المشارق والمغرب] أي الذي خلق السموات والارض وجعل مشرقًا ومغربًا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام ليس الامر كما تزعمون أن لامعاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والارض وتسخير ما فيها من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى [خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون] وقال تعالى [أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بمخلقهين بقادر على أن يهيي الموتى، بلى انه على كل شيء قدير] وقال تعالى في الآية الاخرى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العليم \* انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون] وقال ههنا (فلا أقسم رب المشارق

عزيزين \* خلقا وفرقا. والعزيرين جماعات في تفرقة واحدها عزة \* أبطع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم؟ قال ابن عباس معناه أبطع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي \* كلا \* لا يدخلونها ثم ابتداء فقال \* [إنا خلقناهم مما يعلمون] أي من نقطة ثم من علقه من مضغة. نبه الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن ابراهيم العلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد بن علي ثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا جرير بن عثمان الرحي عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جعاش قال قال النبي ﷺ وبصق يوما في كفه ووضع عليها أصبعه فقال \* يقول الله عز وجل ابن آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين يدي والارض منك وتيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أن الصدقة؟

وقيل معناه إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب. وقيل ما بمعنى من مجازة إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم \* [فلا أقسم رب المشارق والمغرب] يعني مشرق



والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ) أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك ( وما نحن بمسبوقين ) أي بعاجزين كما قال تعالى [ ألمحسب الانسان أن لننجعه عظامه \* بلى قادرين على أن نسوي بنانه ] وقال تعالى ( نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون )

واختار ابن جرير ( على أن نبدل خيراً منهم ) أي أمة تطيعنا ولا نعصينا وجعلها كقوله [ وإن تقولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ] والمعنى الاول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

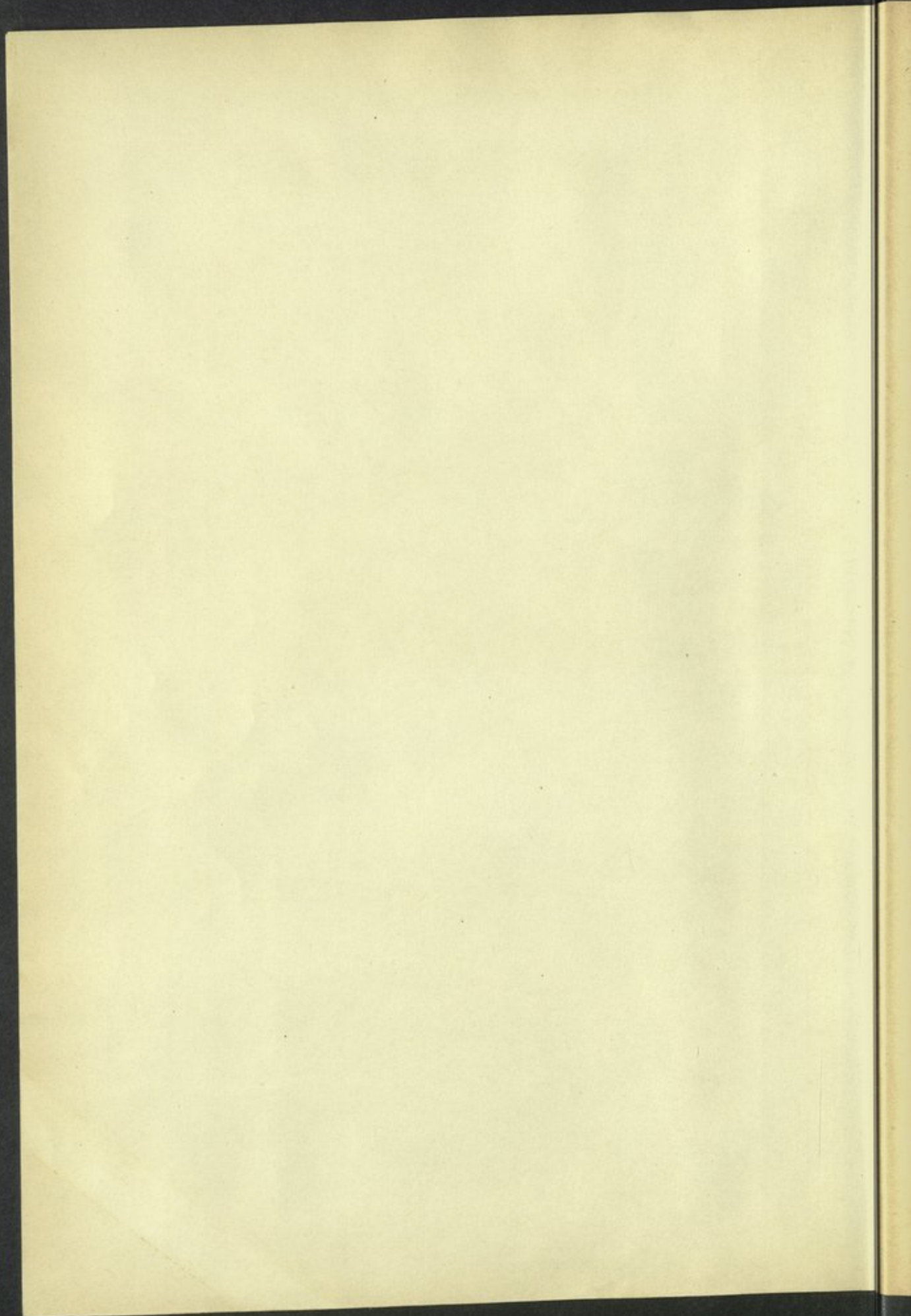
ثم قال تعالى ( فذرهم ) أي يا محمد ( بخوضوا ويلعبوا ) أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ( حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ) أي فسيعلمون غيب ذلك ويدوقون وباله ( يوم يخرجون من الاجداث مرأى كأنهم إلى نصب يوفضون ) أي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون مرأى كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك إلى علم يسهون ، وقال أبو العالية وبجي بن أبي كثير إلى غاية يسهون اليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنسوب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الضم أي كأنهم في إسرأهم إلى يوم الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب اذا عابوهم يوفضون يتدرون أيهم يستلمه أول ، وهذا مروى عن مجاهد وبجي بن أبي كثير وأبو مسلم البطين وقنادة والضحاك والريم بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى ( خاشعة أبصارهم ) أي خاضعة ( ترهقهم ذلة ) أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ( ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون )

( آخر تفسير سورة سأل سائل والله الحمد والمنة )

كل يوم من السنة ومغربه ( إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ) على أن نخلق أمثال منهم وأطوع لله ( وما نحن بمسبوقين \* فذرهم يخوضوا ) في باطلهم ( ويلعبوا ) في دنياهم ( حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ) نستخنها آية القتال ( يوم يخرجون من الاجداث ) أي القبور ( مرأى ) إلى إجابة الداعي ( كأنهم إلى نصب ) قرأ ابن عامر وحاص [ نصب ] بضم النون والصاد ، وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد يعنون إلى شيء منصوب . يقال فلان نصب عيني . وقال الكلبي إلى علم ورابة ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائي يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، قال الحسن يسرعون اليها أيهم يستلمها أولاً ( يوفضون ) أي يسرعون ( خاشعة ) ذليلة خاضعة ( أبصارهم ترهقهم ذلة ) يشاهمهم وان ( ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ) يعني يوم القيامة

( ثم الجزء الثامن من تفسيري ابن كثير والبغوي ويليه بعون الله تعالى الجزء التاسع وأوله تفسير سورة نوح )

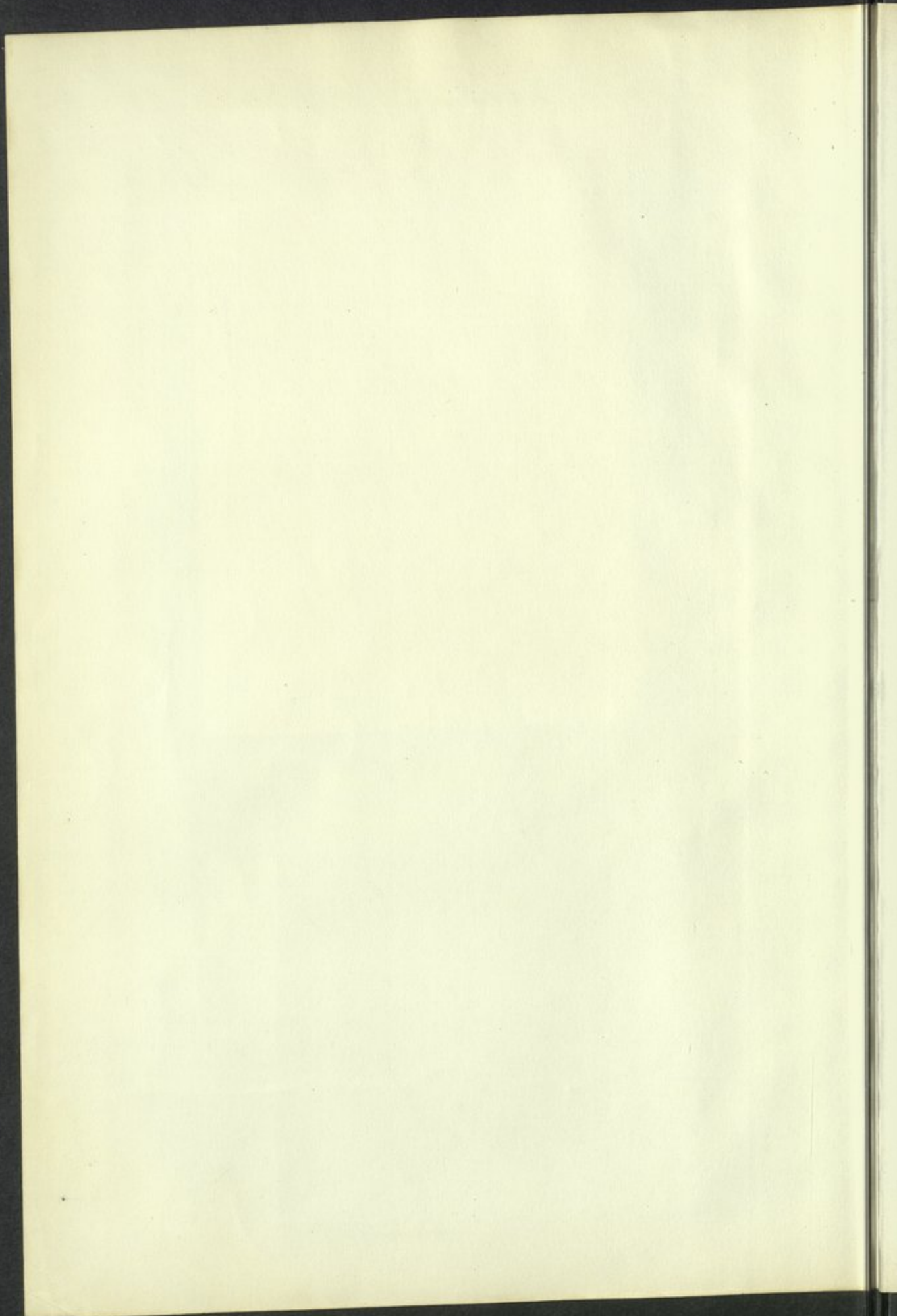






2







## DATE DUE

FEB 1988



ابن كثير، أبو القداء اسماعيل بن عمر  
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويلييه معا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01009249

297-207  
T 13A

V. 8



